مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٦٦)

# الصوارم الوادقة

## ببيان الرد على الجهمية والزنادقة

فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله

للإمام أحمد بن حنبل

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

الصوارم الوادقة ببيان الرد
على الجهمية والزنادقة
فيما شكت فيه من متشابه
القرآن وتأولته على غير تأويله
للإمام أحمد بن حنبل

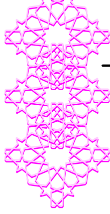
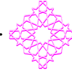
مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٥)

# الصوارم الوادقة ببيان الرد على الجهمية والزنادقة

## فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله للإمام أحمد بن حنبل

تأليف
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

الردمك

# المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فهذا شرح لرسالة جليلة هي: **«الرد على الزنادقة والجهمية فيما شَكُّوا فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله»**، وهي لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -، وإمام أهل وقد امتُحن بهؤلاء الزنادقة والجهمية ووقف لهم المواقف المشهودة، وصمد أمامهم، وثبت أمام الباطل حتى نصر الله به الحق وأهله، وقمع به أهل البدع.

فهو إمام أهل السنة يقتدى به ﵀، إذ صبر يوم المحنة، لما ابتلي بمسألة القول بخلق القرآن، فوقف وصبر على الحق ثابتًا صامدًا صمود الجبل، لا يلين إلى أهل البدع حتى قال علي بن المديني ﵀: "إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة"[1].

وهذه الرسالة رسالة عظيمة، افتتحها المؤلف بخطبة عظيمة ما زال

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/ ٩٠).

العلماء يقتبسون منها وينقلونها في كتبهم، كالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه الرسالة ثابتة للإمام، وثابت أنه كتبها - رحمه الله ورضي عنه -.

لكن بعض أهل البدع في القديم والحديث يشككون في نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد وما ذاك إلا لزيغ في قلوبهم؛ لأنهم يريدون ألا تثبت هذه الرسالة حتى يثبت باطلهم؛ لأن هذه الرسالة شهب مرمية على أهل البدع فلا يريدون أن تثبت هذه الرسالة حتى يبقى باطلهم وضلالهم وزيغهم؛ فلهذا يشككون في نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

والرسالة ثابتة، أثبتها العلماء والأئمة ونسبوها إلى الإمام، فنسبها القاضي أبو يعلى وهو من علماء الحنابلة وذكر: أن الخلال أثبتها[(١)]، وكذلك الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وحسبك به، وقد أثبت هذه الرسالة للإمام في مواضع من كتبه المتعددة، كما في رسالة "بيان تلبيس الجهمية" وفي تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وفي غيرها من كتبه، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ نقل أكثرها في كتبه، ولا سيما في "بيان تلبيس الجهمية"، ونشرها في كتبه وعلق عليها، نقل أكثر نصوصها، ونقل الخطبة أيضًا، وكذلك العلامة ابن القيم أثبتها في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية"، وغيرهم من أهل العلم.

والرسالة طُبعت عدة طبعات، كان أحسنها الطبعة التي حققها فضيلة

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨).

الشيخ إسماعيل الأنصاري - رحمة الله عليه -، وقدم بمقدمة أثبت فيها أن هذه الرسالة للإمام أحمد وبين فيها بيانًا واضحًا.

ونقل فيها نقول عن الأئمة: القاضي أبي يعلى، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم فيها إثبات أن هذه الرسالة للإمام أحمد حتى لا يكون هناك مجال للشك؛ لأن هناك جهمية ومعتزلة وأشاعرة - وهم موجدون في كل زمان - يشككون في نسبة هذه الرسالة للإمام أحمد؛ لأنهم لا يريدون أن لا تثبت مثل هذه الكتب التي فيها رد لباطلهم، فكان ان أثبتنا هذه المقدمات.

ثم حققها د/ دغش العجمي على عشر نسخ خطية - جزاه الله خيرا - فتم إثبات المتن من النسخة التي حققها.

نسأل الله أن يثبتنا على دينه القويم، وأن يهدينا صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍كتبه
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

# تعليقات

## على مقدمة الشيخ/ إسماعيل الأنصاري

### لتحقيقه للرسالة

قال فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري - رحمه الله تعالى -:

«قال القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى في ترجمة خضر بن مثنى الكندي من طبقات الحنابلة[1] قال:

نقل عن عبد اللَّه بْن إمامنا أَحْمَد ﷺ أشياء منها الرد عَلَى الجهمية فِيمَا قرأته عَلَى المبارك بْن عبد الجبار عن إبراهيم عن عبد العزيز أبي بكر الخلال أَخْبَرَنِي خضر بْن مثنى الكندي قَالَ حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن أَحْمَد بن حنبل قَالَ: قَالَ أَبِي: بيان ما أنكرت الجهمية: أن اللَّه تعالى كلم موسى فقلنا لهم: لم أنكرتم ذَلِكَ؟ قَالُوا: إن اللَّه لم يتكلم ولا يتكلم إنما كون شيئا فعبر عن اللَّه ﷻ وخلق صوتاً فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان».

الشرح

هذه من شبههم كما سيأتي في بيان الرسالة، قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، وإنما كوّن شيئًا فتكلم، يعني: خلق شيئًا، فقالوا: إنَّ كلام الله مخلوق - والعياذ بالله - فجعلوا كلام الله الذي هو صفة من صفاته مخلوقاً، فقالوا: إنما كوّن شيئًا فتكلم، وخلق صوتًا فأسمع، أما هو لم يتكلم، وهذا من أبطل الباطل.

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨).

فالله تعالى تكلم بحرف وصوت، وكلامه صفة من صفاته ﷻ ومن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر، كما قرر ذلك أهل السنة[١].



(١) نقل ذلك عنهم اللالكائي رحمه الله، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣١٢).

**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

**فقلنا: هل يجوز لِمُكَوَّنٍ أو غيرِ اللَّه أن يقول لموسى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] أو: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] فمن زعم كما زعمت الجهمية: أن الله كَوَّنَ شيئاً كَانَ يقول ذَلِكَ الْمُكَوَّنُ: ياموسى إنني أنا الله رب العالمين».**

## الشرح

يعني: أنَّ الله تعالى قال لموسى يا موسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾، وقال الله لموسى ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ فعلى قول هؤلاء الملاحدة إذا كان الكلام مخلوقاً يكون المخلوق يقول لموسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؟!!!، فهل يستطيع أحد أن يقول لموسى إنني أنا الله، إنني أنا ربك.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

**«لا يجوز أن يقول: إنني أنا الله رب العالمين وَقَالَ اللَّه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].**

**وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه: ٤١] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].**

**فهذا منصوصُ القرآن، وأما ما قَالُوا: إن اللَّه لم يتكلم ولا يتكلم فكيف بحديث الأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَه وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»[(١)]».**

## الشرح

الترجمان: هو الشخص الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة، يقال له: ترجمان، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»[(٢)] المعنى: أن الله تعالى سيكلم كل أحد، ليس

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، رقم (٦٥٣٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٤٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠١٦).

بينه وبينه واسطة، لا يوجد واسطة يترجم.

وترجمان فيها لغات: تُرْجُمَان وتَرْجَمَان وتَرْجُمَان، قال بعضهم: فيها لغة رابعة: تُرْجَمان؛ وعلى هذا ما يُغلّط أحد في قراءتها.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

**وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان: أليس قَالَ الله تعالى للسماوات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١] أتراها أنها قالت بجوف وشفتين ولسان؟ والجوارح إذَا شهدت عَلَى الكفار فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فُصِّلَت: ٢١] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ ولكن اللَّه أنطقها كيف شاء، وكذلك تكلم اللَّه كيف شاء من غير أن يقول جوف ولا فم ولا شفتان ولا لسان وذكر الرسالة بطولها».**

## الشرح

يعني: أنَّ هذا الرد على هذه الشبهة وهي قولهم: إنَّ الله لو تكلم لَلَزِمَ أن يكون له جوف ولسان وشفتان، فالإمام رد عليهم: بأنَّ هناك بعض المخلوقات تتكلم وليس لها لسان ولا شفتان، وإذا أمكن هذا في بعض المخلوقات فإمكان ذلك في الخالق، من باب أولى.

فالجلود تشهد يوم القيامة والألسن والأيدي... ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [النُّور: ٢٤] وكذلك أيضًا السماوات والأرض نطقتا قال الله لهما: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١].

وثبت أيضًا تسبيح الحصى بيد الرسول - عليه الصلاة والسلام[(١)]-، والطعام سبح في يده - عليه الصلاة والسلام[(٢)]- والجذع حن له[(٣)]، وليس لها لسان ولا شفتان، فهذه الشبهة باطلة.



(١) كما ثبت في الحديث عن أبي ذرٍّ قَالَ: «فَتَنَاوَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَ حَصَيَاتٍ أَوْ تِسْعَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ» أخرجه البزار (٩/ ٤٣١)، وقال الهيثمى في مجمع الزوائد: رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.

(٢) كما ثبت في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ» أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم (٣٥٧٩).

(٣) كما ثبت في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ» أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم (٣٥٨٣).

**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

**«هذا ما ورد في ترجمة خضر بن مثنى الكندي من الطبقات، وهو صريح في أنَّ هذا الكتاب: (الرد على الجهمية) للإمام أحمد بن حنبل».**

## الشرح

لأنه يقول القاضي أبو الحسين محمد في ترجمة خضر بن مثنى؟ قال: نَقل عن عبد الله ابن إمامنا رضي الله عنه أشياء، منها الرد على الجهمية فيما قرأته على المبارك بن عبد الجبار عن إبراهيم عن عبد العزيز أبي بكر الخلال قال: أخبرني خضر بن المثنى قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فالسند متصل.






قال الأنصاري - رحمه الله -:

«وهو الذي صرح به غير واحد من أئمة العلم، فإن قيل: إن خضر بن مثنى مجهول فلا تليق نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد ما دام الأمر كذلك».

## الشرح

هذا شبهة لبعضهم، فبعضهم طعن في السند، فقال: إنَّ السند فيه مجهول، وهو خضر بن المثنى وهو غير معروف ومجهول.

والجواب كما سيأتي.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

«فالجواب - كما يستفاد من (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)[(١)] - مِنْ وُجُوهٍ:

١- أَنَّ الْخَضِرَ هَذَا ليس بمجهول قَدْ عَرَفَهُ الْخَلَّالُ وَرَوَى عَنْهُ كَمَا رَوَى كَلَامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أحمد بن حنبل عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ فَلَا يَضُرُّ جَهَالَةُ غَيْرِهِ لَهُ».

## الشرح

إذن الخَضِر ليس بمجهول؛ لأن الخلال يعرفه.



(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٠٩).

**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

«٢- أَنَّ الْخَلَّالَ قَالَ في هذا الكتاب كَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ وَكَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَطِّ أَبِيهِ، فالظَّاهِرُ أَنَّ الْخَلَّالَ إِنَّمَا رَوَاهُ عَنِ الْخَضِرِ لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلَ السَّنَدِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ النَّقْلِ وَضَمَّ ذَلِكَ إِلَى الْوِجَادَةِ، وَالْخَضِرُ كَانَ صَغِيرًا حِينَ سَمِعَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَلَا هُوَ مِنَ الشُّيُوخِ».

## الشرح

هذا جواب آخر، وهو أنَّ الخلال وجد الرسالة وكتبها من خط عبدالله بن أحمد وعبدالله ابن الإمام كتبها من خط أبيه، فالخلال يكون رواه عن الخضر بالسند وعنده الوجادة، حيث وجده في خط عبدالله فاجتمع له الأمران: السند والوجادة.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

«وَقَدْ رَوَى الْخَلَّالُ عَنْهُ غَيْرَ هَذَا فِي جَامِعِهِ؛ فَقَالَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ مِنَ الْجَامِعِ: (دَفَعَ إِلَيَّ الْخَضِرُ بْنُ الْمُثَنَّى بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ أَجَازَ لِي أَنْ أَرْوِيه عَنْهُ وذكر بعض ما روي عنه.

وقد ذكر أبو بكر الخلال كتاب الرد عل الجهمية كله في كتاب السنة الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه: "جامع النصوص" من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم».

## الشرح

إذن شبهة: أنَّ الخضر بن المثنى مجهول، أجاب عنها بثلاثة أجوبة: الجواب الأول: أنه ليس بمجهول، قد عرفه الخلال، الجواب الثاني: أنَّ الخلال نفسه وجد الرسالة من خط عبد الله بن أحمد ورواها بالسند عن الخضر فاجتمع له الأمران، الجواب الثالث: أنَّ العلماء والأئمة أثبتوا هذه الرسالة ونسبوها للإمام أحمد كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وحسبك بهؤلاء الأئمة عدالةً وثقة.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

«٣- احتجاج أهل العلم به على أساس أنه للإمام أحمد بن حنبل:

فقد احْتَجَّ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي كِتَابِهِ (إِبْطَالُ التَّأْوِيلِ) بِمَا نَقَلَهُ مِنْهُ عَنْ أَحْمَدَ، وَذَكَرَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي كِتَابِهِ بَعْضَ مَا فِيهِ عَنْ أَحْمَدَ، وَنَقَلَ عنْهُ أَصْحَابُهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَنَقَلَ مِنْهُ الْبَيْهَقِيُّ وَعَزَاهُ إِلَى أَحْمَدَ وَصَحَّحَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ أَحْمَدَ وَلَمْ يُسْمَعْ عنْ أَحَدٍ مِنْ مُتَقَدِّمِي أَصْحَابِهِ وَلَا مُتَأَخِّرِيهِمْ طَعْنٌ فِيهِ.

هذا خلاصة ما دافع به الإمام ابن القيم عن نسبة كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية" إلى إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد راجعنا مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية فوجدنا فيها من التصريح بأنه للإمام أحمد من ناحية، ومن الاعتماد عليه من ناحية أخرى ما نوضح منه للقراء ما يلي:

١- قال في تفسير سورة الإخلاص ص١٢ الطبعة المنيرية: بعد ذكر كثير من السلف - أنهم يعلمون معنى المتشابه - قال:

وَقَوْلُ أَحْمَدَ فِيمَا كَتَبَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شُكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ وَقَوْلُهُ عَنْ الْجَهْمِيَّةِ إِنَّهَا تَأَوَّلَتْ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ الْمُتَشَابِهِ ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى مَعْنَاهَا؛ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ عِنْدَهُ تَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ وَأَنَّ الْمَذْمُومَ تَأْوِيلُهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَأَمَّا

تَفْسِيرُهُ الْمُطَابِقُ لِمَعْنَاهُ فَهَذَا مَحْمُودٌ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ التَّأْوِيلَ الصَّحِيحَ لِلْمُتَشَابِهِ عِنْدَهُ وَهُوَ التَّفْسِيرُ فِي لُغَةِ السَّلَفِ وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ أَحْمَد وَلَا غَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ إنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ لَا يَعْرِفُ الرَّسُولُ وَلَا غَيْرُهُ مَعْنَاهَا بَلْ يَتْلُونَ لَفْظًا لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ»[(١)].

## الشرح

أشار بهذا الرد على طائفة المجهلة الذين يجهلون الرسول -عليه الصلاة والسلام -، ويقولون: إنَّ الرسول لا يعرف معاني القرآن، وكذلك جبريل، فهؤلاء يسمون: المجهلة.

وهناك طائفة يسمون: المؤولة، وهؤلاء ملاحدة - نسأل الله السلامة والعافية - وهذا من أبطل الباطل، فالرسول ﷺ يعرف معناه، وكذلك جبريل وإنما المجهول كيفية الصفات لا يعلمها إلا الله، كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب»[(٢)].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/ ٣٩١).

(٢) انظر: الرد على الجهمية، للدارمي، (١٠٤)، ص: ٦٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٣/ ٤٤٠) وما بعدها، والأسماء والصفلات، للبيهقي، (٨٦٧)، [٢/ ٣٠٥)، وجوَّد إسناده ابن حجر، فتح الباري [٤٠٧/١٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك وقدر روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي ال عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك: في أنا لا نعلم كيفية ذاته ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك» مجموع الفتاوى، (٥/ ٣٦٥).

أما معاني القرآن معروفة، ما فيها إشكال، لكن كيفيات الأمور الغيبية، وكيفيات الصفات، لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو، وكيفية ذاته ﷻ وحقائق الجنة وحقائق النار وما يكون فيها من الحقائق على ما هي عليه، لا يعرف حقيقته ذلك إلا الله ﷻ.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

وذكر في ص ١٣٤ أن تفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص، المثبتة للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله، ثم قال: فإنكار السلف والأئمة لهذه التأويلات الفاسدة، كما قال الإمام أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكَّت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله.

فهذا الذي أنكره السلف والأئمة من التأويل كما ذكر شيخ الإسلام في ص١٣٥ أنَّ الراسخين في العلم يعلمون علم تأويل المتشابه، وقال: (وَهَذَا أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ إمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ الصَّابِرُ فِي الْمِحْنَةِ الَّذِي قَدْ صَارَ لِلْمُسْلِمِينَ مِعْيَارًا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ لَمَّا صَنَّفَ كِتَابَهُ فِي "الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ" تَكَلَّمَ عَلَى مَعَانِي الْمُتَشَابِهِ الَّذِي اتَّبَعَهُ الزَّائِفُونَ ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ٧] آيَةً آيَةً وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا وَفَسَّرَهَا لِيُبَيِّنَ فَسَادَ تَأْوِيلِ الزَّائِفِينَ وَاحْتَجَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى وَأَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ وَرَدَّ مَا احْتَجَّ بِهِ النُّفَاةِ مِنْ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ وَبَيَّنَ مَعَانِيَ الْآيَاتِ الَّتِي سَمَّاهَا هُوَ مُتَشَابِهَةً وَفَسَّرَهَا آيَةً آيَةً)[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/ ٤١٤).

وذكر في ص ١١٣ - ١١٤: أن الْمُتَشَابِهَ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لِلْآيَةِ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مِنْ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ فَقَدْ يَكُونُ. مُتَشَابِهًا عِنْدَ هَذَا مَا لَا يَكُونُ مُتَشَابِهًا عِنْدَ هَذَا.

وقال: (وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ السَّلَفِ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ هَذَا فَإِنَّ أَحْمَد ذَكَرَ فِي رَدِّهِ عَلَى الْجَهْمِيَّة: أَنَّهَا احْتَجَّتْ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ الْمُتَشَابِهِ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقد فسر أحمد قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِمَّا عَلِمْنَا مَعْنَاهَا لَمْ تَكُنْ مُتَشَابِهَةً عِنْدَنَا وَهِيَ مُتَشَابِهَةٌ عِنْدَ مَنْ احْتَجَّ بِهَا وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا هُوَ إلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ الْمُحْكَم وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَد فِي تَرْجَمَةِ كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي الْحَبْسِ وَهُوَ "الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّة فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ").

## الشرح

على هذا يكون الإمام أحمد رحمه الله صنف هذه الرسالة وهو في الحبس.



**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

ثُمَّ فَسَّرَ أَحْمَد تِلْكَ الْآيَاتِ آيَةً آيَةً فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُتَشَابِهَةً عِنْدَهُ بَلْ قَدْ عَرَّفَ مَعْنَاهَا، وَعَلَى هَذَا فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ هَذَا الْمُتَشَابِهِ الَّذِي هُوَ تَفْسِيرُهُ وَأَمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَته الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ فَتِلْكَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ[1].

واستدل شيخ الإسلام: في ص ٥٩ لتجنب ما ابتدعه المتكلمون في العقيدة، بما ورد في خطبة هذا الكتاب.

ونص عبارة شيخ الإسلام: (قال الإمام أحمد في خطبة كتابه في "الرد على الجهمية والزنادقة": الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ، بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْضَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدَعِ، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُجْتَمِعُونَ عَلَى مُخَالَقَةِ الْكِتَابِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ،

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/ ٣٨١).

وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ) ا.هـ.

## الشرح

هذه مقدمة رسالة الإمام أحمد نقلها شيخ الإسلام في مؤلفاته ﷺ في مواضع[1]، مما يدل على أنَّ الإمام شيخ الإسلام ﷺ ابن تيمية يجزم بأنَّ هذه الرسالة للإمام أحمد؛ ولهذا نقلها في كتبه، ونشرها في كتبه، حتى نقل الخطبة نفسها.



(١) انظر: الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٥٣)، والنبوات (١/ ٥٦٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢١)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢١٧)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٣)، وتفسير سورة الإخلاص (ص٥٩).

**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

أن شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ نقل مقدمة الإمام أحمد في مواضع - كما تقدم -.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة بصدد اختلاف أهل الكلام في الكتاب: وَقد قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي خُطْبَةِ مُصَنَّفِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي مَحْبَسِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ، بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى". فساق خطبة الكتاب ثم قال: (وَهُوَ كَمَا وَصَفَهُمْ - أي الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ الْمُخْتَلِفِينَ أَهْلُ الْمَقَالَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ: إِمَّا نَقْلًا مُجَرَّدًا لِلْأَقْوَالِ، وَإِمَّا نَقْلًا وَبَحْثًا وَذِكْرًا لِلْجِدَالِ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، كُلٌّ مِنْهُمْ يُوَافِقُ بَعْضًا وَيَرُدُّ بَعْضًا، وَيَجْعَلُ مَا يُوَافِقُ رَأْيَهُ هُوَ الْمُحْكَمُ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَمَا يُخَالِفُهُ هُوَ الْمُتَشَابِهُ الَّذِي يَجِبُ تَأْوِيلُهُ أَوْ تَفْوِيضُهُ)[١].

وقال في الرسالة التدمرية: (كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه - تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله، كما قال أحمد في كتابه الذي صنفه «في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٤).

**وتأولته على غير تأويله»: وإنما ذمهم لكونهم تأوّلوه على غير تأويله، وذكر في ذلك ما يشتبه عليهم معناه، وإن كان لا يشتبه على غيرهم، وذمهم على أنهم تأولوه على غير تأويله، ولم ينف مطلق التأويل، كما تقدم من أن لفظ «التأويل» يراد به التفسير المبيِّن لمراد الله به، فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذاك لا يعلمه إلا هو"[١].**

## الشرح

هذا بعض ما ورد في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية من الاعتماد على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية والتصريح بأنه للإمام أحمد بن حنبل يضاف إلى ذلك إتيان شيخ الإسلام في "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" أو (نقض تأسيس الجهمية) بكثير من نصوص هذا الكتاب: "الرد على الزنادقة والجهمية"، مع تعليقات قيمة على كل نص من تلك النصوص لشيخ الإسلام نفسه.



(١) انظر: التدمرية (١١٢).

**قال الأنصاري - رحمه الله -:**

**وقد أكثر ابن القيم من نقل نصوصه أي: الرد على الزنادقة والجهمية في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" فثبت بهذا كله ثبوتًا لا يدع مجالا للشك أن هذا الكتاب للإمام أحمد بن حنبل ﷺ وجزاه عن تأليفه خيرًا، والله تعالى ولي التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل».**

## الشرح

وبهذا يتبين أنَّ هذه الرسالة - لا شك - أنها للإمام أحمد وأن التشكيك في إثباتها وفي نسبتها للإمام أحمد لا وجه له، وإنما يشكك في ذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة حتى لا تثبت؛ لأنها رد عليهم، وإبطال لمعتقدهم وضلالهم.

والجهمية والمعتزلة والأشاعرة موجودون في كل زمان، وهم موجودون في هذا الزمان، وفي هذا الزمن أيضًا يشككون في نسبة هذه الرسالة، ويقولون: إنها ليست للإمام أحمد كما شكك من سبقهم من إخوانهم من الجهمية والمعتزلة.



# الصوارم الوادقة ببيان الرد على الجهمية والزنادقة

## فيما شكت فيه من متشابه القرآن

## وتأولته على غير تأويله للإمام أحمد بن حنبل

## المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وعليه نتوكل.

**أخبرنا الإمام القاضي سيف الدين أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد السلماسي قال: أنبا القاضي الإمام الزاهد أبو الحسين بن الإمام أبي يعلى بن الفراء بمسجده بباب المراتب في شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة، قلت له: قرأت على المبارك بن عبدالجبار بن أحمد الصيرفي في جامع المنصور في سنة تسع وثمانين وأربعمائة قلت له: أنبأك أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي عن أبي بكر عبدالعزيز بن جعفر عن أبي بكر الخلال قال: أنبأنا الخضر بن المثنى الكندي قال: حدثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: قال هذا ما أخرجه أبي رضي الله عنه في: "الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله".**

**قال أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه وأثابه الجنة وغفر لنا وله بمنه وكرمه، آمين:**

## الشرح

هذه الرسالة - كما سبق - سماها المؤلف رحمه الله: "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله"، الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي نسبت إليه الجهمية وهي عقيدة نفي الصفات عن الله عز وجل؛ لأنه أظهر هذه البدعة،

وإن لم يكن أول مَن تكلم في هذه البدعة، فإنه سبقه شخص آخر يقال له: الجعد بن درهم، وهو أول من حُفظ عنه في الإسلام مقالة التعطيل، والتعطيل: إنما هو في كلمتين: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، لكن هاتين الصفتين ترجع إليهما جميع الصفات، فقد أنكر الخلة والمحبة، وقال: ليس هناك خلة ولا محبة؛ لأنه في المحبة لا بد أن تكون هناك نسبة بين المحب والمحبوب، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق فمعناه قطع الصلة بين العباد وبين ربهم.

وأنكر أن يكون الله كلم موسى تكليمًا، فأنكر التكليم، وإنكاره التكليم معناه: إنكار الرسالات والشرائع؛ لأن الرسالات والشرائع إنما هي بالكلام، فالله تعالى تكلم، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالكلام، فلهذا أفتى العلماء - وهم من التابعين - بقتل هذا الرجل، وأنه يستحق القتل والإعدام، فقتله خالد بن عبد الله القسري - أمير العراق والمشرق -، وذلك في يوم عيد الأضحى، بعدما صلى العيد صعد المنبر وخطب الناس، وقال في آخر الخطبة - وكان الجعد بن درهم عنده في أصل المنبر مقيداً -: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلمْ موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه ذبح الشاة، وقد شكره العلماء وأثنوا عليه، منهم العلامة ابن القيم في "الكافية الشافية"، قال:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة ... (لله) درك من أخي قربان[1]

(١) انظر: نونية ابن القيم (١/ ٧).

ولا شك أن أهل السنة شكروه بهذا، ولا شك أن هذه الأضحية يعدل أجرها كثيراً من الضحايا؛ لأن في هذا قطع لدابر الفتنة والشر والفساد، فهي أفضل من الأضحية؛ لأن الأضحية سُنَّة، أما هذا فواجب؛ لقطع لدابر الفتنة والبدعة والضلالة.

وقد اتصل الجهم بن صفوان بالجعد بن درهم قبل أن يُقتل، فتقلد عنه هذه المقالة، وتبنى عقيدة نفي الصفات، ونشرها ودافع عنها حتى نسبت المقالة إليه، فقيل: الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، وإلا الأصل أن أول من تكلم بها: الجعد بن درهم فالأصل أن يقال: الجعدية، لكن الجعد قتل في أول إظهاره لهذه البدعة، قبل أن تنتشر عنه، ثم نشرها الجهم بن صفوان.

والجهم بن صفوان أيضًا قيض الله له من يقتله، قتله سلْم بن أحوز أمير خراسان بها؛ ولهذا سمى المؤلف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذه الرسالة الرد على الجهمية والزنادقة.

والزنادقة: جمع زنديق، وتطلق الزنادقة على الملحد الجاحد للخالق، المتحلل من الأديان، ويطلق على المنافق، يسمى زنديقاً، كما ذكر شيخ الإسلام وغيره[1]: كان السابقون يسمون الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان منافقاً، ثم اصطلح المتأخرون على تسميته بالزنديق، وهي كلمة فارسية معربة.

ولهذا ذكر أهل اللغة - كما في المصباح المنير - "الزِّنْدِيقَ هُوَ الَّذِي لَا يَتَمَسَّكُ بِشَرِيعَةٍ وَيَقُولُ بِدَوَامِ الدَّهْرِ، وَفِي التَّهْذِيبِ وَزَنْدَقَةُ

(١) انظر: الصارم المسلول (١/ ٣٦١).

الزِّنْدِيقِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وَلَا بِوَحْدَانِيَّةِ الْخَالِقِ"[١].

إذن الزنديق: يطلق على: الملحد الجاحد المعطل، ويطلق على المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان والإسلام.

وقد جاءت الرسالة ووصلت إلينا بهذا السند، وقد تقدم الكلام والرد على الشبه المشككة في صحة هذه الرسالة للإمام أحمد رحمه الله



(١) انظر: المصباح المنير (١/ ٢٥٦).

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ، بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدَعِة، وَأَطْلَقُوا عِنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ المضلِّين.

## الشرح

هذه هي خطبة الإمام أحمد رحمه الله في هذه الرسالة، وهي خطبة عظيمة، مازال العلماء ينقلونها في كتبهم ويستشهدون بها، كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، فكثير من أهل العلم يستشهدون بهذه الرسالة فيقولون: قال الإمام أحمد في رسالة الرد على الزنادقة "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم..."

ويسردونها، فهي خطبة عظيمة، واستشهاد العلماء من أهل السنة والجماعة ونقل هذه الرسالة في كتبهم أيضًا من الأدلة التي تثبت نسبة هذه الرسالة للإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

❍ قوله: «**الحمد لله**» الحمد: هو الثناء على المحمود في صفاته وأعماله مع حبه وإجلاله وتعظيمه، هذا هو الحمد، ثناء على الصفات وعلى الأعمال والأفعال مع حبه وإجلاله وتعظيمه، بخلاف المدح: فإنه ثناء بدون حب وإجلال، فأنت تمدح الأسد فتقول: قوي العضلات، ولا تحب الأسد، فهذا هو الفرق بين المدح وبين الحمد، المدح: ثناء وإخبار بالصفات، لكن لا يلزم أن يكون معه حب وإجلال وتعظيم.

أما الحمد فهو ثناء في الصفات الاختيارية الجميلة والأفعال مع الحب والإجلال؛ ولهذا جاء الحمد لله تعالى، فوصف سبحانه نفسه بالحمد ولم يصف نفسه بالمدح، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢].

والحمد أعم من الشكر من وجه وأخص من وجه، فالحمد والشكر بينهما عمومٌ وخصوصٌ وجهي، يجتمعان في شيء، ويفترقان في شيء آخر، فالشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح فيكون بالقول ويكون بالعمل، فمن هذه الجهة يكون الشكر أعم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سَبَإ: ١٣]، أما الحمد فإنه يكون باللسان مع اعتقاد القلب؛ ولهذا قال الشاعر:

**أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً ... يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبا**

والحمد أيضًا يكون في مقابل الجميل وبدون مقابل، فالله تعالى يُحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِمَا اتصف به من الصفات العظيمة؛ ولما أنعم به على

عباده من النعم العظيمة، خلقهم وأوجدهم من عدم، ورباهم بنعمه، وهداهم وعلمهم وأعطاهم السمع والأبصار والأفئدة، فهو ﷻ يستحق الحمد؛ لما اتصف به من الصفات العظيمة، والأفعال الجميلة، ويستحق الحمد؛ لإنعامه وإفضاله ﷻ، أما الشكر فإنه يكون في مقابل النعمة، فتشكر الشخص في مقابل الإحسان، أما إذا لم يكن هناك إحسان فلا يكون هناك شكر.

❍ قوله: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ، بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ**»، الزمان معروف، وجمعه أزمنة، وهو الوقت، يطلق على الوقت القليل والكثير، والسنة: أربعة أزمنة، وهي الفصول الأربعة: الربيع والخريف والشتاء والصيف، والفترة: هي الانقطاع، ويقال: فتر عن العمل: انكسرت حدته، وفتر عن الحر: إذا انكسر، فمعنى قول المؤلف: «**على فترة من الرسل**» يعني: على انقطاع بعثهم، ودروس أعلام دينهم. وتطلق الفترة على ما بين الرسولين، كما بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - ففي الوقت الذي يكون فيه انقطاع ودروس واندراس أعلام الدين يقيض الله من أهل العلم بقايا يدعون الناس إلى الخير والحق، ويردونهم إلى الصواب.

جاء في هذا المعنى - في معنى ما ذكره الإمام أحمد - حديث: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»، وهو حديث لا بأس بسنده، رواه أبو داود وغيره[(١)]، فهذا يؤيد ما ذكره الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الخطبة.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ، رقم (٤٢٩١)، وَصَححهُ الْحَاكِم، وَقَالَ الزين الْعِرَاقِيّ: سَنَده صَحِيح.

❍ قوله: «وَيَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى» فالبقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويردونه إلى الصواب، والضلال: هو الانحراف، عن شرع الله ودينه يقال له: ضلال، والهدى: هو العلم النافع؛ والعلم النافع: هو المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله.

❍ قوله: «وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى»، هكذا شأن الدعاة والمصلحين، يتأسون بالرسل - عليهم الصلاة والسلام - فيصبرون على الأذى؛ لأن الداعية إذا دعا الناس إنما يقف في وجوههم ويصدهم عن رغباتهم وأهوائهم وشهواتهم، وهم لا يرضون بذلك، فلا بد أن يؤذوه، إما بقول أو بفعل، فلا بد من الصبر، فإذا لم يتسلح العالم أو الداعية بسلاح الصبر فإنه لا يستطيع أن يقوم بالدعوة؛ ولهذا قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، فالصبر لا بد منه في أداء الفرائض والواجبات، ولا بد منه في ترك المحرمات، ولا بد منه في الدعوة إلى الله، من لم يصبر لا يستطيع أن يقوم بالدعوة.

فهؤلاء العلماء هم البقايا من أهل العلم في الزمان الذي تندرس فيه أعلام الدين، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، فإذا سبوهم أو شتموهم أو ضربوهم صبروا، تأسيًا بالرسل - عليهم الصلاة والسلام - فقد أوذوا وصبروا، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(١)، ونوح - عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٧٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٩٢).

والسلام - أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم ويصبر هذه المدة الطويلة، وهم يردون عليه ردًّا سيئًا، ويقابلونه مقابلة سيئة، ويقولون: إنه مجنون، حتى أخبر الله عنه أنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٥-٩]، هكذا نبي الله - عليه الصلاة والسلام - يصبر، وأولوا العزم لهم من القوة والتحمل والصبر والجلد ما ليس لغيرهم، حتى قال الله لنبينا ﷺ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فصبر نبينا عليه الصلاة والسلام صبرًا عظيمًا، حيث دعا قومه في مكة فوضعوا على ظهره السلا - سلا الجزور - وهو ساجد[(١)]، وأتاه أبو جهل مرة وخنقه - عليه الصلاة والسلام - حتى جاء أبو بكر وأطلقه[(٢)] وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام يوم أحد وجُرحت وجنتاه، وسال الدم على وجهه - عليه الصلاة والسلام[(٣)]، فالصبر لا بد منه، إذ الصبر هو الذي يتحلى به الرسل والدعاة والمصلحون أسوة برسل الله، ومنزلة الصبر من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، إذ من لا صبر له لا دين له.

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، رقم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٨).

(٣) كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟» أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٠٤).

○ قوله: «يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى» هكذا الدعاة والعلماء أتباع الرسل يحيون بكتاب الله الموتى؛ لأن الكافر ميت القلب، فإذا أسلم وآمن وقرأ كتاب الله وآمن به أحياه الله، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فالكافر ميت القلب، وإن كان يمشي حيًّا بين الناس؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب؛ ولهذا سمى الله القرآن: روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه: نورًا؛ لتوقف الهداية عليه، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

○ قوله: «وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى» هكذا الجاهل والضال والكافر أعمى القلب، وإن كان يبصر بعينيه؛ لأنه لا يرى الحق ولا يعمل به، والعمى في الحقيقة عمى القلب ليس عمى البصر؛ لأن الإنسان إذا عمي بصره وقلبه حيّ ودينه صحيح فلا يضره، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

○ قوله: «فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ» كم: هنا للتكثير يعني: كثير من قتلى إبليس أحياهم أهل العلم.

كيف قتله إبليس؟

● الجواب: يعني: قتله بالإضلال، قتل روحه وقتل قلبه وقتل اعتقاده، قتله بأن سوّل له الكفر والضلال والانحراف، فكان بذلك

قتيلاً لإبليس، هذا هو القتيل الحقيقي، والمعاصي قتل نسبي، والقتل الكامل هو الشرك. فالقتيل: هو الذي قُتل قلبه، حيث أزيل اعتقاده، ولم يعتقد اعتقادًا صحيحًا في الله وأسمائه وصفاته، أما قتيل الجسد: فإنه إذا قُتِلَ وعقيدته سليمة وأعماله مستقيمة فلا يضره ذلك إذا كان مظلوماً؛ لأنه يكون شهيداً، إنما المصيبة قتيل الروح والاعتقاد والدين.

فالعلماء أحيوا كثيرا ممن قتلهم إبليس من عباد القبور والأوثان، فدعاهم العلماء إلى الله فآمنوا بالله ووحدوه وأخلصوا له العبادة فأحيوهم ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾.

❍ قوله: «وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ» يعني: كثير من الضلال الذين ضلوا عن الصواب وتاهوا عن طريق الحق قد هداه أهل العلم، ويقرر الإمام أحمد رحمه الله أنه ما أكثر الذين قتلهم إبليس فأحياهم أهل العلم، وما أكثر الذين ضلوا عن الصواب وتاهوا عن الحق والهدى قد هداهم أهل العلم، بأن دَعَوْهُمْ إلى الحق، وبينوا وأوضحوا لهم، فهداهم الله بسببهم.

❍ قوله: «فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ!» ما أحسن أثر العلماء على الناس! وما أقبح أثر الناس على العلماء، و«ما أحسن» للتعجب، وأثر العلماء الحسن على الناس هو: دعوتهم وإرشادهم ونصيحتهم وتنبيههم والنصيحة لهم، ينقذونهم من ظلمات الشرك والجهل والبدعة إلى نور العلم واليقين والسنة، فهذا أحسن أثر. فهم ينقذونهم من الضلالة، والكفر والبدعة، وهذا أثر عظيم يفوق إطعامهم وكسوتهم والنفقة عليهم؛ لأن الإطعام والنفقة والكسوة - وإن كان النفقة معروف فضلها -، إنما هي نفقة وإطعام وكسوة للجسد،

والجسد في هذه الدنيا يهيئ الله له من يقيم أوده، ولكن التعليم والإنقاذ من الجهل والكفر والضلال والبدعة هذا أمر عظيم، يفوق الإحسان إلى الناس بالمال.

وفي المقابل قال: «وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ» فالناس يؤذون العلماء، ولاسيما الجهال، فيسبونهم، ويشتمونهم، ويرمونهم بالبدعة، وقد يقتلونهم، وفي مقدمة العلماء الأنبياء والرسل -عليهم السلام - فهم العلماء، وهم أعلم الناس بالله، ثم أتباعهم من بعدهم، ومن أثر الناس على الأنبياء أن ضربوهم وجرحوهم وشتموهم وقتلوا بعضهم، قال الله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٨٧]، فزكريا عليه السلام قُتِلَ، ويحيى عليه السلام قُتِلَ، ونبينا - عليه الصلاة والسلام - ضربه أهل الطائف حتى أدموه، وبعض العلماء سُجِن، وبعضهم ضُرب بالسياط كالإمام أحمد ضرب وسُحِب وسُجِن، فهذا من أثر الناس على العلماء.

ثم قال رحمه الله يبين وصف العلماء وأعمالهم الجليلة: «يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ» هذه من أعمالهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، النفي: الإزالة، يعني: يزيلون ويبعدون عن كتاب الله تحريف الغالين، ما هو التحريف؟ التحريف: التغيير والتبديل، تحريف الكلام أن يعدل به عن جهته، كقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفَال: ١٦]، أي: إلا مائلاً لأجل القتال، لا مائلاً هزيمة، فالتحريف معناه: التغيير، كيف يحرف الكتاب؟ قد يحرف اللفظ، وقد يحرف المعنى، ومن أمثلة تحريف اللفظ تحريف بعض الجهمية قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، قرءوها: "وكلم اللهَ موسى تكليمًا"، فحرفوا حيث نصبوا لفظ الجلالة؛ يريدون أن يكون

الله هو المُكلَّم، وموسى هو المُكَلِّم، حتى ينفوا الكلام عن الله، بزعمهم أن الله لا يتكلم، وهذا التحريف في اللفظ.

ولما استدل عليهم أهل السنة في إثبات الكلام بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]، قال الجهمي "وكلم اللهَ موسى" فالله هو المُكَلَّم لا يتكلم، فقال له السني: كيف تفعل بقول الله ﷻ ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]، فأوّله وغيّر المعنى فقال معناه: جرحه بأظافر الحكمة، ومنه قول العرب: فلانٌ كلْمه يدمى، أي: جرحه، فهذا من تحريف الغالين، تحريف في المعنى، وتحريف في اللفظ، ومن ذلك أيضًا تحريف الجهمية والمعتزلة معنى قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]. قالوا: معناه: استولى، وكذلك تحريفهم للرحمة فقالوا معنى الرحمة: إرادة الإنعام، والغضب: إرادة الانتقام، والرضا: إرادة الثواب، وهذا من التحريف في المعنى.

إذن العلماء ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، الغالي: هو الذي يزيد عن الحد، يقال له: غال، فيقال: غلا في الدين غلوًّا أي: تصلب وشدد حتى جاوز الحد، ومنه قول الناس: غلا السعر، أي: ارتفع. وقولهم: غلت القدر، ومنه قول الله تعالى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

**والغلاة أنواع:**

منهم من غلا في الصفات، ومنهم من غلا في القَدَر، ومنهم من غلا في الصحابة، فمثلاً: الجهمية والمعتزلة ينفون الصفات عن الله ﷻ والأسماء، بزعمهم أنهم ينزهون الله، وهذا غلو في التنزيه، فنقول لهم: هذا تعطيل وتقصير، وقد زدتم عن الحد، وإنما التنزيه هو أن

يقال: إنَّ الله ﷻ لا يشبه المخلوقين في شيء من صفاتهم، لكن لا تنفوا عنه الصفات، له صفات وأسماء ﷻ تليق بجلاله وعظمته، لا تشبه صفات المخلوقين، لا يشابه الله أحدًا من خلقه في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته.

كذلك أيضًا المشبّهة الذين غلوا في الإثبات، قالوا: نحن نثبت لله الأسماء والصفات، فله أسماء وصفات مثل صفات المخلوقين، ومثل أسماء المخلوقين، فقالوا: إن الله يعلم كعلمنا ويقدر كقدرتنا، ويرى كرؤيتنا، حتى قالوا: إن الله مثل الإنسان، حتى قال غلاتهم - وهم من الشيعة الغلاة الكفرة -: إن الله يندم ويحزن ويبكي، وأنه ينزل عشية عرفة على أهل عرفة ويُسامر ويُحاضر ويُصافح، وينزل أيضاً عشية عرفة على جبل - قبحهم الله -، حتى زادوا وغلوا في الأسماء والصفات فقالوا: إن الله مثل المخلوقين، فهذا الغلو ينفيه أهل العلم.

كذلك القَدَرية، وهم طائفتان:

**الأولى: طائفة النفاة**، يقولون: إن الله تعالى لم يُقَدّر أفعال العباد وأن العباد خالقون لأفعالهم، وهذا غلو في إثبات أفعال العباد، ويستدلون بالمتشابه بمثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤]، ويقولون: إن العبد يستحق الثواب على الله، كما يستحق الأجير أجره؛ لأنه هو الذي خلق فعله لقول الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢]، كما أن العاصي الذي يموت على الكبيرة يجب على الله أن يعذبه وأن يخلده في النار، هكذا أوجبوا على الله، وكل هذا غلوّ.

**الثانية: الجبرية**، الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله، وأنه

ليس له أفعال، وأفعاله كلها اضطرارية، كحركات المرتعش والنائم، ونبض العروق، فأولئك غلوا في إثبات أفعال العباد، حتى قالوا: إن العباد خالقون لأفعالهم، وهؤلاء غلوا في سلب العبد من أفعاله، حتى قالوا: إنه لا أفعال له، وأن أفعاله كلها اضطرارية، وهذا أيضاً غلو.

إذن هذا كله من التحريف، وهو من الغلو الذي ينفيه العلماء عن كتاب الله ﷻ؛ وهؤلاء يستدلون بالمتشابه من القرآن، ويشككون الناس، ويتأولون القرآن على غير تأويله.

❍ قوله: «**وانتحال المبطلين**» الانتحال: نسبة الشيء، وهو أن ينسب إليه شيءٌ ليس فيه؛ ولهذا في اللغة يقال: نحلته القول: إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره، وادعيته عليه، ونحله القول - في القاموس - كمنعه: نسبه إليه.

فالمبطلون يَنسِبُون إلى القرآن ما ليس منه، كما سيأتي في الأمثلة الكثيرة التي يذكرها الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم يقولون مثلاً: إنَّ في القرآن أنَّ الناس يُعَذَّبُون في غير جرم، وأنَّ هناك جلودًا تعذب لم تذنب، ويستدلون بمثل قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، وهذا من المتشابه، ومن نسبة المبطلين إلى القرآن ما ليس منه، ومثل ما يقولون: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالوا: أنَّ القرآن فيه أنَّ هناك أرضاً ثانية غير هذه الأرض، ويستدلون بالآية، وسيأتي الجواب عن هذا، وهو من الباطل الذي نسبه المبطلون إلى القرآن، فالعلماء ينفون عن القرآن انتحال المبطلين.

❍ قوله: «**وتأويل الجاهلين**» كذلك نفى العلماء عن كتاب الله تأويل الجاهلين، الذين أوّلوا القرآن على غير تأويله، والتأويل: له ثلاث

معان مشهورة: معنيان صحيحان، ومعنى محدث، وهي:

**المعنى الأول**: يطلق التأويل على الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كقوله سبحانه في قصة يوسف لما ذكر له الرؤيا في أول السورة وأنه قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يُوسُف: ٤] ثم في آخر الأمر تحققت لما سجد له إخوته وأبواه قال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾، هذه هي الحقيقة التي آلت إليها الرؤيا.

وكذلك حقائق ما أخبر الله به في الجنة في يوم القيامة تأويلها وقوعها، وكذلك الأوامر والنواهي تأويلها فعلها.

ومن ذلك أن النبي ﷺ لما نزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النّصر: ١-٣]. كان بعد ذلك يكثر عليه الصلاة والسلام: «**أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» **يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**[(١)]؛ يعني: يعمل به، هذا هو التأويل.

**المعنى الثاني**: يأتي التأويل بمعنى التفسير، فتأويل الكلام أي: تفسيره، ومنه قول الإمام ابن جرير ﵀ في تفسيره: القول في تأويل قول الله تعالى، يعني في تفسير قول الله تعالى.

**المعنى الثالث**: يطلق التأويل على صرف الكلام أو اللفظ عن المعنى الظاهر الراجح إلى معنى مرجوح لدليل يقترن به، وهذا أحدثه المتأخرون، وهو باطل، مثل صرفهم معنى ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ [البَقَرَة: ٢٩] إلى

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ، رقم (٨١٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، رقم (٤٨٤).

استولى، فالمعنى الظاهر أنه استواء حقيقي، فاستوى معناها: استقر وعلا وارتفع وصعد، هذا المعنى اللغوي، وهو معروف كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم، والكيف مجهول. فكيفية الاستواء الله أعلم بها.

فأهل الكلام الباطل قالوا نؤوّل استوى بمعنى: استولى.

فإذا قيل لهم: لماذا تؤولون؟ قالوا: الاستواء هو المعنى الظاهر وهو المتبادر، لكن نصرفه إلى معنى مرجوح هو الاستيلاء.

فإذا قيل لهم: لماذا؟ قالوا: عندنا الدليل، وهو أنَّ العقل يمنع أن يكون الله استوى على العرش؛ لئلا يلزم عليه أن يكون الله مشابهاً للمخلوق، فإننا إذا قلنا إنَّ الخالق استوى والمخلوق استوى شابهنا الخالق بالمخلوق، فنصرف الاستواء عن المعنى الظاهر المتبادر إلى معنى آخر مرجوح.

واستدلالهم بالعقل على أن الله لا يمكن أن يكون مستويًا استواء حقيقيًا باطل، وهو من تأويل الجاهلين الذي ينفيه أهل العلم، هذا مثال لقول المؤلف: «**وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**» فالباطل ينفيه أهل العلم عن كتاب الله ﷻ كذلك أيضًا صفة النزول أولوها، فقالوا: ليس نزولًا حقيقيًا، وإن كان هو المعنى المتبادر، فنصرفه إلى معنى بعيد، فنقول: جاء أمره، فإذا قيل لهم: لماذا؟ قالوا: العقل يمنع أن نحمل النزول على معناه الحقيقي؛ لأن الله لا يجوز عليه الانتقال، والنزول من صفات المخلوقين، فنقول: هذا باطل، فهو سبحانه ينزل ولا نكيف النزول.

وهكذا جميع الصفات التي أوّلها أهل الكلام، نفاها أهل العلم عن كتاب الله ﷻ.

ثم وصفهم الإمام ﵀ بقوله: «الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدَعِ» هذا فيه: بيان لشدة تمسك أهل البدع ببدعهم، فمن شدة تمسكهم كأنه جيش يُعقد له لواء، فقائد الجيش إذا عقد اللواء فقد تم توجيه الجيش، أما قبل أن يعقد اللواء قد يوجه الجيش، وقد لا يوجه، فهؤلاء عقدوا ألوية البدعة يعني: صمموا ولزموا البدعة كما أن قائد الجيش يصمم حينما يعقد اللواء للجيش، يصمم على إنفاذه، فهؤلاء عقدوا ألوية البدعة، يعني: لزموها وتمسكوا بها وصمموا عليها.

❍ قوله: «وَأَطْلَقُوا عنان الْفِتْنَةِ» يعني: أن هؤلاء المبتدعة - حينما أولوا كتاب الله وحرفوه وأولوه ونسبوا إليه ما ليس منه - فتنوا الناس عن دينهم وصرفوهم عن الحق، فكأنهم فتحوا باب الفتنة على مصراعيه، حتى كأن الفتنة كانت ممسكة ثم أطلقها هؤلاء، كما أن البعير إذا أطلقت عقاله ذهب البعير، ومعروف عند العرب أن البعير إذا أنيخ يكون هناك عقال تربط به يده حتى لا يقوم، وإذا ربطت اليدين أوثقته، ما يتحرك، فإذا أطلقت العقال قام وذهب، و العقال: هو الخيط أو الحبل الذي تربط به يد البعير، إذا ربطت يد البعير، يقال: عقل البعير، يعني: أمسكه بهذا الحبل الذي تربط به يده، حتى لا يذهب، فإذا أطلقت العقال قام ومشى، فكذلك هؤلاء، كانت الفتنة معقلة ممسكة فجاء أهل البدع فأطلقوها فانتشرت - نسأل الله السلامة والعافية -.

فهذا بيان من الإمام ﵀ لكيفية نشر هؤلاء للفتنة والبدع حيث أطلقوا عقالها فانتشرت بين الناس، وذلك بتحريفهم الذي فيه غلو، ونسبتهم إلى القرآن ما ليس منه، وتأويلهم الباطل، بهذا نشروا الفتنة

بين الناس.

○ قوله: «فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ» الاختلاف في الكتاب: اختلاف في تنزيله واختلاف في تأويله، فأما الاختلاف في تنزيله فقولهم: إن القرآن لم يتكلم الله به، وليس وصفًا من أوصافه، وإنما هذه الألفاظ والمعاني خلقها في غيره، فصار بها متكلماً، وهي واقعة بقدرته ومشيئته إلا أنه لم يتكلم بالقرآن، كما يقول ذلك المعتزلة والجهمية. وقال آخرون: إنَّ الله تكلم بالقرآن، وهو صفة من صفاته ووصف قائم بالله، ألفاظه ومعانيه، لكنه لا يتعلق بقدرته ومشيئته، وقال بهذا السالمية والكلابية والأشاعرة، ومع قولهم: إنه وصف لله، إلا أنهم قالوا: ليس حرفًا ولا صوتًا، وإنما هو معنى قائم بنفسه، كما يقوم العِلْم به.

أما الاختلاف في تأويله، فقد اختلفوا فيه، فصار كل يؤول القرآن على تأويله الذي يعتقده، ويرد المعنى الذي يقوله غيره، فكل منهم يجعل رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه، ويجعل رأي غيره هو المتشابه الذي يجب نفيه أو تأويله، فالجهمية يقولون: قولنا هو الحق في نفي الأسماء والصفات، وقول المعتزلة هو الباطل، والأشاعرة يقولون: قولنا هو الحق، وقول المعتزلة هو الباطل، فكل منهم يتأول القرآن على غير تأويله، ويقول: إنَّ قوله ومذهبه هو الحق، وقول غيره هو الذي يجب تأويله وتفريغه(١).

فاختلفوا في الكتاب، وادعى كل واحد منهم أنَّ قوله هو الصواب والحق، وتأول القرآن على غير تأويله، وضرب كتاب الله بعضه ببعض،

---

(١) أي إبطال قول خصمه الذي فسر به النصوص، وإحلال معنى آخر محله.

كما ثبت في الحديث: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ**»(١)، فاختلفوا في الكتاب، وصار كل واحد ينزع بآية، ويقول: إنَّ قولي هذا هو الحق، ويستدل بالقرآن على قوله، والآخر يستدل بالقرآن على قوله، ويضرب كتاب الله بعضه ببعض.

وخالفوا الكتاب؛ لأن الله تعالى أمر بالاعتصام فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، فالاختلاف والتفرق مخالف للكتاب الذي أمر الله بالاعتصام به ولزومه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٥٣]، فالمعتزلة يقولون: قولنا هو الحق، وقول الجهمية هو الباطل، والخوارج كذلك يقولون: قولنا هو الحق، نحن الأدلة عندنا تدل على أن العاصي مخلد في النار واستدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النِّسَاء: ١٠]، ويقولون: هذا هو الحق، وقول أهل السنة هو الباطل، الذي يجب تأويله، والمعتزلة يقولون: قولنا هو الحق، والنصوص تدل: على أن العاصي خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، والمرجئة يقولون: قولنا هو الحق، والنصوص تدل على أن المؤمن لا يضره - أي - شيء مع إيمانه، وهكذا.

**فكل يدعي وصلا لليلى    وليلى لا تقر لهم بذاكا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر، رقم (٨٥)، وأحمد: رقم (٦٨٤٥).
قال ابن تيمية: محفوظ من رواية عمرو بن شعيب، وأصله في الصحيحين (النبوات ١٥٥).

فكل من هؤلاء المبتدعة يدعي أن قوله هو الحق، وأن قول خصمه هو الباطل الذي يجب تأويله وتفيه.

❍ قوله: «مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ» حيث أنهم لم يعملوا بالقرآن، فقالوا: إنَّ القرآن متواتر قطعي الثبوت، لكنَّ دلالته ظنية لا تفيد اليقين، فمثلاً ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، يقولون: هذه قطعية ثابتة؛ لأنها قرآن، لكن كونه يدل على الاستواء الحقيقي هذا ظني؛ لأنه قد يراد به الاستيلاء، فالدلالة ظنية.

وكذلك يقولون: إنَّ الأحاديث المتواترة قطعية الثبوت ظنية الدلالة.

وأما أحاديث الآحاد، فقالوا: هذه ظنية الثبوت وظنية الدلالة لا يحتج بها لا من جهة السند ولا من جهة المتن، فثبوتها ظني، والدلالة ظنية. والقرآن ليس لهم حيلة فيه في أن يقولوا: ليس بثابت، بل يقولون: صحيح قطعي الثبوت لكنه ظني الدلالة، فسدوا على القلوب معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته من كتابه ﷻ.

ثم أيضًا القرآن والسنة أدلة لفظية نطقية، والأدلة اللفظية والنطقية لا تفيد اليقين، إنما تفيد الظن.

فما الذي يفيده اليقين عندهم؟ قالوا: الذي يفيده اليقين هو الأدلة العقلية، ويسمونها قواطع عقلية، فيرون أنَّ الأدلة العقلية براهين يقينية، وهي المقدمات التي يرتبها أهل المنطق، ويستخرجون النتائج منها، مثل قولهم: الله ليس بجسم، وكل ما ليس بجسم لا يُرى، فالنتيجة: الله لا يرى، فركبوا الدليل من مقدمتين ونتيجة: الأولى: الله ليس بجسم، الثانية: كل ما ليس بجسم لا يرى، فالنتيجة: الله لا يرى، فيقولون: هذا دليل قطعي يقيني، أو برهان يقيني.

أما القرآن والسنة فهي أدلة لفظية، والأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، إذن أبطلوا الاحتجاج بالقرآن والسنة.

❍ قوله: «يَقُولُونَ عَلَى اللهِ، وَفِي اللهِ، وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ».
يقولون على الله بلا علم، في أسمائه وصفاته وشرعه.

والقول على الله بلا علم من أعظم الجرائم، وأعظم الكبائر، حتى إنَّ الله ﷻ جعله فوق الشرك بالله ﷻ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فجعله في مرتبة فوق الشرك؛ لأنه يشمل الشرك ويشمل غيره، كل مشرك قد قال على الله بلا علم، بلسان المقال وبلسان الحال، من عبد مع الله غيره أو أشرك بالله أو جحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة فقد قال على الله بلا علم. فالقول على الله بلا علم يشمل الشرك ويشمل الضلال والبدع، وكل قول على الله بلا علم.

وقد جعل الله تعالى القول بلا علم من إرادة الشيطان في قوله ﷻ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩] فجعله من أمر الشيطان، فالقول على الله بلا علم هذا من أعظم الجرائم والكبائر.

والقول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته كقول بعض المبتدعة: هذه الأسماء ليست أسماء الله وإنما هي أسماء لمخلوقاته، وكقولهم: بأنَّ معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: (استولى) ومن القول على الله بغير علم: زعمهم

أنَّ الله أباح كذا أو حرم كذا في الشرع بغير دليل.

فكل هذا قول على الله بلا علم، وهو يشمل القول على الله بلا علم في أسمائه وفي صفاته وفي شرعه، ويشمل الشرك والبدع والمعاصي، فالمشرك قائل على الله بلا علم؛ ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ «يَقُولُونَ عَلَى اللهِ، وَفِي اللهِ، وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ودينه، فالذي يفتي بغير علم، قال على الله بلا علم، فمن يقول إنَّ الله أباح كذا أو حرم كذا على غير بصيرة فهو قائل على الله بلا علم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، فإذًا القول على الله بلا علم مرتبة فوق مرتبة الشرك؛ لأنه يشمل الشرك وما دونه ويشمل القول على الله بلا علم، في أسماء الله أو في صفاته أو في أفعاله أو في شرعه ودينه.

«يَقُولُونَ عَلَى اللهِ، وَفِي اللهِ، وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ»، في الله: يعني: يقولون: إنَّ الله ليس على العرش هذا قول في الله بغير علم، فالمبتدعة يقولون: إنَّ الله لم يستو على العرش، والحلولية يقولون: إنَّ الله حل في كل مكان، والمعتزلة الذين ينفون أسماءه وصفاته قالوا على الله بغير علم.

كما أنَّ القول على الله بلا علم يشمل ما يقوله القدرية وما يقوله الجبرية وما يقوله الخوارج والمعتزلة من أنَّ القرآن دل على كذا أو كذا، فكل هذا قول على الله بغير علم، وفي «كتاب الله»: أيضًا يقولون في كتاب الله بغير علم - كما سبق - فيقولون: إنَّ كتاب الله دل على

أنَّ الله لم يتصف بالصفات؛ لأنها أسماء لمخلوقاته، ويقولون: إنَّ كتاب الله دل على أنَّ العاصي مخلد في النار، كما يقول الخوارج، وهكذا كذلك يشمل كل من قال في كتاب الله ونسب إلى كتاب الله ما ليس منه كما سيتبين من ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأمثلة الكثيرة.

❍ قوله: «يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ» يعني: يأتون بالآيات المتشابهة ويتأولونها على غير تأويلها.

❍ قوله: «وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنةِ المضلِّين»، وسيسرد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ اثنين وعشرين مثالاً في بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، وهو من القول على الله بلا علم، والقول في كتاب الله بغير علم.

كل هذه الأمثلة أمثلة لقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنة المضلين".



## بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

**قال المؤلف** - **رحمه الله** -:

قَالَ أَحْمَدُ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦].

**الشرح**

هذا المثال الأول في بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله، وقد ذكر المؤلف ﷺ هنا اثنين وعشرين مثالاً، هذا المثال الأول: قالوا في قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، هذا نص آية كريمة من القرآن، نص قرآني، شبهوا فيه وضلوا فيه، وفيما يلي بيان شبهتهم وجواب الإمام.

***

قَالَتْ الزَّنَادِقَةُ فَمَا بَالُ جُلُودِهِمْ الَّتِي عَصَتْ قَدْ احْتَرَقَتْ، وَأَبْدَلَهُمْ الله جُلُودًا غَيْرَهَا؟ فَلَا نَرَى إِلَّا أَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ جُلُودًا لَمْ تُذْنِبْ حِينَ يَقُولُ: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦].

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ.

**الشرح**

هذه هي الشبهة، فأجاب الإمام عن هذه الشبهة بقوله:

فَقُلْتُ لهم: إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦].

لَيْسَ معناه جُلُودًا غَيْرَ جُلُودِهِمْ، وَإِنَّمَا مَعْنى ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تَبْدِيلَهَا: تَجْدِيدُهَا، لِأَنَّ جُلُودَهُمْ إِذَا نَضِجَتْ جَدَّدَهَا اللَّهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ خَاصٌّ وَعَامٌّ، وَوُجُوهٌ كَثِيرَةٌ، وَخَوَاطِرُ يَعْلَمُهَا الْعُلَمَاءُ.

## الشرح

إلى هنا انتهى جواب الشبهة، وانتهى المثال الأول.

إذن المثال الأول: هو أن المشبهة والزنادقة قالوا في قول الله تعالى في آية النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّسَاء: ٥٦] إنَّ الله تعالى قال: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ إذن يعذب الله جلودًا لم تذنب، ويلزم من ذلك أن يكون الله ظالماً، - تعالى الله عما يقولون -، عذب أحداً بغير جرم، عذب جلودًا ما أذنبت، وهذا باطل.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: هذا من أبطل الباطل، أيها الزنادقة ليس المراد بالتبديل هنا تبديل الجلود، أنه يؤتى بجلود أخرى تُعذب، لا، المراد بالتبديل: التجديد، جلودهم هي نفسها تجدد، تبدل تبديل تجديد لا تبديل جلود أخرى وذوات أخرى، كما أن الكافر يُوَسَّعُ جلده في النار حتى يشتد العذاب.

وكما جاء في مانع الزكاة - كما في صحيح مسلم -: أنه «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ**»[١] قال العلماء: لا يوضع درهم على درهم، ولا دينار على دينار، وإنما يُوَسَّعُ جلده

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، رقم (٩٨٧).

حتى يشمل هذه الدراهم والدنانير التي منع الزكاة، ولو كانت أوراقاً نقدية يجعلها الله شيئًا قويًا كالدراهم والدنانير، حتى يعذب.

فهذا تبديل تجديد، ليس تبديل جلود أخرى، قد يقول قائل: ها أنتم أوّلتم هذا التأويل فلماذا تؤولون بدلناهم جلودًا غيرها، وظاهر الآية أنها جلود أخرى، فكيف تتأولون؟ أجاب المؤلف ﷺ فقال: «**لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ خَاصٌّ وَعَامٌّ، وَوُجُوهٌ كَثِيرَةٌ، وَخَوَاطِرُ يَعْلَمُهَا الْعُلَمَاءُ**».

القرآن فيه خاص وعام ووجوه كثيرة وأفهام يعلمها العلماء، لأن القرآن يُضَمُّ بعضه إلى بعض، والنصوص يضم بعضها إلى بعض من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالله تعالى قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٨]، وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصّلت: ٤٦]، فالله تعالى لا يظلم أحدًا، فلا يمكن أن يعذب أحدًا بغير جرم، ولا يمكن أن يعذب أحدًا لم يذنب، والله تعالى نزه نفسه عن الظلم، ونفاه عن نفسه، وحرم الظلم على نفسه، كما في الحديث القدسي - حديث أبي ذر - **يقول الله** ﷻ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»(١)، فالله تعالى حرم الظلم على نفسه فلا يمكن أن يظلم أحدًا، فلو كان أتى بجلود أخرى لكان ظالمًا والله تعالى منزه عن الظلم، فلا يمكن هذا، وقال تعالى: ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [الشُّعَراء: ٢٠٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٧٦].

وإذا كان يوسف - عليه الصلاة والسلام - لما جعل الصواع في

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٧).

رحل أخيه وأخذ أخاه؛ لأن معه الصواع، جاء أخوته يطلبون منه أن يأخذ أحدهم مكانه: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

ماذا كان الجواب؟ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٩]، أتريدونا أن نظلم؟ هذا الظالم الذي أخذ الصواع، هو الذي نأخذه، أما أن نأخذ واحداً بدله، هذا ظلم، فإذا كان يوسف - عليه الصلاة والسلام - يقول هذا ولا يأخذ واحداً بدل واحد، فكيف يقال: إنَّ الله يعذب جلودًا لم تذنب، فليس هذا تأويلاً مخالفاً لظاهر القرآن، بل هو تفسير للقرآن بالقرآن، فالقرآن يُضَم بعضه إلى بعض.

ونظير تبديل الجلود في الآية تبديلُ الأرض يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فالجهم قال: تبدل أرض أخرى غير هذه الأرض، وهذا باطل، فليس المراد تبديل ذات بذات، المراد: تبديل صفات.

فالأرض نفسها تمد كما يمد الأديم، وتسوى ويزال ما فيها من الجبال والأودية وهذا هو تبديلها، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

كذلك أيضًا بعث الأجساد يوم القيامة، فالناس يبعثهم الله أنفسهم، نفس الذوات يعيدها الله، الذرات التي استحالت تراباً، فالإنسان يبلى إلا عجب الذنب(١).

(١) كما في الحديث: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا، رقم (٤٩٣٥)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم (٢٩٥٥).

عجب الذنب وهو العصعص - آخر عظم في العمود الفقري -، هذا لا يبلى، منه خُلِقَ ابن آدم، ومنه يُرَكَّبُ ويعيد الله الذرات التي استحالت، ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القِيَامَة: ٤]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يٰس: ٨١].

فالله تعالى رد على منكري البعث بأنه عالم بالذرات التي استحالت، وقادر على إعادتها، فهذا البعث ليس إنشاء لذوات جديدة، وإنما البعث بعث الأجساد نفسها، جمعٌ بعد تفريق، يجمعها الله بعد أن تَفَرَّقَتْ، ثم تُنَشَّأ، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [العَنكبوت: ٢٠].

ينشأ الناس تنشئة أخرى قوية، تبديل الصفات خلافاً للذوات؛ ولهذا يتحمل الناس ويقفون في موقف القيامة هذا الموقف الطويل، فهذا تبديل صفات، فَتُنَشَّأ الصفات، والذوات هي هي، لكن الصفات هي التي تختلف.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [العَنكبوت: ٢٠].

فإذن التبديل هنا تبديل تجديد، كما أن تبديل الأرض تبديل صفات لا تبديل أرض أخرى، وكذلك بعث الأجساد وإنشائها، بعث وإنشاء عن تفرق لا عن عدم.

الجهم بن صفوان - قَبَّحَهُ الله - قال: إنَّ الإنسان إذا مات يَعْدَمُ وتنتهي ذراته، ثم يبعث الله أناساً آخرين: ويعذب أناساً آخرين لم يذنبوا، وهذا من أبطل الباطل.

ولما قال الجهم بن صفوان هذا القول، أنكر البعث، فقال: إنَّ

البعث الصحيح بعث أجساد، - لكن أجساد أخرى -، فتح باباً لابن سينا الملحد المعروف، فلما قال الجهم إنَّ البعث بعث أجساداً أخرى، جاء ابن سينا وقال: ليس هناك بعث للأجساد إطلاقًا، وإنما البعث للأرواح، فكفر بذلك، وهذا كفر صريح، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التّغَابُن: ٧]، وابن سينا ملحد، ينكر البعث، وينكر وجود الله، وينكر الكتب والرسل.

هذا هو حال ابن سينا الذي اغتر به كثير من الناس، من الصحفيين والإعلاميين، فيقولون: الفيلسوف الإسلامي، وهو ملحد يقول عن نفسه: أنا وأبي من دعوة الحاكم العبيدي، والحاكم العبيدي رافضي خبيث لا يؤمن بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر ولا بالقدر - نسأل الله السلامة والعافية -.

فإذن هذا التبديل تبديل جلود، وتبديل الجلود معناه: تجديدها لا إيجاد جلود أخرى، كما أنَّ تبديل الأرض ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، تبديل صفات، تسوى وتمد كما يمد الأديم ويزال ما عليها، وكذلك السماء قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ [المعَارج: ٨]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرَّحمٰن: ٣٧]، وقال: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾.

كما أنَّ بعث الأجساد بعث لنفس الذرات التي استحالت، يعيدها الله خلقاً جديداً، وينزل الله مطراً فتنبت منه أجساد الناس، وَيُنَشَّأُ الناس نشأة أخرى قوية بها يتحملون؛ ولهذا كان الناس لا يتحملون رؤية الله في الدنيا، وفي يوم القيامة المؤمنون يرون ربهم، أما في الدنيا ما يستطيع أحد أن يرى الله، ولما قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾

[الأعراف: ١٤٣] قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ما استطاع ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فالتنشئة غير التنشئة، التنشئة للصفات، أما الذوات فهي هي؛ ولهذا يكون الناس طولهم في الجنة على طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء، وأما العرض فجاء في حديث رواه الترمذي أن عرض الواحد سبعة أذرع لكن الحديث فيه ضعف(١).

أما هذا الطول فثابت في الصحيحين عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**»(٢) فذاته عليه السلام هي هي، لكن الصفات تختلف.

وكذلك الكافر يعظم خلقه في النار، جاء في صحيح مسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ**»(٣)، وذلك حتى يُعَذَّب الكافر، يُوَسَّع جلده ولكن هو هو، ليس شخصاً آخر، هذا من الأمثلة التي شَبَّه فيها الزنادقة وتأولوا القرآن على غير تأويله، قالوا: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النِّساء: ٥٦]. قالوا: جلودًا أخرى أبدلت فالله يعذب جلودًا لم تذنب فيكون ظالماً، نعوذ بالله، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.



(١) كما جاء عند أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ طُولُ آدَمَ سِتِّينَ ذِرَاعًا فِي سَبْعَةِ أَذْرُعٍ عَرْضًا**».

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رقم (٣٣٢٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٤١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٥١).

## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قول الله ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾** [المُرسَلات: ٣٥-٣٦]. **ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾** [الزُّمَر: ٣١]. **فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟، قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾** [المُرسَلات: ٣٥]. **ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾** [الزُّمَر: ٣١] **فَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ.**

## الشرح

شبهتهم يقولون: إنَّ الله قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المُرسَلات: ٣٥]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: ٣١]. إذن ينطقون، وفي الآية الأخرى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المُرسَلات: ٣٥]، قالوا: هذا تناقض، فالقرآن متناقض، في آية يقول: لا ينطقون، وفي آية يقول: يختصمون.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا تَفْسِيرُ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية** [المُرسَلات: ٣٥]، **فَهَذَا أَوَّلُ مَا تُبْعَثُ الْخَلَائِقُ عَلَى مِقْدَارِ سِتِّينَ سَنَةً لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي**

**الاعْتِذَارِ فَيَعْتَذِرُونَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُونَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ الآية [السَّجدَة: ١٢]، **فَإِذَا أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ فَتَكَلَّمُوا وَاخْتَصَمُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزُّمَر: ٣١]، **عِنْدَ الْحِسَابِ وَإِعْطَاءِ الْمَظَالِمِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ:** ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ [قٓ: ٢٨]. **(أي: عندي)** ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨﴾ [قٓ: ٢٨] **يعني: في الدنيا، فَإِنَّ الْعَذَابَ مَعَ هَذَا الْقَوْلِ كَائِنٌ.**

## الشرح

المثال الثاني لِمَا شكت فيه الزنادقة من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله أنهم قالوا: إن الله تعالى أخبر في آية أنهم لا ينطقون، وفي آية أخبر أنهم يختصمون، وهذا تناقض.

أجاب الإمام ﷺ بأنَّ مواقف القيامة متعددة، فيوم القيامة يوم طويل ويوم عظيم، ففي بعض المواقف لا ينطقون، وفي بعضها ينطقون؛ لأنَّ مشاهد القيامة متعددة؛ ولهذا قال الإمام ﷺ أول ما يبعث الله الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ما يتكلمون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ثم بعد ذلك يَأْذَن الله لهم في الكلام فيتكلمون.

ولهذا أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السَّجدَة: ١٢]، لمّا أُذِنَ لهم في الكلام تكلموا، قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾، وطلبوا الرجعة، أن يرجعوا في الدنيا حتى يعملوا صالحًا ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السَّجدَة: ١٢]، فحينئذ يتكلمون، ويختصمون، وهذا هو معنى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزُّمَر: ٣١]، يعني: عند الحساب وإعطاء

المظالم، ثم بعد اختصامهم يقول الله لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ [ق: ٢٨] يعني: في الدنيا جاءكم الوعيد والتحذير والتخويف والإنذار ثم بعد هذا لا يكون إلا العذاب.

فهم في الأول لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فينطقون ويعتذرون ويطلبون الرجعة ويختصمون فرد الله تعالى عليهم ببيان أنهم في الدنيا جاءهم الوعيد والتحذير والإنذار، وجاءتهم الرسل وبلغتهم القرآن والسنة، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ [ق: ٢٨]، ثم بعد ذلك - حيث قامت عليهم الحجة - لا يكون إلا العذاب؛ ولهذا قال المؤلف: «فَإِنَّ الْعَذَابَ مَعَ هَذَا الْقَوْلِ كَائِنٌ».



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ:** ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، **وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى:** ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن﴾ [الأعراف: ٤٤]، **فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟ قال:** ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، **ثُمَّ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذلك.**

## الشرح

هذه الشبهة، قالوا فيها: إنَّ القرآن متناقض، في آية أخبر الله أنهم لا يتكلمون ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، وفي آية أخرى أخبر أنهم يتكلمون قال: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فكيف يكون في آية يحشرون بكماً، وفي آية يحشرون وهم يتكلمون، هذه هي الشبهة.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا تَفْسِيرُ** ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠] **فَإِنَّهُمْ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُونَ النَّارَ يُكَلِّمُ بَعْضُهُمْ**

**بَعْضًا، وَيُنَادُونَ: ﴿يَمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]. ويقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٤٤] و﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]. فَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى يقال لَهُمْ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، صَارُوا عُمْيًا وَبُكْمًا وصُمًّا، وَيَنْقَطِعُ الْكَلَامُ وَيَبْقَى الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ.**

## الشرح

إذن الجواب أنه ليس في كلام الله تناقض، بل كلام الله يصدق بعضه بعضًا، وإنما الآيات كل آية محمولة على حال، ففي الحال الأولى في الوقت الأول حين دخولهم النار يتكلمون، وينادي بعضهم بعضًا، وينادون مالك خازن النار، ويقولون: ﴿يَمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]. وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].

ويُنادُون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، يتكلمون في أول الأمر، ثم بعد ذلك يقول الله لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فعند ذلك يصيرون عميًا وبكمًا وصمًا، وينقطع الكلام، ولا يبقى إلا الزفير والشهيق، نسأل الله السلامة والعافية.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَولُ الله ﷻ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصَّافات: ٥٠]. فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الكلامِ الْمُحْكَمِ؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.**

## الشرح

شبهتهم: إنَّ الآيتين متنافيتان، آية تنفي التساؤل، وآية تثبت التساؤل، فالآية الأولى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والآية الثانية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصَّافات: ٥٠]، فكيف ذلك؟

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فَهَذَا عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، إِذَا قَامُوا مِنَ الْقُبُورِ، لَا يَتَسَاءَلُونَ، وَلَا يَنْطِقُونَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ، فَإِذَا حُوسِبُوا، وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَقْبَلَ**

**بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

أجاب الإمام ﵀ بأنَّ مواقف القيامة ومشاهدها متعددة، ففي أول الأمر في المشهد الأول عند النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، إذا قاموا من القبور لا يتساءلون، ولا ينطقون في ذلك الموطن، حتى يأتي الحساب، فإذا حوسبوا، ودخلوا الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، مثل ما سبق أنَّ أهل النار حينما يدخلون النار يتساءلون، وينطقون، ويتكلمون.

فإذن عند النفخ في الصور وعند القيام من القبور في أول الأمر في أول مشهد من مشاهد القيامة بعد النفخة الثانية، وعند القيام من القبور لا يوجد تساؤل، لا يتساءلون، ولا يتكلمون، فإذا حوسبوا تكلموا، وتساءلوا، فهذا محمول على حالة، وهذا محمول على حالة، فلا تناقض في كلام الله ﷻ.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قول الله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: ٤٢-٤٣]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤]، قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَمَّ قَوْمًا كَانُوا يُصَلُّونَ، فَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾، وَقَدْ قَالَ فِي قَوْمٍ إِنَّهُمْ إِنَّمَا دَخَلُوا النَّارَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُصَلِّينَ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِك، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ.**

## الشرح

الشبهة أنهم يقولون: عندنا آيتان متنافيتان، آية فيها أنهم دخلوا النار؛ لأنهم لم يكونوا مصلين، فدخلوا النار من أجل تركهم للصلاة، وفي آية تتوعد المصلين: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾، فكيف ذلك؟

آية فيها أنَّ أهل النار دخلوا النار بسبب تركهم للصلاة، إذن تركهم للصلاة من أسباب دخولهم النار، والآية الأخرى تتوعد المصلين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤] والويل شدة العذاب والهلاك، وقيل: واد في جهنم لكن الأقرب أنه شدة العذاب والهلاك، فأخبر أنَّ المصلين هالكون، وغير المصلين هالكون، فكيف هذا؟ لأن مفهوم ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: ٤٣] أنَّ المصلي ناج، فهم هلكوا، فما سبب هلاكهم؟ وعذابهم في سقر؟ كونهم لم يصلوا، إذن الذي يصلي ناج،

لكن جاءت آية أخرى تتوعد المصلي بالويل فكيف ذلك؟

[جواب الشبهة]:

**[قَالَ] أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] عَنَى بِهَا الْمُنَافِقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥] حَتَّى يَذْهَبَ الْوَقْتُ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٦].**

**يَقُولُ: إِذَا رَأَوْهُمْ صَلُّوا، وَإِذَا لَمْ يَرَوْهُمْ لَمْ يُصَلُّوا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣] يَعْنِي: مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله بأنَّ كل آية محمولة على حالة، فالآية التي فيها ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤]. قال: المراد بهم المنافقون بدليل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٦]. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾، فهم يصلون نفاقًا لا عن إيمان بالله ورسوله، بل عن رياء ومراءاة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾، يقول: إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا.

ويدل على هذا ما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(١)؛ لأن المنافقين لا يصلون عن إيمان بالله وبرسوله، فكانوا يصلون الظهر والعصر والمغرب أمام الناس يراءونهم؛ لأن الظهر والعصر والمغرب في وقت النهار، كلٌّ يراهم، فهم يصلون

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، بابُ فَضْلِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ، رقم (٦٥٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٥١) واللفظ له.

رياء، لكن في وقت العشاء وفي وقت الفجر ظلام، ما عندهم أنوار، ولا عندهم كهرباء مثل الآن، لا في الشوارع، ولا في المساجد، فيكون المسجد مظلماً، والشوارع مظلمة، ففي وقت العشاء ووقت الفجر يتخلفون؛ لأنهم يظنون أنهم يخفون على الناس، فلا يرونهم، فيتخلفون، فلذلك كانت هاتان الصلاتان ثقيلتين عليهم؛ ولذلك قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ**»[(١)] فلا يليق بالمسلم الذي مَنَّ الله عليه بالإيمان أن يتشبه بالمنافقين وأن يتخلف عن صلاة الصبح وصلاة العشاء.

فصلاة العشاء تقع في وقت للراحة عند قوم، والانشغال عند آخرين، وصلاة الفجر تقع في وقت النوم والراحة، فالواجب على المسلم أن يكبح جماح نفسه، وأن يجاهد نفسه، وأن يفعل الأسباب التي توقظه، أو ينام مبكرًا لا يسهر، ولا سيما إذا كان السهر على القيل والقال والغيبة والنميمة، أو مشاهدة الأفلام الخليعة، أو سماع الأصوات السيئة.

ولا سيما الجلوس عند هذا الجهاز الخبيث جهاز الدش الذي ينشر عقائد النصارى والخلاعة والمجون والتفسخ والعري، وَيُزَهِّدُ في الأخلاق الإسلامية، ويدعو إلى التشكيك في دين الله ﷻ كيف يليق بالمسلم أن يفعل هذا؟

يسهر على هذا الجهاز الخبيث، ثم يتخلف عن صلاة الصبح، ولا يصلي إلا بعد الفجر، بعض الناس ديدنهم ذلك وعادتهم.

هذا من المصائب حتى قال جمع من أهل العلم: إنَّ الشخص الذي يصلي الفجر بعد الشمس باستمرار أنه مرتد كافر، ولا تفيده الصلاة،

---

(١) سبق تخريجه.

ولو صلاها ألف مرة لا تفيده؛ لأنَّ الله حدد الصلاة بأوقات: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النِّسَاء: ١٠٣].

وأفتى سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز رحمه الله(١) بأنَّ الذي لا يستيقظ إلا بعد طلوع الشمس أنه مرتد، ويكون كافراً، ولا تصح صلاته؛ لأنه متعمد، بخلاف الإنسان الذي فعل الأسباب التي توقظه، لكن فاتته بغير اختياره فهذا معذور؛ لكن الذي يضبط الساعة على وقت العمل بعد طلوع الشمس، لا يستيقظ إلا مرة واحدة لصلاته وعمله، فهذا تعمد ترك الصلاة.

فالواجب على المسلم أن تشتدَّ عنايته بالصلوات الخمس عمومًا، وبهاتين الصلاتين خصوصًا حتى لا يتشبه بالمنافقين، قال العلماء: لو أنَّ الإنسان جلس يقرأ القرآن، أو يصلي الليل، وهو يعلم أنَّ صلاته في الليل وقراءة القرآن تكون سببًا في نومه، وتأخيره عن الصلاة، صار حراماً عليه قراءة القرآن وصلاة الليل، لماذا؟

لأنَّ قراءة القرآن وصلاة الليل مستحبة سنة، وصلاة الفجر فرض، فكيف يشتغل بالسنة عن الفرض.

فإذا كان الذي يقرأ القرآن، ويصلي في الليل، يتسبب في ترك صلاة الفجر حرام عليه، فكيف الذي يسهر على مشاهدة الأفلام الخليعة على هذا الجهاز الخبيث، أو القيل والقال، ولهذا كان النبي ﷺ «**يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا**»(٢)، فالجلوس بعد صلاة العشاء مكروه إلا

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٠/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّوْمِ قَبْلَ العِشَاءِ، رقم (٥٦٨)، ومسلم: كتاب كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم (٦٤٧).

لما لا بد منه كالسمر في طلب العلم، أو السمر مع الضيف، أو السمر مع الأهل، أو الشيء العارض.

فإذن الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إنَّ قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤]، محمولة على المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٥]، يعني: يسهون عن الصلاة، فيتركونها بالكلية، هذا سهو، أو يسهون عن الصلاة فيؤخرونها عن وقتها، أو يسهون عن الصلاة فيؤخرونها عن وقتها الأول فهي تشمل المنافقين النفاق العملي والنفاق الاعتقادي، أو يسهون عن أركانها وواجباتها، أو يسهون عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، كل هذا داخل في السهو، وكل له نصيب من هذا السهو، ومن جمع هذه الأنواع، فقد تمت له الخسارة - نسأل الله العافية -.

ويدل على هذا الحديث الصحيح الذي عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»(١).

إذن وَصَفَ المنافق بأنه يؤخر الصلاة يرقب الشمس حتى إذا كادت تغرب، يؤخرها عن وقتها، ووصفه بأنه ينقر الصلاة كنقر الغراب، ووصفه بأنه لا يذكر الله فيها إلا قليلا.

هذه ثلاثة أوصاف للمنافقين يؤخر الصلاة عن وقتها، وينقرها نقر الغراب، يعني: لا يطمئن في ركوعها وسجودها، ولا يذكر الله فيها إلا قليلا.

فهذه الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤]، محمولة على مَن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٢٢).

يصلي، لكن إما يصلي رياء ونفاقًا، أو يصلي ويؤخر الصلاة عن وقتها بالكلية، أو عن وقتها الأول المختار، أو عن أداء شروطها وواجباتها، أو عن خشوعها وتدبر معانيها.

أما الآية الثانية: وهي آية المدثر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: ٤٢-٤٣]، فيقول الإمام: هذه الآية في الموحدين المؤمنين.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: ٤٣] يعني أنهم تاركين للصلاة بعد أن كانوا مؤمنين موحدين، فلما تركوا الصلاة ارتدوا يعني: هي ليست في المنافقين.

فالآية الأولى في المنافقين وهذه الآية في المؤمنين قبل أن يتركوا الصلاة، فلما تركوها دخلوا النار، فسألهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾، يعني: تركنا الصلاة، هذا هو الظاهر مما ذكره الإمام رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: ٤٢-٤٣]، من الأدلة التي تدل على أن ترك الصلاة كُفْرٌ وقد استدل بها العلماء على أن ترك الصلاة كفر ولو لم يجحد وجوبها، وإن كان لهم خصال أخرى يكفرون بها، لكن ذكر أول خصالهم وهي ترك الصلاة.

أما إذا جحد وجوب الصلاة فإنه كافر بإجماع المسلمين، كما إذا جحد وجوب الزكاة، أو وجوب الصوم، أو وجوب الحج، لأنه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فهو كفر بالإجماع، لكن اختلفوا فيما إذا تركها ولو لم يجحد وجوبها.

وأدلة من قال بكفر تارك الصلاة ولو لم يجحد وجوبها كثيرة: منها قول النبي ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**» رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما[(١)] والبينية حد فاصل بين الشيء والشيء الآخر، فجعل بين الإسلام وبين الكفر ترك الصلاة.

ومنه حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عند أحمد وأصحاب السنن: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[(٢)] وهو من أقوى الأدلة أيضًا على أن ترك الصلاة كفر، ولو لم يجحد وجوبها.

ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ نهى عن الخروج على ولاة الأمور ما داموا يقيمون الصلاة، فقال في حديث عوف بن مالك الأشجعي عند الإمام مسلم رحمه الله: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ - يعني تدعون لهم ويدعون لكم - وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ - يعني: ما داموا شرار ويتلاعنوا أفلا ننابذهم بالسيف - فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[(٣)] إذن الحديث أصل في عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي؛ خلافًا للمعتزلة والخوارج والرافضة.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ، رقم (٢٦٢١) وقال حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، والنسائي: الصلاة (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة (١٠٧٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٥).

فالخوارج عندهم أن ولي الأمر إذا فعل معصية كفر يجب خلعه وقتله والخروج عليه، والمعتزلة كذلك عندهم أصل من أصولهم الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فستروا تحت النهي عن المنكر: الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، فسموه النهي عن المنكر.

والرافضة كذلك ليس عندهم الإمام إلا الإمام المعصوم، وهم الأئمة الاثنا عشر.

وعلى هذا جميع ولاة الأمور من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس إلى من بعدهم كلهم ولاة جور وظلم يجب قتلهم والخروج عليهم، ولا إمامة إلا للإمام المعصوم.

وأهل السنة والجماعة خرجوا عن هذه المعتقدات الفاسدة، فلا يوافقون الخوارج ولا المعتزلة ولا الرافضة، بل يرون السمع والطاعة لولاة الأمور فيما هو من طاعة الله، وأما المعاصي فلا يطاع فيها أحد، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فإذا أمر وليُّ الأمر أو الأميرُ بالمعصية فلا يطاع، وإذا أمر الأب ابنه بالمعصية فلا يطيعه، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا تطيعه، ولكن ليس معنى كونه لا يطيعه في المعصية أنه يخرج عليه ويؤلب عليه وينابذه، لا، فالمعنى أنه لا يطيعه في المعصية، فإذا فعل ولي الأمر معصية فإنه لا يجوز الخروج عليه، ولو ظلم بعض الناس، أو قتل بعض الناس، أو سجن بعض الناس، أو شرب الخمر، أو فعل معصية ما فلا يجوز الخروج عليه، لماذا؟

• الجواب: لأن الخروج على ولاة الأمور يترتب عليه مفسدة

أعظم وهي الافتراق والانشقاق، وإراقة الدماء، وتربص الأعداء، وتناحر المسلمين وتطاحنهم فيما بينهم وتفرقهم وذهاب ريح الدولة، واختلال أحوال المسلمين المعيشية والاقتصادية والتعليمية والسياسية والاجتماعية.

وهناك قواعد شرعية معروفة مأخوذة من النصوص، وهي أنه إذا وجد مفسدتان لا بد من ارتكاب أحدهما، تُرْتَكَبُ أدنى المفسدتين؛ لزوال أعلاهما، فعندنا هنا مفسدتان:

**الأولى:** معصية ولي الأمر بأنه عصى وفسق، فهذه المعاصي مفسدة.

**الثانية:** مفسدة الخروج عليه، وهذه يترتب عليها إراقة الدماء وانشقاق المسلمين وتربص الأعداء بهم الدوائر، واختلال الأمن، والتعليم، والاقتصاد، والسياسة، والزراعة والصناعة، ويترتب عليها أيضاً أمور عظيمة لا تُحْمَد عقباها.

فأي المفسدتين أعظم؟

• الجواب: الخروج أعظم مفسدة، فترتكب المفسدة الدنيا، وهي أن نصبر على معصية ولي الأمر، وندعو له، ونناصحه بما نستطيع، فالنصيحة مبذولة من العلماء ومن غيرهم بما يستطيعون، ولو قُدِّرَ أنَّ الإنسان ما استطاع أو ما حصل شيء فيصبر، ثم أيضًا صبرك فيه تكفير للسيئات، ورفع للدرجات.

وعلى الجميع التوبة إلى الله، وإصلاح الأنفس والأعمال والأحوال، فإنَّ الله - تعالى - ما سلط ولاة الأمور إلا لفساد أعمال الرعية، والجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، فجور الولاة من كسب الرعية، فإذا أراد الرعية أن يصلح الله ولاة الأمور فليصلحوا أنفسهم، هكذا قرر أهل العلم، وهكذا قرر أهل السنة والجماعة.

فمعتقد أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي خلافًا لأهل البدع، فمن شعار أهل البدع الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي كالرافضة والخوارج والمعتزلة، وأما معتقد أهل السنة والجماعة وهو من أصول أهل السنة والجماعة واعتقادهم الذي انفصلوا فيه عن أهل البدع عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والسمع لهم في طاعة الله، وفي الأمور المباحة، وأما المعاصي فلا يطاع فيها أحد.

■ مسألة: متى يجوز الخروج على ولاة الأمور؟

• الجواب: إذا حصل كفر بواح، كفر صريح بواح، كما في الحديث الآخر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١) كفر موصوف بهذه الأوصاف بواح، يعني: بَيِّن ظاهر صريح، لا لبس فيه: «**عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» فإذا وجد الكفر الصريح جاز الخروج بشرطين:

**الشرط الأول**: القدرة على ذلك.

**الشرط الثاني**: أن يُزَال هذا الكافر، أو الحكومة الكافرة ويُؤْتَى بدلها بحكومة مسلمة، لا بد من هذا، أما أن يزال كافر، ويأتى بكافر مكانه فإنه ما حصل المقصود، فلا بد أن يغلب على الظن أنه يزال هذا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، رقم (٧٠٥٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٧٠٩).

الكافر ويؤتى بدله بمسلم، ويكون هذا مع القدرة، أما إذا كان لم يكن ثم قدرة فكما قال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

فإذا ضممت هذا الحديث: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[(١)] وحديث: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[(٢)] مفهومه أنهم إذا لم يقيموا الصلاة، فهم كفار، يجوز الخروج عليهم، فإذا ضممت هذا الحديث إلى هذا الحديث دل على أن ترك الصلاة كفر بواح.

وهذا من أقوى الأدلة على أن ترك الصلاة كفر بواح، وهذا بالجمع بين الحديثين:

الحديث الأول: حديث عوف بن مالك «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[(٣)] يعني: لا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا فيكم الصلاة، مفهومه أنهم إذا لم يقيموا الصلاة فهم كفار، يجوز الخروج عليهم.

الحديث الثاني: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[(٤)] فلما أجاز النبي ﷺ الخروج على ولاة الأمور إذا لم يقيموا الصلاة، ولم يُجِزْهُ في الحديث الآخر إلا إذا وجد الكفر البواح، دل على أن ترك الصلاة كفر بواح، وهذا من أقوى الأدلة على أن ترك الصلاة كفر.



(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قول الله ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: ٢٠] ثُمَّ قَالَ: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصَّافات: ١١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرَّحمٰن: ١٤]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ وَقَالُوا هَذَا لا شك أَنَّه يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.**

## الشرح

بيان الشبهة: أنَّ خلق آدم عليه السلام جاء في آيات متعددة، بعضها: أنَّ آدم خلق من تراب، وفي آية أنَّه خلق من طين لازب، وفي آية أنَّه خلق من سلالة، وفي آية أنَّه خلق من حمإٍ مسنون، وفي آية أخرى أنَّه خلق من صلصال كالفخار، كيف ذلك؟

• الجواب: بيَّن الإمام رحمه الله أنَّ هذه الأشياء كلها ترجع إلى شيء واحد، ولا يوجد تناقض، كلام الله يصدق بعضه بعضًا.

[جواب الشبهة]:

**فهَذَا بَدْءُ خَلْقِ آدَمَ، خَلَقَهُ اللَّهُ أَوَّلَ بِدئِهِ مِنْ تُرَابٍ.**

**ثُمَّ مِنْ طِينَةٍ حَمْرَاءَ وَسَوْدَاءَ وَبَيْضَاءَ، وَمِنْ طِينَةٍ طَيِّبَةٍ وَسَبْخَةٍ، فَلَذَلِكَ ذُرِّيَّتُه طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ، أَسْوَدُ وَأَحْمَرُ وَأَبْيَضُ، ثُمَّ بَلَّ ذَلِكَ التُّرَابَ فَصَارَ**

طِينًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢]، فَلَمَّا لَصِقَ الطِّينُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَصَارَ طِينًا لَازِبًا يعني لَاصِقًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: ١٢] يَقُولُ مِثْلَ الطِّينِ إِذَا عُصِرَ انْسَلَّ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ، ثُمَّ نَتِنَ فَصَارَ حَمَأً مَسْنُونًا، فَخُلِقَ مِنَ الْحَمَأِ، فَلَمَّا جَفَّ صَارَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ، يَقُولُ صَارَ لَهُ صَلْصَلَةٌ كَصَلْصَلَةِ الْفَخَّارِ، يقول لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الْفَخَّارِ فَهَذَا بَيَانُ خَلْقِ آدَمَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨]، فَهَذَا بَدْءُ خَلْقِ ذُرِّيَّتِهِ، ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ يَعْنِي: النُّطْفَةَ إِذَا انْسَلَّتْ مِنْ الرَّجُلِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾، يَعْنِي النُّطْفَةَ ﴿مَّهِينٍ﴾ [يَعْنِي]: ضَعِيفٌ، فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

إذن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ بيَّن أن آيات القرآن يصدق بعضها بعضًا، فخلق الله آدم من تراب، هذا بدء خلقه ثم بَلَّ ذلك التراب فصار طينًا، وهذه الطينة حمراء وسوداء وبيضاء فجاءت الذرية هكذا: طَيّب وخبيث، وأسود وأحمر، وأبيض.

ثم بعد ذلك لما بَلَّ ذلك الطين لصق بعضه ببعض، فصار طينًا لازبًا يعني: لاصقًا، ثم صار سلالة، مثل الطين إذا عصر انسلَّ من بين الأصابع، ثم نتن يعني صار له رائحة كريهة، فصار حمأ مسنونًا، فخلق من الحمأ، فلما جفَّ هذا الطين صار صلصالا كالفخار له صلصلة كصلصلة الفخار دوي كدوي الفخار.

وأما ذرية آدم فهم مخلوقون من سلالة من ماء مهين، فالذرية

مخلوقون من الماء، فكل واحد من بني آدم مخلوق من ماء الرجل وماء المرأة، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٧].

فالماء - ماء الرجل وماء المرأة - يكون نطفة في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يتحول أربعين يومًا علقة - قطعة دم -، ثم تتحول بعد أربعين يومًا مضغة، والمضغة: قطعة لحم، سُمِّيَ مضغة بقدر ما يمضغ في الفم، ثم بعد ذلك خلق من المضغة عظامًا، ثم كسا العظام لحمًا.

ثم يرسل الله - سبحانه - الملك بعد مضي أربعة أشهر كما في بعض الأحاديث، وبعضها قبل ذلك، فينفخ فيه الروح، ويأمر بِكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**»(١).

فإذن آدم مخلوق من تراب ثم بلَّ الله ذلك التراب فصار طينًا، ثم بعد ذلك صار لازبًا لاصقًا، ثم نتن، ثم يبس فصار له صلصلة، هذا خلق آدم، أما الذرية فكلهم مخلوقون من الماء من صلب الرجل، وترائب المرأة.

إلا حواء فإنها مخلوقة من ضِلَع آدم، وإلا عيسى فإنَّه مخلوق من أم بلا أب، خلقه الله بلا أب، ثم أرسل إليه جبريل فنفخ في جيب درع مريم فحملت بإذن الله، قال الله له: كن فكان: قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣).

عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ [آل عِمرَان: ٥٩].

فتكون قسمة آدم وبنيه قسمة رباعية:

١- آدم خلقه الله من تراب، من غير ذكر ولا أنثى.

٢- حواء خلقت من ذكر بلا أنثى؛ لأنها خلقت من ضلع.

٣- وعيسى خلق من أنثى بلا ذكر.

٤- سائر الناس من ذكر وأنثى، فتمت القسمة رباعية، ولله الحكمة البالغة.

**والخلاصة**: أن آدم مخلوق من تراب، والذرية مخلوقون من ماء، فعلى هذا تكون آيات القرآن متفقة ومؤتلفة، وليست متناقضة كما يشكك بذلك الزنادقة.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ والرد عليها

قال المؤلف - رحمه الله -:

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨]. و﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]. و﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟

## الشرح

بيان شبهتهم: أنَّه جاء في القرآن إفرد المشرق والمغرب، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨]، وفي آية تثنية المشرق والمغرب: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]، وفي آية بالجمع: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠]، فكيف يكون هذا؟

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨]، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي يَسْتَوِي فِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِمَشْرِقِهِ وَمَغْرِبِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]، فَهَذَا أَطْوَلُ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ، وَأَقْصَرُ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ، أَقْسَمَ اللَّهُ تعالى بِمَشْرِقِهِمَا وَمَغْرِبِهِمَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠]، فَهُوَ مَشَارِقُ السَّنَةِ

وَمَغَارِبُهَا، فَهَذَا تفسير مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

أجاب الإمام ﵀ بإن المراد بإفراد المشرق والمغرب اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار، فالليل والنهار لهما استواءان، الاستواء الأول في أول فصل الربيع، والاستواء الثاني في أول فصل الخريف، ويستوي الليل والنهار في فصل الربيع في أول يوم فيه، فيكون الليل اثنتا عشر ساعة والنهار اثنتا عشر ساعة.

فالله ﷻ أقسم بمشرق ومغرب اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨].

وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]، فهذا أطول يوم في السنة حينما يطول النهار، وأقصر يوم في السنة حينما يقصر النهار في الشتاء، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما.

وأما جمع المشارق والمغارب فهذه مشارق السنة ومغاربها.

وهناك جواب آخر أجاب به العلماء وذكره المفسرون فقالوا: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]، التثنية المراد بهما مشرقي الشتاء ومشرقي الصيف.

وأما قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠]، فالمراد مشرق كل يوم ومغرب كل يوم، أي: مشرق كل يوم تطلع فيه الشمس وتبرز إلى الدنيا، وكذلك المغرب، كما قال الإمام: مشارق السنة ومغاربها.

وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨]، فالمراد الجنس - جنس المشرق وجنس المغرب - فيشمل المشارق والمغارب كلها

فيكون: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٨]، مثل: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠].

والمقصود: أنَّ كلاً من الآيات الثلاث لها معنى، وليس في كتاب الله تناقض بحمد لله، كما يتوهمه هؤلاء الزنادقة.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى
## ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَولُ الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ٤-٥]، فَقَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ، وَهُوَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا؟**

## الشرح

الشبهة أنهم قالوا: هذه الآيات متناقضة؛ ففي آية السجدة قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾.

وفي آية المعارج قال فيها سبحانه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ٤-٥]، قالوا: ففي الآية الأولى أنَّ اليوم مقداره ألف سنة، وفي الثانية أنَّ اليوم مقداره خمسين ألف سنة، فكيف يجمع بين ألف سنة في يوم واحد، وخمسين ألف سنة في يوم واحد!، قالت الزنادقة هذا تناقض.

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾، فَهَذَا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، خلقها في ستة أيام، كل يوم مقداره ألف سنة.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: ٥]، وَذَلِكَ أَنَّ جبريل كَانَ يَنْزِلُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سنة، فَهُبُوطٌ خَمْسُمِائَةِ عام، وَصُعُودٌ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، فَذَلِكَ أَلْفُ سنة.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: ٥]، يَقُولُ: لَوْ وُلِّيَ حِسَابَ الْخَلَائِقِ غَيْرُ اللَّهِ، مَا فَرَغَ مِنْهُ فِي يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ، وَيَفْرُغُ اللَّهُ [مِنْهُ] على مِقْدَارِ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، إِذَا أَخَذَ فِي حِسَابِ الْخَلَائِقِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿... وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء)، يَعْنِي: لِسُرْعَةِ الْحِسَابِ.

## الشرح

هذا جواب الإمام أحمد رحمه الله وأتى بآية ثالثة، وهي آية الحج، في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَجّ: ٤٧]، فتكون الآيات ثلاثاً ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَجّ: ٤٧]، والآية الأخرى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السَّجدَة: ٥]، والآية الثالثة: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعَارج: ٤-٥].

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع بين هذه الآيات فقال: إنَّ آية الحج: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَجّ: ٤٧]، هذا من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض، كل يوم كألف سنة، يعني: الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض في قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ: ٣٨]، كل يوم مقداره ألف سنة.

هذا أحد الأقوال، وهو الذي اختاره الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**القول الثاني**: أنَّ مقدار اليوم كأيامنا هذه المعروفة؛ لأنَّ الله خاطبنا بما نعرف.

فآية السجدة وهي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السَّجدَة: ٥]، يعني: في الدنيا، فما بين السماء والأرض خمسمائة عام، كما في الحديث الآخر: «**بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ**»[(١)]، وكما في حديث العباس بن عبد المطلب وغيره أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: «**هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ**

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ ثِيَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ (٢٥٤٠)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ رِشْدِينَ بْنِ سَعْدٍ".

ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وَأَظْلافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ»[(١)].

وعلى هذا فيكون قوله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]، أنَّ جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ ويصعد، فنزوله مقداره خمسمائة، وصعوده مقداره خمسمائة، فيكون مجموع النزول والصعود ألف سنة.

وأما قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] أي: لو ولي حساب الخلائق غير الله ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، إذا أخذ في حساب الخلائق، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

هذا الجمع بين الآيات أحد الأقوال، وجمع ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية - الكافية الشافية - بين هذه الآيات، وذكر أنَّ فيها قولان مشهوران للعلماء، فقال:

«ولقد أتى في سورتين كلاهما ... اشتملا على التقدير بالأزمان
في سورة فيها المعارج قدرت ... خمسين ألفا كامل الحسبان
وبسجدة التنزيل ألفا قدرت ... فلأجل ذا قالوا هما يومان
يوم المعاد بذي المعارج ذكره ... واليوم في تنزيل في ذا الآن»[(٢)]

**القول الأول**: أنَّ آية التنزيل - أي: آية السجدة - في الدنيا، فينزل

---

(١) أخرجه أحمد: رقم (١٧٧٠)، والحاكم: كتاب التفسير، رقم (٣١٣٧)، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) نونية ابن القيم (٧٥).

جبريل بالوحي من الله، ويصعد إليه نزول خمسمائة وصعود خمسمائة، كما قال الإمام أحمد، وأما آية المعارج فهي في يوم القيامة، ويوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أنَّ هذا القول اختاره جماعة من أهل العلم فقال:

**«والقول الأول قول عكرمة وقو ل قتادة وهما لنا علمان**
**واختاره الحسن الرضى ورواه عن بحر العلوم مفسّر القرآن»**(١)

وأيدوا هذا القول بأمرين:

**الأمر الأول**: أنَّ سياق الآية يدل على أنها في يوم القيامة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾ [المعارج: ١-٧].

**الأمر الثاني**: حديث تعذيب مانع الزكاة، كما في صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» **قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ**: «**وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ**

(١) نونية ابن القيم (٤٠٤).

عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[(١)]، فهذا الحديث فيه أنَّ يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة، وهذا يؤيد أنهما يومان، وأنَّ اليوم الأول الذي فيه تنزيل - السجدة - في الدنيا، واليوم الذي في سورة المعارج يوم القيامة في الآخرة.

**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

**«ويرجح القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمران**
**إحداهما ما في الصحيح لمانع لزكاته من هذه الأعيان**
**يكوى بها يوم القيامة ظهره وجبينه وكذلك الجنبان**
**خمسون ألفا قدر ذاك اليوم في هذا الحديث وذاك ذو تبيان»[(٢)]**

**القول الثاني**: أنهما جميعًا في الدنيا، فآية السجدة فيها أنَّ الأمر ينزل من الله ﷻ ثم يصعد إليه، وأنَّ مقدار ذلك ألف سنة؛ لأنَّ الهبوط خمسمائة، والصعود خمسمائة.

وآية المعارج أيضًا في الدنيا ليست في يوم القيامة؛ وذلك أنَّ المسافة مقدار خمسين ألف سنة من العرش إلى الأرض السابعة السفلى فالمسافة هي ما بين العرش إلى المركز الذي في قرار الأرض السابعة السفلى؛ لأنَّ هناك مركز، فالمركز هو محط الأثقال؛ لأنَّ السماوات والأرضين كلها مستديرة الشكل ليس لها جهات إلا جهتان: جهة العلو وجهة السفل، فالأرض مثلاً والسماوات والأفلاك كلها ليس لها إلا جهتان: جهة العلو وجهة السفل.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، رقم (٩٨٧).
(٢) انظر: نونية ابن القيم (٧٦).

**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**«فالألف فيه مسافة لنزولهم وصعودهم نحو الرفيع الداني**
**هذي السماء فإنها قد قدرت خمسين في عشر وذا صنفان**
**لكنما الخمسون ألف مسافة السبع الطباق وبعد ذي الأكوان**
**من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الأسفل التحتاني**
**واختار هذا القول في تفسيره البغوي ذاك العالم الرباني**
**ومجاهد قد قال هذا القول لكن ابن اسحاق الجليل الشان**
**قال المسافة بيننا والعرش ذا المقدار في سير من الإنسان»**(١)

والأرض مستديرة الشكل كروية، وكذلك السماوات بل جميع الأفلاك، قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزُّمَر: ٥]، فالتكوير هو: التدوير، فقوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾، يدل على أنَّ السماوات والأرض مستديرة الشكل.

والأفلاك المستديرة الثابتة ليس لها إلا جهتان: جهة العلو وجهة السفل، فمثلاً الأرض مستديرة بيضاوية، فليس لها إلا جهتان: جهة العلو، وجهة الأسفل، فليس هناك جهة أمام وخلف، ويمين وشمال، وتحت وفوق، بل هذا للحيوانات المتحركة، كالإنسان.

وجهة العلو كل ما كان على الأرض يسمى علواً، من جميع الجهات، لكن من سعى في الأرض، يظنَّ أنَّ هناك ناس تحت، وناس فوق، فمن كان في هذه الجهة يتصور أنَّ الذي هناك تحت وأنه هو فوق، والذي هناك يتصور أنَّ الذي هنا تحته وأنه هو فوق، والواقع أنَّ

(١) المرجع السابق.

كلاً منهما على علو الأرض.

والسفل هو محط الأثقال في الوسط، بحيث أنك لو خرقت في الأرض خرق من هنا، وخرقت من هنا من أسفل لالتقيا في المركز، فلو نزل شخص من هنا، ونزل شخص من هذا التقت رجلاهما في مركز الأرض؛ وهذا المركز هو محط الأثقال.

وكل من كان على ظهر الأرض الآن يسمى على جهتها فالناس جميعاً على ظهر الأرض، وهناك بعض الناس يتصورون أنهم تحتنا الآن، وهم على ظهر الأرض، وهذا من سعة الأرض، فنحن فوق الأرض، وهم فوق الأرض، ولو خرقنا خرقاً وخرقوا هم خرقاً لالتقيا في المركز الذي هو محط الأثقال.

وكونك الآن تتصور أنَّ الأرض تحتك وهو يتصور هذا، لا غرابة فيه، كما أنَّ النملة الآن حينما تمشي على السطح يكون السطح فوقها، وهي تتصوره تحتها، فتمشي على السطح على رجليها، وتظنه تحتها، وهو فوقها، فمحط الأثقال القرار في الأرض السابعة السفلى.

وذكر ابن القيم ﷺ: أنَّ المسافة من العرش إلى القرار - الذي هو محط الأثقال - مسافة خمسين ألف سنة، وعلى هذا فتكون آية السجدة، وآية المعارج، كلها في يوم واحد، واختاره ابن القيم، فقال:

**«وكلاهما عندي فيوم واحد وعروجهم فيه إلى الديان»**[(١)]

وإن كان الأول اختاره فطاحل من العلماء، لكنه اختار هذا القول، ثم ذكر في آخر الفصل أنَّ هذا القول لم ينضج عنده، وأنَّه يعوذ بالله

(١) المرجع السابق.

من القول عليه بغير علم، وهذا من شدة ورعه - رحمه الله ورضي عنه - قال:

**«هذا وما نضجت لدي وعلمها المـ ـوكول بعد لمنزل القرآن**
**وأعوذ بالرحمن من جزم بلا علم وهذا غاية الإمكان**
**والله أعلم بالمراد بقوله ورسوله المبعوث بالفرقان»**[١]

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في الجمع بين الآيتين أربعة أقوال:

(القول الأول: أنَّ اليوم الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة.

والقول الثاني: أنهما يومان في الدنيا، والأول المسافة من السماء إلى الأرض، والثاني المسافة من العرش إلى القرار.

والقول الثالث: أنَّ عمر الدنيا مقداره خمسين ألف سنة.

والقول الرابع: أنَّه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، لكن هذين القولين الأخيرين فيهما ضعف، والراجح القولان الأولان)[٢].

وأرجح القولين الذي اختاره المحققون وهو الذي تبين: أنَّ اليوم الأول الذي في سورة السجدة في الدنيا، واليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة، في الآخرة.

وكأنَّ الإمام أحمد ﷺ أشار إلى هذا فقال: "لو ولي حساب الخلائق غير الله لكان مقداره خمسين ألف سنة".

فهذا هو الصواب الذي تدل عليه النصوص، والذي هو ظاهر الأدلة أنَّ اليوم الذي في سورة تنزيل السجدة: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٨/ ٢٢٢).

سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: ٥]، هذا في الدنيا هبوط وصعود، هبوط خمسمائة، وصعود خمسمائة، وأما اليوم الذي في سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعَارج: ٤]، فالمراد به يوم القيامة بدليل سياق الآيات: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعَارج: ٦-٧]، وبدليل تعذيب مانع الزكاة، وأنَّه يعذب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا...﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ - إِلَى قَوْلِهِ -: ﴿... وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٢- ٢٣]، فَأَنْكَرُوا أَنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النِّساء: ٤٢]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ.

## الشرح

شبهة الزنادقة: أنَّ هناك آيتان متناقضتان: الآية الأولى آية الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٣]، إذن تكلموا وأنكروا الشرك، والآية الأخرى آية النساء قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾، فالآية فيها أنهم لا يكتمون: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النِّساء: ٤٢].

فالآية الأولى فيها أنهم كتموا شركهم، قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾، والآية الثانية نفت الكتمان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ

حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ [النِّسَاء: ٤٢]. ففي آية كتموا، وفي آية لم يكتموا.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿... وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾: وَذَلِكَ أَنَّ أهل الشرك إِذَا رَأَوْا مَا يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِذَا سَأَلَنَا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَلَمَّا جَمَعَهُمْ اللَّهُ، وَجَمَعَ أَصْنَامَهُمْ وَقَالَ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القَصَص: ٦٢]، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعَام: ٢٣]، فَلَمَّا كَتَمُوا الشِّرْكَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ [وَأَمَرَ] الْجَوَارِحَ فَنَطَقَتْ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، فَأَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْجَوَارِحِ حِينَ شَهِدَتْ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله عن الجمع بين الآيتين بأنَّ المشركين لما رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد كتموا شركهم، وقال بعضهم لبعض: إذا سُألنا نقول: لم نكن مشركين، فلما جمعهم وجمع أصنامهم، وقال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القَصَص: ٦٢]، قال الله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعَام: ٢٣]؛ فلما كتموا الشرك ختم الله على الأفواه، وأمر الجوارح فنطقت، وتكلمت، وذلك قوله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، فعلى هذا يكون كتمان الشرك بالنسبة للألسن، الألسن كتمت، والتكلم بالنسبة للجوارح، فإذن قولهم: ﴿وَٱللَّهِ

رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، هذا قالوه بألسنتهم: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢]، بجوارحهم، فجوارحهم هي التي نطقت: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢]، محمول على أنَّ الجوارح هي التي تتكلم، وأما كتمانهم الشرك: ﴿... وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأنعام)، فمحمول على الألسن، فالألسن هي التي كتمت، والجوارح لم تكتم بل تكلمت.

**وهناك جواب آخر**، وهو أنَّ مواقف، ومشاهد القيامة متعددة ففي بعض المواقف يكتمون، وفي بعضها لا يكتمون بل يتكلمون؛ لأنَّ يوم القيامة يوم عظيم، ويوم طويل.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ والرد عليها

قال المؤلف - رحمه الله -:

أَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ [الروم: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣]، وَقَالَ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤]، وَقَالَ تعالى في آية أخرى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢]. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ شَكَّتِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

شكت الزنادقة من أجل الاختلاف بين الآيات، ففي آية يقولون: ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ [الروم: ٥٥]، فيقسموا ما لبثوا غير ساعة، وفي آية لبثوا عشراً، وفي آية لبثوا قليلاً، قال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢].

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣]: قالوا ذَلِكَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، فَنَظَرُوا إِلَى مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ، وقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الْقُبُورِ إِلَّا عَشْرَ لَيَالٍ، ثم اسْتَكْثَرُوا الْعَشْرَ، فَقَالُوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤] فِي الْقُبُورِ، ثُمَّ اسْتَكْثَرُوا الْيَوْمَ فَقَالُوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢] ثُمَّ اسْتَكْثَرُوا الْقَلِيلَ فَقَالُوا:

إن لبثم إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَة.

## الشرح

إذن الجمع بينها واضح، وهو أنَّ هذه الحالات، وهذه الأمور كلها حصلت منهم، فإذا خرجوا من قبورهم، نظروا إلى ما كانوا يُكَذّبون به من البعث فقال بعضهم لبعض: إن لبثتم إلا عشر ليال، ثم استكثروا العشر، فقالوا: إن لبثتم إلا يوماً، ثم استكثروا اليوم، فقالوا: إن لبثتم إلا قليلاً، ثم استكثروا القليل، فقالوا: إن لبثتم إلا ساعةً من نهار.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ [هود: ١٨]. فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا يَقُولُونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ فَزَعَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.**

## الشرح

هذه الشبهة: حيث قال في الآية الأولى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ [هود: ١٨]. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، الخطاب هنا للرسول - عليه الصلاة والسلام -، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النحل: ٨٩].

إذن فالرسل جاء في آية أنهم يقولون لا علم لنا، وفي بعض الآيات أنهم يشهدون عليهم.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، فَإِنَّهُ يَسْأَلُهُمْ عِنْدَ زَفْرَةِ جَهَنَّمَ ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمْ﴾ فِي التَّوْحِيدِ؟ فَتَذْهَبُ عُقُولُهُمْ عِنْدَ زَفْرَةِ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البَقَرَة: ٣٢]، ثُمَّ تَرْجِعُ [إِلَيْهِمْ] عُقُولُهُمْ مِنْ بَعْدُ فَيَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ﴾ [هُود: ١٨]. فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

أجاب الإمام بأنَّ كل من الآيتين محمولة على حال، فقوله ﷻ عن الرسل أنهم ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، هذا عند زفرة جهنم حين تذهب عقولهم، ثم ترجع إليهم عقولهم فيقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ﴾ [هُود: ١٨]، أي: تحمل كل من الآيتين على حالة، ففي أول الأمر عند شدة الهول، يقولون: لا علم لنا، فإذا زال هذا الأمر، وخف هذا الأمر فإنهم يشهدون، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ﴾ [هُود: ١٨].

إذن يقولون في أول الأمر عند زفرة جهنم من شدة الهول ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المَائدة: ١٠٩]؛ لأن الله - تعالى - يقول: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحَجّ: ٢].

وقد جاء في الحديث أنَّ دعوة الرسل «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١) عند مرور الناس على الصراط، ويقول الخليل: «**اللهم لا أسألك إلا**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ (٨٠٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

**نفسي»**(١) فالمقصود أن جواب الإمام ﵀ أنَّ كُلا من الآيتين محمولة على حالٍ، فعند شدة الأمر وشدة الهول عند زفرة جهنم، يقولون ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البَقَرَة: ٣٢]، ثم تعود إليهم عقولهم بعد ذلك، ويخف الأمر فيشهدون، هذا ما أجاب به الإمامُ وهو الجواب الأول.

الجواب الثاني: وهو اختيار الإمام ابن جرير(٢) ﵀ في قوله سبحانه عن الرسل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، يعني: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا؛ لأننا وإن علمنا إجابتهم فإنَّ علمنا علم بالظواهر فقط دون البواطن، وأما أنت يا رب، فعلمك شامل للظواهر والبواطن.

الجواب الثالث: أنَّ قول الله ﷻ: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، سؤال لهم عما عملوا بعدهم، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البَقَرَة: ٣٢]، أي: لا نعلم ما أحدثوا بعدنا، ولا نعلم أعمالهم، وهذا قول مرجوح.

**والمعتمد** القولان الأولان - القول الذي اختاره ابن جرير، والقول الذي ذكره الإمام أحمد -.

وأما القول بأنَّ ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ [المَائدة: ١٠٩]، سؤال لهم عما عملوا بعدهم، فيؤيده قول عيسى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ

(١) انظر: حلية الأولياء (٥/ ٣٧٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٠/ ١٨٦)، قال ابن كثير لِبَعْضِ هَذَا الْأَثَرِ شَوَاهِدُ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١٠).

أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المـائـدة: ١١٦-١١٧]، فالآية قد تدل لهذا القول، لكنَّ المعتمد القولان السابقان.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ يُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾! فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

### الشرح

شبهة الزنادقة: أن في القرآن آية أثبتت النظر إلى وجهه ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وفيه آية نفت النظر فقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢﴾، يَعْنِي: الْحُسْنَ وَالْبَيَاضَ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، يَعْنِي: تُعَايِنُ رَبَّهَا فِي الْجَنَّةِ.

### الشرح

الجواب عن الشبهة أن يقال: هناك فرق بين ﴿نَاضِرَةٌ﴾ الأولى

و﴿نَاظِرَةٌ﴾ الثانية في المعنى وفي الكتاب وفي النطق.

**الفرق بينهما في المعنى:**

**الأولى**: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد - أخت الصاد - من النضرة، والبهاء، والحسن، والجمال؛ ولهذا قال الإمام: يعني الحسن، والبياض: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، يعني: بهية حسنة جميلة، أما **الثانية**: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء - أخت الطاء - يعني: تنظر إلى ربها بعيونها.

**الفرق بينهما في الكتابة:**

**الأولى**: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد - أخت الصاد - تكتب بالألف الصغيرة هكذا ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، أما **الثانية**: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء - أخت الطاء - تكتب بالألف الكبيرة هكذا ﴿نَاظِرَةٌ﴾.

**الفرق بينهما في النطق:**

**الأولى**: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد - أخت الصاد - تخرج من حافة اللسان مع أطراف الأسنان، أما **الثانية**: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء - أخت الطاء - فتخرج من طرف اللسان.

فصار الفرق بين ناضرة وناظرة في النطق، وفي الكتابة، وفي المعنى، فلا بد أن يفرق بينهما بالفروق الثلاثة.

تتمة جواب الشبهة:

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النِّسَاء: ١٥٣]، فَمَاتُوا وَعُوقِبُوا لِقَوْلِهِمْ: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وَقَدْ سَأَلَتْ مُشْرِكُو العرب النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسرَاء: ٩٢]، فَلَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البَقَرَة: ١٠٨]، حِينَ قَالُوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الْآيَةَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُخْبِرُ أَنَّهُ [﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أَيْ أَنَّ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، [فأَمَّا] فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

الجمع الذي جمع بينهما الإمام رحمه الله أنَّ قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، يعني: تنظر إلى ربها في الجنة، فهي في الآخرة، وأما قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، أي: في الدنيا، فلا يرون الله في الدنيا، وما يمكن لأحد أن يرى الله في الدنيا، أما في الآخرة ففيه إثبات النظر، ولا يوجد في هذا تناقض.

يقول الإمام رحمه الله مبيناً هذا: "وذلك أنَّ اليهود قالوا لموسى ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النِّسَاء: ١٥٣]، فماتوا، وعوقبوا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾"، هذا في بني إسرائيل لـمَّا قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾،

أخذتهم الصاعقة، ثم أحياهم الله بعد ذلك ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٥٥-٥٦].

وقد سأل مشركو قريش النبي ﷺ فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ وهذا في سورة الإسراء عندما ذكر الله الاقتراحات التي اقترحها كفار قريش على النبي ﷺ من باب التعنت: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢].

كل هذه اقتراحات من باب التعنت، فلما سألوا النبي ﷺ هذه المسألة، أنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٨]، أي سؤال تعنت ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البَقَرَة: ١٠٨]، حين سأله بنو إسرائيل وقالوا له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النِّسَاء: ١٥٣]، فأنزل الله سبحانه يخبر أنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، أي: لا يراه أحد في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرونه، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

إذن فخلاصة الجواب أنَّ آية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣] محمولة على رؤية المؤمنين في الجنة، وآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، محمولة على الدنيا، وأنه لا يراه فيها أحد.

وهناك جواب آخر في الجمع بين الآيتين، وهو أنَّ آية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ عامة، تخصصها الآية الثانية، وهي ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣]، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هذا عام لكن

يخص من ذلك المؤمنون في الجنة، فإنهم يرونه، وهذا قريب من المعنى الأول، يعني: تكون الآية من باب العموم والخصوص، فآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ عامة، وآية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ خاصة، فلا يراه أحد أبداً إلا المؤمنون، فتكون رؤية المؤمنين خاصة، مخصصة لعموم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

وهناك جواب ثالث، وهو الأحسن والأقرب للصواب، وهو أنَّ قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ليس فيه نفي للرؤية، وإنما فيه نفي للإدراك، والإدراك أخص من الرؤية، والرؤية أعم، فالآية ليس فيها نفي للرؤية فلم يقل: لا تراه الأبصار، إنما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

والإدراك قدر زائد على الرؤية فقد يرى الإنسان الشيء، ولا يدركه؛ لأنَّ الإدراك معناه: الإحاطة بالشيء، ومعرفة كنهه، فالمؤمنون وإن رأوا الله في الجنة لكن لا يدركونه، ولا يحيطون به رؤية.

فالمراد بنفي الإدراك، نفي الإحاطة، المستلزم لمعرفة الكنه، والحقيقة، والكيفية، فالآية نفت الإدراك، ولم تنف الرؤية، ففرق بين نفي الرؤية ونفي الإدراك، فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة، لكن لا يحيطون به رؤية، ولا يعلمون كنهه، بل إنَّ الإنسان في الدنيا الآن يرى الشيء، ولا يحيط به رؤية، فأنت الآن ترى الجبل لكن لا تحيط به رؤية من جميع الجهات.

وأنت في البستان مساحتة عشرة أميال طولًا وعرضاً، ترى البستان، ولا تحيط به رؤية.

والسماء، نراها الآن، ولا نحيط بها، ونرى الأرض، ولا نحيط

بها رؤية.

فإذن هناك فرق بين نفي الرؤية، ونفي الإدراك، فالله - تعالى - لم ينف الرؤية، وإنما نفى الإدراك.

فالله - تعالى - لكمال عظمته، وكونه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء لا يحيط به أحد رؤية، فهو أعظم وأعلى وأجل من أن يحيط به العباد، والله - تعالى - أخبر في قصة مسير موسى ومن معه من الجيش، ولحوق فرعون ومن معه بأن الجمعان تراءيا.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]، ما هم الجمعان؟ الجمع الذي مع موسى والجمع الذي مع فرعون ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٢-٥٦].

ثم قال بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]، صار كل جمع يرى الجمع الآخر، فكل واحد ينظر ﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع بني إسرائيل يرون جمع فرعون ومن معه، ماذا قال أصحاب موسى؟: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١] إذن هذا الإدراك غير الرؤية، ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ يعني: لمحاط بنا، فموسى ﷷ نفى الإحاطة، ﴿قَالَ كَلَّآ﴾، يعني: لستم بمُدْرَكين: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢].

فقال: ﴿كَلَّآ﴾ وإن رأيتم الجيش من بُعد، لكنه لن يحيط بكم، ولن يدرككم ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢].

فلما وصل موسى ﷷ إلى البحر، أمره الله فضرب البحر بعصاه، فانفلق فكان اثني عشر طريقاً على عدد القبائل، فصار يبساً، - الماء الجاري السيال يبس في الحال، فلما تكامل موسى وقومه داخلون،

تبعهم فرعون ومن معه -، فلما خرج موسى ومن معه من الجهة الأخرى، وتكاملوا، وتكامل فرعون ومن معه دخولا، أمر الله البحر بأن يعود إلى حالته، فانطبق على فرعون وقومه فصارت أجسامهم للغرق، وأرواحهم للنار والحرق، نعوذ بالله.

فإذن لا منافاة بين الآيتين، فالآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣] على ظاهرها فيها إثبات الرؤية، وآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، ليس فيها نفي الرؤية، وإنما فيها نفي الإدراك، والإدراك قدر زائد على الرؤية، وهو الإحاطة؛ لأنَّ الإنسان قد يرى الشيء، ولا يحيط به رؤية، والله تعالى أعظم وأجل وأعلى من أن يحيط به العباد رؤية مستلزمة لمعرفة الكل.

كما أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم، ولا يُحَاط به علماً قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] أثبت العلم، يعني: العباد يعلمون ربهم ولكن ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾، ثم أيضاً لو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] لا تراه في الدنيا لم يكن في ذلك مدح وكمال لله عز وجل والآية سيقت مساق المدح، ولو كان المراد بها نفي الرؤية - لم يكن في ذلك مدح، ولا كمال؛ لأنَّ كون الشيء لا يُرَى ليس فيه مدح؛ لأنه يشارك المعدوم، فإن المعدوم لا يُرَى، فهل يمدح المعدوم بأنه لا يُرَى؟ لا يمدح، فلو كان المراد بالآية نفي الرؤية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ لا تراه لم يكن في ذلك مدح، ولا كمال، إنما الكمال إثبات الرؤية، ونفي الإدراك والحقيقية والكنه، فالمعنى أنه سبحانه تراه العيون، ولا تحيط به رؤية؛ لكماله، وعظمته، وكونه أعظم من كل شيء، وهو أعلى من كل شيء، وكونه أجل و أعلى وأعظم من

أن يدركه العباد، أما في الدنيا فالمعروف أنَّ الله - تعالى - لا يراه أحد في الدنيا، ولهذا ثبت في صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ سئل: فقيل له هل رأيت ربك؟ - يعني ليلة المعراج - فقال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(١) وفي لفظ: «**رَأَيْتُ نُورًا**»(٢).

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في صحيح مسلم يقول النبي ﷺ «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣).

إذن لا يراه أحد في الدنيا، ولما سأل موسى الرؤية في الدنيا: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال الله - تعالى -: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لما تجلى الله للجبل تدكدك فلم يثبت، فكيف يثبت البشر الضعيف.

فإذن رؤية الله في الدنيا جائزة عقلاً، لكنها غير واقعة شرعاً، ولا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله في الدنيا، ولهذا جاء في الحديث: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٤) فلا يستطع أحد أن يثبت لرؤية الله، حتى الجبل ما ثبت، لكن

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٨).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٨).
(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٩).
(٤) المصدر السابق.

في يوم القيامة ينشئ الله الناس تنشئة قوية، يتحملون فيها رؤيته ﷻ.

حتى نبينا ﷺ ليلة المعراج ما رأى ربه على الصحيح، والمسألة فيها قولان لأهل العلم، وقد اتفق أهل السنة على أنَّ الله - تعالى - لا يراه أحد في الدنيا، ولا يخالف في هذا إلا بعض المتصوفة وبعض المشبهة الذين لا يعتد بقولهم.

وبعض الصوفية يقول: كل مكان فيه خضرة، لعله يكون فيه ربنا، فهؤلاء كفرة - والعياذ بالله -، لا عبرة بهم وأما ما عداهم فقد أجمعت الأمة على أنَّ الله - تعالى - لا يراه أحد في الدنيا، ولم يختلفوا إلا في رؤية نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج، فليلة المعراج فيها خلاف مع اتفاقهم على أنَّ الله تعالى لم يره أحد في الأرض، واتفاقهم على أنَّ غير النبي ﷺ لم يره.

واختلفوا في رؤية نبينا ﷺ ربه ليلة المعراج في السماء خاصة، لا في الأرض، هل رأى ربه بعين رأسه؟

على قولين لأهل العلم:

**القول الأول:** أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه.

**القول الثاني:** أنه رآه بعين قلبه، ولم يره بعين رأسه، وهذا هو الصواب الذي عليه جماهير الصحابة والتابعون ولما سئلت عائشة رضي الله عنها لما سألها مسروق قال: «**يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، رقم (٤٨٥٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٧).

ولأن النبي ﷺ قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١) والرسول من خلقه، ولقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وجمع المحققون من أهل العلم بين الروايات التي فيها إثبات الرؤية، والروايات التي فيها نفي الرؤية؛ لأنه روي عن ابن عباس في الرؤية أنَّ محمداً رأى ربه، وروي كذلك عن الإمام أحمد، لكن الجمع بينهما أنَّ الرواية التي فيها إثبات الرؤية، محمولة على رؤية القلب، وأنَّ النبي ﷺ رأى ربه بقلبه.

والروايات التي فيها نفي الرؤية محمولة على رؤية العين، فما جاء من النصوص أنَّ النبي ﷺ لم ير ربه، يعني بعين رأسه، وما جاء من النصوص، والآثار أنَّ النبي ﷺ رأى ربه يعني: بعين قلبه، وبهذا تجتمع النصوص، ولا تختلف.

ثم أيضاً رؤية الله من النعيم، فلا تكون لأهل الدنيا، فهي من نعيم أهل الجنة خاصة، فالمؤمنون يوم القيامة يتنعمون برؤية الله، وهو أعظم نعيم يعطاه أهل الجنة حتى إنهم إذا رأوا الله نسوا كل ما هم فيه من نعيم.

فالخلاصة أنَّ رؤية الله - تعالى - في الدنيا جائزة عقلاً، لكنها غير واقعة شرعاً، جائزة يعني: غير مستحيلة.

والدليل على أنها جائزة عقلاً - يعني: لا يحيلها العقل - أنَّ موسى سأل ربه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وموسى لم يسأل شيئا مستحيلاً، ولكنها غير كائنة في الدنيا، ولو كانت ممتنعة

(١) سبق تخريجه.

لأنكر الله على موسى كما أنكر على نوح حين سأله نجاة ابنه لما سأله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هُود: ٤٦].

قال الله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هُود: ٤٦]، ولأن الله لم يقل لا أُرى، أو لا تمكن رؤيتي أو رؤيتي مستحيلة: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]، يعني: لن تراني في الدنيا ببشريتك الضعيفة.

فإذن رؤية الله في الدنيا جائزة عقلاً غير مستحيلة، لكنها غير واقعة شرعاً.

وأما في الآخرة فهي جائزة عقلاً، وواقعة شرعاً، ومن أقوى الأدلة على أنَّ الله - تعالى - لا يراه أحد في الدنيا ما ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»(١) وفي رواية عند مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ** ﷻ **حَتَّى يَمُوتَ**»(٢) فإذن هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، ليس المراد بها نفي الرؤية، وإنما المراد بها نفي الإدراك؛ لأنها سيقت مساق المدح.

ولو كان المراد بها نفي الرؤية لما كان في ذلك مدح؛ لأن المعدوم هو الذي لا يُرَى، والكمال في إثبات الرؤية ونفي الإدراك؛ لأن النفي المحض لا يأتي في صفات الله، ولا يأتي إلا النفي الذي يستلزم إثبات ضده من الكمال.

---

(١) أخرجه أحمد: رقم (٢٢٧٦٤)، والنسائي في الكبرى: كتاب النعوت، رقم (٧٧١٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣١).

فالمعنى أنه يُرَى ولا يحاط به رؤية، كما أنه يعلم، ولا يُحَاط به علماً، لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، يعني: لكمال عظمته، وكونه أعظم من كل شيء وكذا قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. لكونه أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]؛ لكمال قوته واقتداره، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]؛ لكمال عدله، ولا شريك له، ولا ولد، ولا صاحبة؛ لكمال ربوبيته، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمال عدله، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته وهكذا، فالنفي الذي يأتي في صفات الله ليس نفياً محضاً، وإنما هو يستلزم إثبات ضده من الكمال.

فلا يأتي النفي المحض - الصرف - مدحاً، إنما المدح هو في النفي الذي يستلزم إثبات ضده من الكمال.

أما النفي المحض فهذا ذم؛ **مثل قول الشاعر**(١):

قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ     وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

يصفهم: بأنهم لا يغدرون، ولا يظلمون، فهو يذمهم؛ لكونهم عاجزين لضعفهم وعجزهم، ولهذا صغَّرهم بقوله: "قُبَيِّلَة" لا يظلمون؛ لكونهم لا يستطيعون الظلم لضعفهم، وعجزهم، ولا يظلمون الناس حبة خردل كذلك لعجزهم، وإنما يمدح كون الإنسان لا يظلم إذا كان قادراً على الظلم، ثم ترك الظلم إذا كان قادراً على الغدر، ثم ترك الغدر، أما إذا كان عاجزاً ما يكون مدحاً.

(١) وهو النجاشي الحارثي، انظر: الحماسة الصغرى (١/ ٢١٦).

والشاعر الآخر الجاهلي يذم قومه، ويهجوهم؛ لما أُخِذَت إبله، واستنصر بهم، ولم يجد منهم نجدة، تمنى أنه من قبيلة أخرى يستنجد بها وتنجده فقال:

**لَوْ كُنْتُ مِنْ مازنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إبِلي ... بَنو اللّقيطةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيْبانا**
**إذاً لَقامَ بِنَصْري مَعْشَرٌ خُشنٌ ... عِندَ الحَفيظةِ إنْ ذو لَوْثةٍ لانا**
**قَوْمٌ إذا الشَّرُ أبْدى ناجِذَيْه لهُمْ ... طاروا إليهِ زَرافاتٍ ووُحْدانا**
**لا يَسْألونَ أخاهُمْ حينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النائِباتِ على ما قالَ بُرْهانا**
**لكِنَّ قَوْمي وإنْ كانوا ذَوي عَددٍ ... لَيْسوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وإنْ هانا**(١)

والشاهد هو البيت الأخير فلعجزهم: "يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة" إذا ظلمهم أحد غفروا له، "ومن إساءة أهل السوء إحساناً" أحسنوا إليه لكونهم عاجزين ضُعَفاء، وهذا يدل على نقصهم، إنما يكون كمالًا إذا كان قادراً، ثم ترك الظلم.

أما إذا كان عاجزاً فلا يكون فيه مدح، فالشاهد أنَّ النفي المحض الصرف في صفات الله لا يأتي بالنسبة لجناب الرب ﷻ؛ لأن النفي المحض الصرف ذم، كما في قول الشاعر: "قُبَيِّلَة لا يظلمون" هذا نفي صرف محض، ما يتضمن إثبات كمال، وقوله: "لا يغدرون بذمة" إذا كانوا قادرين، أما إذا كانوا عاجزين ما يستطيعون، فلا يوجد كمال.

فلذلك لا يأتي النفي المحض الصرف في حق الله ﷻ ولو قلنا: إنه ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يعني لا يراه أحد في الدنيا، معناه

(١) انظر: ديوان الحماسة: (١/ ١١).

أنه شارَك المعدوم في عدم الرؤية، فالصحيح أنَّ معنى "لا تدركه الأبصار" أن الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية، وهذا القول أقوى من القول الثاني اختاره الإمام أحمد رحمه الله وحمله على الدنيا.

فالصواب في الجمع بين الآيتين أنَّ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] المراد بها: نفي الإدراك، وهو القدر الزائد على الرؤية، فالمعنى أنَّ الله يُرَى، ولا يُحَاط به رؤية؛ لكمال عظمته، وكونه أعظم من كل شيء.

وهذا القول الراجح وهو أنَّ الآية تفيد لنفي الإدراك، وهو قدر زائد على الرؤية، وعلى هذا لا يوجد تعارض بينهما وبين قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] فإنها تنظر إلى ربها يوم القيامة، لكن لا تحيط به رؤية، فالآية الأولى أثبتت الرؤية، والثانية نفت الإدراك، فلا منافاة بينهما فالشيء يرى، ولا يدرك.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

وَأَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَقَالَ السَّحَرَةُ: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] فقَالُوا: فكَيْفَ قَالَ مُوسَى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ مُؤْمِنٌ وَيَعْقُوبُ وَإِسْحَاقُ؟ فَكَيْفَ جَازَ لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣].

وَقَالَتْ السَّحَرَةُ: ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١] وَكَيْفَ جَازَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٣] وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ مُسْلِمُونَ كَثِيرٌ، مِثْلَ عِيسَى وَمَنْ تابعه؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ؟

## الشرح

هنا الزنادقة أتوا بثلاث آيات، قالوا: إن كل آية فيها الأولية، قال الله عن موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال عن السحرة أنهم قالوا: ﴿أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال عن

نبينا ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣]، فكيف ذلك مع أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - سبقه مسلمون وأنبياء قبله؟

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] فَإِنَّهُ حِينَ قَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وَلَا يَرَانِي أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَاتَ، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] مِن قَولِي: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يَعْنِي: أَوَّلَ الْمُصَدِّقِينَ أَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَاتَ.

وَأَمَّا قَوْلُ السَّحَرَةِ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يَعْنِي: أَوَّلَ من صدَّق لِمُوسَى مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ.

وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣]، يَعْنِي: مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

يعني: كل أولية محمولة على حال، فالأولية في قول الله تعالى عن موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات، وهذا لما سأل ربه الرؤية، فقال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بعد الصعق لما أفاق ماذا قال؟ ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: أول المصدقين أنه

لا يراك أحد في الدنيا إلا مات؛ لأنه صعق عليه الصلاة والسلام ثم أفاق من الصعقة.

وأما قول السحرة الذين آمنوا: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: أول المصدقين من أهل مصر من القبط، فالأولية خاصة.

وأما قوله ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣] يعني: أنا أول المسلمين من هذه الأمة، فكل آية محمولة على حالة، فلا إشكال.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المائدة: ١١٥] وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَقَالُوا إِنَّهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.**

## الشرح

الإشكال الذي أوردته الزنادقة في ثلاث آيات، الآية الأولى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، والآية الثانية: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المائدة: ١١٥]، والآية الثالثة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] ففي الآية الأولى ذكر أنَّ لهم أشد العذاب، وذكر في أصحاب المائدة الذين كفروا أنَّ الله قال فيهم: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المائدة: ١١٥]، وقال في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قالوا: فهذه ثلاث آيات، كل آية فيها أشد العذاب، لا ندري لمن أشد العذاب، هل أشد العذاب لفرعون ولآل فرعون أو أشد العذاب عذاب الذين كفروا من أصحاب المائدة أو المنافقين؟ ما ندري هذا تناقض بزعمهم.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، يَعْنِي: أشد عذاب ذلك الباب الَّذِي هُمْ فِيهِ.**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المَائدة: ١١٥]، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَسَخَهُمْ خَنَازِيرَ، فَعَذَّبَهُمْ بِالْمَسْخِ بمَا لَمْ يُعَذِّبْ به مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ النَّاسِ.**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥]؛ لِأَنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ جَهَنَّمُ، وَلَظَى، وَالْحُطَمَةُ، وَسَقَرٌ، وَالسَّعِيرُ، وَالْجَحِيمُ، وَالْهَاوِيَةُ، وَهُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ فِيهَا.**

## الشرح

أجاب الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ بأنَّ آية غافر: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] محمولة على أشد عذاب ذلك الباب الذي هم فيه؛ لأن جهنم أبواب، فعذابهم أشد عذاب ذلك الباب الذي هم فيه.

وأما آية المائدة: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المَائدة: ١١٥] فهو محمول على نوع العذاب، فنوع العذاب الذي يُعَذِّبُوه هو مسخهم خنازير، وهذا نوع خاص بهم، ما عذب الله به غيرهم.

والآية الثالثة آية النساء: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥] يقول المؤلف: إنَّ جهنم لها سبعة أبواب، وهي: "جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والسعير، والجحيم، والهاوية"، وهذه الأبواب كأنها دركات، والمنافقون في الدرك الأسفل منها، نسأل الله السلامة والعافية، فهذا هو الجواب الذي أجاب به الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهناك جواب آخر، وهو أنَّ آية غافر: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦] وآية النساء: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥] لا منافاة بينهما، فكل من آل فرعون والمنافقين في أسفل دركات النار، في أشد العذاب، فاستوى آل فرعون والمنافقون بأنَّ كلاً منهما في الدرك الأسفل من النار، في أسفل دركات النار، في أشد العذاب.

وليس في قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ بأنه لا يوافقهم أحد مثلهم، وكذا في المنافقين في الدرك الأسفل من النار ليس فيه نفي أن يكون أحد يماثلهم، لكن لا يوجد أحد زاد عليهم.

فالمنافقون في الدرك الأسفل، وآل فرعون في الدرك الأسفل تساووا، ولا يزيد بعضهم على بعض، ولا منافاة بينهما؛ لأنَّ كلا من الآيتين لا تنفي أن يكون أحد يماثلهم؛ لكن فيها بيان أنهم أشد العذاب.

وأما آية المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المَائدة: ١١٥] فقد أجاب العلماء عنها بجوابين:

الجواب الأول: أعذبه عذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يعني: عالم زمانهم الخاص، كما في قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البَقَرَة: ٤٧]، يعني: عالم زمانكم.

الجواب الثاني: أنَّ المراد: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المَائدة: ١١٥]، العذاب الدنيوي خاصة، وهو المسخ مسخهم

خنازير، فتكون آية: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥]، وآية ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] في عذاب الآخرة.

وآية: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المَائدة: ١١٥] محمولة على عذاب الدنيا، عذبوا بنوع خاص ما عذب به أحد، وهو المسخ خنازير.

وهذا على القول بنزول المائدة وأنهم كفروا، فمسخوا خنازير، فيكونوا عذبوا بالمسخ، أما على القول بأنَّ المائدة لم تنزل - كما هو قول مجاهد والحسن - حيث أنهم خافوا لما توعدوا بهذا العذاب فلم تنزل المائدة[1]، فعلى هذا القول ليس فيها إشكال، لكن هذا القول خلاف ظاهر الآية؛ لأنَّ الله قال: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المَائدة: ١١٥] فظاهرها أنها نزلت، ولكن لا يتم القول بأن الآية فيها إشكال إلا إذا ثبت أنَّ المائدة نزلت، وأنَّ بعضهم كفر بها، فيكون الجواب أنَّ هذا في الدنيا، وأنَّ العذاب الذي أصابهم هو المسخ.

وأما على قول الحسن ومجاهد لا يوجد إشكال؛ لأنَّ الحسن ومجاهد قالا: إنهم لمّا تُوعدوا خافوا، ولم تنزل المائدة، فلم يصبهم العذاب.



(١) انظر: تفسير الطبري وابن كثير حول هذه الآية.

## شبهة الزنادقة في قوله تعالى
## ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦]، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٤]، فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ طَعَامًا غير الضريع، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ.**

## الشرح

شبهة الزنادقة يقولون: آية تقول: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦] فالآية فيها حصر، وفيها نفي وإثبات، يعني: لا يوجد لهم طعام إلا الضريع، والضريع - كما وصفت الآية - لا يسمن، ولا يغني من جوع، وآية أخرى أثبتت أنهم يأكلون من شجرة الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٤]، فأخبر فيها أنَّ لهم طعاماً غير الضريع، فشكوا في القرآن، وزعموا أنَّه متناقض؛ لأنَّ آية تقول ليس لهم طعام إلا الضريع، وآية تقول: إنَّ لهم طعاماً، وهي شجرة الزقوم.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦]، يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ فِي ذَلِكَ الْبَابِ ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، وَيَأْكُلُونَ الزَّقُّومَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْبَابِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٤]، فَهَذَا تفسير مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله عن الآيتين بأن قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦] يعني: في ذلك اليوم خاصة، لكن في غير ذلك اليوم يأكلون من الزقوم.

وهناك جمع آخر بين الآيات، وهي ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦]، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحَاقَّة: ٣٦]، وفي آية: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٤].

جمع العلماء بينهما بأنَّ العذاب ألوان، والمعذبون طبقات، فمنهم من لا طعام له إلا من غسلين[١]، ومنهم من لا طعام له إلا من الضريع[٢]، ومنهم من لا طعام له إلا الزقوم[٣]، ويدل لهذا قول الله - تعالى -: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحِجر: ٤٤].

---

(١) الغسلين: صديد أهل النار، وقيل: هو الزقوم، انظر: تفسير ابن كثير.

(٢) الضريع: نبت يقال له: الشِّبرق، يسميه أهل الحجار الضريع إذا يبس وهو سم، وقيل: هو شجر من نار، وقيل: هو الزقوم، انظر: تفسير ابن كثير.

(٣) الزقوم: شجرة تنبت في أصل الجحيم جعلها الله طعاماً لأهل الجحيم، انظر: تفسير الطبري.

وقيل المعنى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحَاقَّة: ٣٦] أنَّه لا طعام لهم أصلاً؛ لأنَّ الضريع لا يصدق عليه اسم الطعام، فالضريع ليس طعاماً، وكذلك الزقوم كالضريع ليس طعاماً، ولا تأكله البهائم، فأحرى أن لا يأكله الآدميون، وكذلك الغسلين ليس بطعام.

فمن طعامه الضريع لا طعام له، ومن طعامه الزقوم لا طعام له، ومن طعامه الغسلين لا طعام له، فكأنَّ الله - تعالى - قال: لا طعام لهم، كما تقول العرب: فلان لا ظل له إلا الشمس، ولا دابة له إلا ثوبه، يعنون القمل، والمعنى لا ظل له أصلاً، ولا دابة له أصلاً، فعلى هذا القول نفى الطعام ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة: ٦].

ويجاب أيضاً عن هذه الآيات: بأنَّ الغسلين والضريع هما الزقوم كما قاله بعض أهل التفسير، فعلى هذا القول لا تناقض بين الآيات.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى
## ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمَّد: ١١]، ثم قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعَام: ٦٢]، فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟ يُخْبِرُ أَنَّهُ مَوْلَى مَنْ آمَنَ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمَّد: ١١]؟! فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ.**

### الشرح

شبهتهم: أنَّ الآية الأولى قالت: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمَّد: ١١] فنفى أن يكون للكافرين مولى، وفي الآية الأخرى أخبر أنَّ الكافرين مولاهم الله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعَام: ٦٢] فآية أخبر فيها أنَّ الكافرين لا مولى لهم، وآية أنَّ مولاهم الحق، هذا هو الإشكال.

[جواب الشبهة]:

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمَّد: ١١] يَقُولُ نَاصِرُ الَّذِينَ آمَنُوا، ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمَّد: ١١] يقول الله: لا نَاصِرَ لَهُمْ.**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢] لِأَنَّ فِي الدُّنْيَا أَرْبَاباً بَاطِلةٍ. فَهَذَا تفسير مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

هكذا جمع الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بينهما ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمَّد: ١١] يعني: ناصرهم ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمَّد: ١١] لا ناصر لهم، وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢] يعني: ربهم الحق؛ لأنَّ هناك أرباباً باطلة، فالأرباب التي يعبدونها من دون الله بطلت وذهبت، فردوا إلى مولاهم الحق، وهو الله ﷻ يوم القيامة، هذا هو الجمع بينهما.

وهناك جمع آخر لأهل العلم بين الآيتين، وهي أنَّ معنى قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢] يعني: مالكهم، والمتصرف فيهم بما شاء، فمعنى كونه مولى الكفار يعني: مالكهم، والمتصرف فيهم، ومعنى كونه مولى المؤمنين يتولاهم بمحبته، وتوفيقه، ونصره، ولاية محبة، وتوفيق، ونصر.

وأما ولايته للكفار فهي ولاية ملك، وتصرف فيهم، ونفوذ القدرة والمشيئة.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ والرد عليها

قال المؤلف - رحمه الله -:

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحُجرَات: ٩]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجنّ: ١٥]. فَقَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟.

## الشرح

هاتان آيتان: آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحُجرَات: ٩] وفي آية أخرى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجنّ: ١٥]، فآية فيها أنَّ الله يحب المقسطين، وآية يخبر أنهم حطب لجهنم، فكيف ذلك؟

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾، يَعْنِي: الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ له عَدْلًا مِنْ خَلقِهِ، فَعَبَدُونَهُ مَعَ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحُجرَات: ٩] يَقُولُ: اعْدِلُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النَّمل: ٦٠]، يَعْنِي: يُشْرِكُونَ.

فَهَذَا تفسير مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

جمع الإمام بينهما بأنَّ المقسط غير القاسط، القاسط معناه هو العادل بالله، الجاعل له عِدلاً من خليقته، الذي يعبد معه غيره، فقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥] يعني: الجائرون العادلون بالله، الجاعلون له عدلاً من خليقته حيث عبدوا معه غيره، كما في الآية الأخرى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل: ٦٠] أي: يشركون، فالقاسط هو الجائر، والظالم الجاعل له عدلاً من خليقته.

وأما المقسط فهو العادل فقوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحُجرَات: ٩] يعني: اعدلوا بينكم، وبين الناس، إنَّ الله يحب الذين يعدلون.

والخلاصة: أنَّ الجمع بينهما أنَّ المقسط غير القاسط، فالقاسط هو الجائر الظالم، والمقسط هو العادل، ففرق بينهما، وهما ضدان، فالقاسط ضد المقسط.

ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: المقسطون يعني: العادلون «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** ﷻ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[(١)].

ففرق بين المقسط والقاسط: فالمقسط فعله أقسط يقسط، فهو

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٧).

مقسط يعني عَدَل يعدل فهو عادل.

وأما القاسط فهي من فعل ثلاثي، قسط يعني ظلم وجار، فإذا كان من الفعل الثلاثي فهو الجور والظلم، ومن الفعل الرباعي فهو العدل، فالقاسط الجائر الظالم من قسط، والمقسط العادل من أقسط، فهما ضدان، فلا تناف بينهما.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى
## ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فكان هَذَا عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.**

## الشرح

وشبهتهم: أنَّ هناك آيتان، الأولى: أثبتت الولاية بين المؤمنين، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، الثانية: نفت الولاية عن المؤمنين الذين لم يهاجروا، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] فآيةٌ أثبتت الولاية بين المؤمنين وآيةٌ نفت الولاية عن المؤمنين الذين لم يهاجروا، فكان هذا إشكال عند من لا يعرف معناه، أما من يعرف المعنى فلا يكون عنده إشكال.

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، يَعْنِي: مِنَ الْمِيرَاثِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ حَكَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ أَنْ لَا يَتَوَارَثُوا إِلَّا بِالْهِجْرَةِ، فَإِنْ مَاتَ رَجُلٌ بالمدينة مُهَاجِرٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - وله أولياء بمكة لم يهاجروا كانوا لا يتوارثون، وكذلك إن مات رجل بمكة وله ولي مهاجر مع النبي ﷺ كَانَ لا يَرِثُهُ الْمُهَاجِرُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ مِنَ الْمِيرَاثِ ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾.

فَلَمَّا كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ الْمِيرَاثَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ، هَاجَرُوا أَوْ لَمْ يُهَاجِرُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، يَعْنِي فِي الدِّينِ، وَالْمُؤْمِنُ يَتَوَلَّى الْمُؤْمِنَ فِي دِينِهِ فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

الجمع بينهما، هو أنَّ آية: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] هذه في الدين، أي أنَّ المؤمن يتولى أخاه في الدين، فينصره ويواليه ويحبه.

وأما آية الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢] فالولاية هنا المراد بها الميراث.

فكلٌ محمول على حال، فآية التوبة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] يعني: في الدين والمحبة والنصرة، وآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يعني: من ميراثهم، فالمراد بها الميراث، ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ وذلك أنَّ الله حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة ألا يتوارثوا إلا بالهجرة، فلا يرث من لم يهاجر مع النبي ﷺ وكان بمكة قريبه الذي هاجر ومات بالمدينة، وكذلك لا يرث من هاجر مع النبي ﷺ قريبه الذي لم يهاجر ومات بمكة.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - عقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار لمَّا هاجروا في أول الأمر، فكل واحد من المهاجرين له أخ من الأنصار يرثه إذا مات، فالمهاجر إذا مات يرثه أخوه الأنصاري، والأنصاري كذلك، ولا يرثه أقاربه الذين في مكة إذا لم يهاجروا، وكذلك إذا مات مؤمن في مكة ولم يهاجر ما يرثه أقاربه المهاجرون، بل يرثه أقاربه الذين في مكة، وهذا في أول الأمر.

فلمَّا كثر المهاجرون والمؤمنون نسخ الله ذلك، وجعل التوارث بالقرابة، فإذا مات الإنسان يرثه أقاربه، سواء في مكة أو في المدينة هاجر أو لم يهاجر.

وأنزل الله في ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ يعني الأقارب ﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ سواء كان مهاجراً أو لم يهاجر.

وأما آية التوبة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] فهذا في الدين، أي: موالاتهم في الدين والنصرة والمحبة، وآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢] هذه في القرابة في الإرث خاصة في أول الأمر، ثم نسخ الله ذلك فرد الميراث إلى

القرابة، في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، فهذا قول في الجمع بينهما.

وهناك قول آخر اختاره ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ واستدل له بحديث أخرجه الإمام أحمد وفيه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ**»[(١)]، قال: معنى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢] يعني: لا نصيب لكم في المغانم، ولا في خمسها إلا فيما حضرتم فيه القتال[(٢)].

ولا مانع من تناول الآية للأمرين جميعاً، فبعمومها تشملهما، فيكون المراد بها نفيَ الميراث، ونفي القسم لهم من الغنائم والخمس.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٣١)، وأحمد: رقم (٢٢٩٧٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٩٦).

## شبهة الزنادقة في قوله تعالى
## ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ - جل ثناؤه - لِإِبْلِيسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وَقَالَ مُوسَى حِينَ قَتَلَ النَّفْسَ: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ.**

### الشرح

الإشكال أنَّ آية الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، أخبر الله أنه ليس له سلطان على عباد الله، وقال في قصة موسى لما قتل نفساً: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

ووجه الإشكال أنَّ الله أخبر أنه ليس للشيطان سلطان على عباد الله، وموسى من عباد الله، ولما قتل نفساً: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، فصار للشيطان سلطان على موسى والله قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فكيف كان له سلطان عليه؟

[جواب الشبهة]:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: ٤٢]، يَقُولُ عِبَادِهِ - الَّذِينَ اسْتَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِدِينِهِ - لَيْسَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَنْ يُضِلَّهُمْ فِي دِينِهِمْ، أَوْ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَلَكِنَّهُ يُصِيبُ مِنْهُمْ مِنْ قِبَلِ الذُّنُوبِ، فَأَمَّا فِي الشِّرْكِ فَلَا يَقْدِرُ إِبْلِيسُ أَنْ يُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - اسْتَخْلَصَهُمْ لِدِينِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القَصَص: ١٥]، يَعْنِي: مَنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، كَمَا زَيَّنَ لِيُوسُفَ، وَلِآدَمَ وَحَوَّاءَ، وَهُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الْمُخْلِصُونَ.

فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله بأنَّ قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: ٤٢]، أي: عبادي الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يضلهم بالشرك، وعبادة غير الله خاصة، ولكن قد يصيب منهم شيء دون الشرك.

وأما قول موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القَصَص: ١٥] أي: هذا من تزيين الشيطان، فهي معصية دون الشرك، وأيضًا هذه الحادثة التي وقعت لموسى قبل النبوة عندما قتل موسى القبطي لما استنصر به الإسرائيلي.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ

عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ [القصص: ٢٠-٢١].

ثم ذهب إلى مدين وحصل له القصة مع الرجل الصالح، وأنه زوجه إحدى ابنتيه، ورعى الغنم سنين، ثماني سنين أو عشر، وبعد ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ [القصص: ٢٩]، فلما جاء إلى النار عند الجبل نبَّأهُ الله وأرسله.

إذن النبوة والرسالة بعد ذلك وقتله النفس كان قبل النبوة، ثم أيضاً هذا معصية ليس شركاً، فهذا هو الجمع بينهما.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] يعني: في الشرك، وعبادة غير الله ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ [القصص: ١٥] تزيين المعصية، يقول المؤلف: «كَمَا زَيَّنَ لِيُوسُفَ»: يوسف زين له الشيطان، كيف زين المعصية ليوسف؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يوسف: ٢٤]، ولهذا الأفضل إذا قرأتها تقرأ ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ وتقف ثم تقرأ، ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]، فالهمّ هذا من تزيين الشيطان، وكذلك آدم وحواء زين لهم الشيطان الأكل من الشجرة: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ [طه: ١٢١].



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ لِلْكُفَّارِ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]، فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ.

### الشرح

ففي آيات تنفي النسيان عن الله، وفي آيات تثبت النسيان، فشكوا، وقالوا: هذا تناقض؛ آية: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤] أثبتت النسيان لله، وآية: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢] وآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤] نفت النسيان فكيف ذلك؟.

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤]، يَقُولُ: نَتْرُكُكُمْ فِي النَّارِ، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ كَمَا تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلِقَاءِ ﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، يَقُولُ: لَا يَذْهَبُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَا يَنْسَاهُ.**

## الشرح

الله تعالى منزه عن النسيان فلا ينسى شيئًا، كما في كتاب الله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢] لا يذهب من حفظه ولا ينساه سبحانه وتعالى، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

وأما قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤] فالمراد بالنسيان الترك في النار، نترككم في النار كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا، هذا من باب المقابلة؛ قابل نسيانهم للعمل بتركهم في النار ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤] نترككم في النار، فنعاملكم معاملة المنسي، كما تركتم لقاء يومكم هذا، يعني أنهم عوملوا معاملة المنسي كما أنهم نسوا لقاء يومهم هذا، فلم يعملوا للقاء يوم القيامة، ولم يعملوا للقاء ربهم عز وجل؛ فلمَّا لم يعملوا صاروا كأنهم نُسوا، أي: كأنّ تركهم للعمل نسيان، فعوملوا معاملة المنسي، فتركوا في النار كما يترك المنسي، وإلا فالله - تعالى - لا يلحقه النسيان.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وأما قول الله ﷻ: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٥]، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قٓ: ٢٢]، فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ يَقُولُ: إِنَّهُ أَعْمَى، وَيَقُولُ: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قٓ: ٢٢]؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ.

## الشرح

الشبهة في آيتين آية فيها أنَّ الكافر حشر أعمى ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، وآية فيها أنه يبصر قال: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قٓ: ٢٢]، يعني قوياً، فأثبت أنَّ البصر قوي، وأنَّه يرى كل شيء، وآية فيها أنَّه أعمى، فكيف ذلك؟

**أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤] يعني: عَنْ حُجَّتِهِ، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥] عَنْ حُجَّتِي ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥﴾ [طه: ١٢٥] لها، مُخَاصِمًا بِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾، يَقُولُ: الْحُجَجُ ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٦].**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ٢٢] وَذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ شَخَصَ بَصَرُهُ، وَلَا يَطْرِفُ بَصَرُهُ حَتَّى يُعَايِنَ جَمِيعَ مَا كَانَ يُكَذِّبُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ يَقُولُ: غِطَاءُ الْآخِرَةِ، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ٢٢]، يَحِدُّ النَّظَرَ لَا يَطْرِفُ حَتَّى يُعَايِنَ جَمِيعَ مَا كَانَ يُكَذِّبُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ، فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ.**

## الشرح

إذن الإمام جمع بينهما في أنَّ الآية الأولى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤] يعني: عن حجتي ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥﴾ [طه: ١٢٥] بها، ومخاصمًا بها، فأعماه الله عن حجته، فلا يستطيع، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القصص: ٦٦] يعني: ضاعت عنهم الحجج، فخذله الله وأعماه عن حجته.

وأما قوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ٢٢] هذا حينما يبعث الكافر، ويخرج من قبره، يشخص بصره ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، كان يكذب بأمر البعث، ويقول: ما فيه بعث ولا جزاء، ولا حساب ولا جنة ولا نار، ولا وقوف بين يدي الله.

فإذا خرج من قبره شخص بصره، فرأى كل شيء، رأى البعث، ووقف بين يدي الله، ورأى الحساب، فهذا معنى قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قٓ: ٢٢] يعني: لا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فذلك قول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [قٓ: ٢٢] كان في غفلة، ثم بعد ذلك لما بُعث صار بصره حديداً، فصار يعاين جميع ما يكذب به من أمر البعث، فزال الإشكال.



## شبهة الزنادقة في قوله تعالى:
## ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَأَمَّا قَوْلُهُ لِمُوسَى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾** [طه: ٤٦]، وقال في آية أخرى: **﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾** [الشُّعَرَاء: ١٥]، **وَقَالُوا كَيْفَ قَالَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾** [الشُّعَرَاء: ١٥]، **فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.**

## الشرح

هذا المثال الثاني والعشرين، وهو آخر الأمثلة، ثم بعد ذلك يأتي المؤلف بشُبَهٍ للجهم.

الإمام ﵀ أتى بآيتين مثال لما شك فيها الزنادقة.

الآية الأولى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] وهذا خطاب من الله - تعالى - لموسى وهارون، فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ إنني بضمير الإفراد؛ فالله - تعالى - أفرد ضمير نفسه فقال: ﴿... إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ وفي الآية الأخرى في آية الشعراء: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥] أتى بضمير الجمع، فقالت الزنادقة كيف في آية يقول: إنَّني بضمير الإفراد، وفي آية يقول: إنَّا بضمير الجمع، فشكوا في القرآن من أجل ذلك.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فَهَذَا فِي مَجَازِ اللُّغَةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ إِنَّا سَنُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ، إِنَّا سَنَفْعَلُ بِكَ كذا خيراً.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] فَهُوَ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ لِلرَّجُلِ: سَأُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ، أَوْ سَأَفْعَلُ بِكَ خَيْرًا.

قال الخلال أخبرني إبراهيم بن جعفر بن جابر قال: ثنا محمد بن حبيب قال: قال أحمد بن حنبل رحمه الله: كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني(١).

## الشرح

أجاب الإمام أحمد رحمه الله بإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ مجاز في اللغة، فإنَّ الرجل يقول للرجل: إنَّا سنجري عليك رزقك، إنَّا سنفعل بك كذا، يعني: أنَّ الواحد المعظم لنفسه يأتي بضمير الجمع وهذا أسلوب عربي معروف.

وليس في هذا متعلق للنصارى الذين يقولون بتعدد الآلهة، وكل من يتعلق بهذا فهو من أهل الزيغ؛ لأنه يجب على من أشكل عليه شيء من الآيات المتشابهة أن يردها إلى المحكم كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٣]، وقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، فتُرَد هذه الآية إلى تلك الآيات، ويَبين معناها بأنَّ هذا من باب التعظيم.

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة: (١/ ٢٩٤).

وهذا أسلوب عربي جائز في اللغة العربية، فالواحد يعظم نفسه ويأتي بضمير الجمع، كما يقول الملك أو الأمير: نحن هزمناهم، نحن قتلنا الجيش، نحن كذا، كما في المراسيم الملكية: نحن أمرنا بما هو آت.

فهذا أسلوب عربي، ولا يدل على تعدد الأرباب والآلهة.

إذن فخلاصة الجواب: أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هذا أسلوب عربي جائز في اللغة العربية، والقرآن نزل بلغة العرب، فالواحد أحيانًا يعبر عن نفسه بضمير الإفراد، وأحيانًا يعبر عن نفسه بضمير الجمع إذا قصد التعظيم.

ومعنى قول الإمام: «فَهَذَا فِي مَجَازِ اللُّغَةِ»:

يعني: فيما يجوز في اللغة، كقوله بعد ذلك «فَهُوَ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ»، لا فرق بين العبارتين والمعنى واحد.

وليس المراد به المجاز المحدث، وهو المقابل للحقيقة، وقد تعلق بهذه اللفظة أهل المجاز وقالوا: إنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول بالمجاز، وقد غلطوا في هذا.

فيقال لهم: ليس مراد الإمام أحمد في مجاز اللغة يعني المجاز الذي يقابل الحقيقة، إنما المراد فيما يجوز في اللغة، أما المجاز الذي يقابل الحقيقة فهذا محدث بعد الأئمة الأربعة، لم يعرف المجازَ السلفُ، ولم يعرفه الصحابةُ والتابعون، والأئمة الأربعة كذلك ما عرفوا المجاز، إنما المجاز كان بعد ذلك، عندما أحدثه كثير من المتكلمين، ومن البلاغيين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فقالوا: اللغة العربية فيها مجاز، وقالوا: القرآن فيه مجاز، والسنة فيها مجاز، وأبطلوا بذلك نصوص الصفات وغيرها.

فقالوا: إنَّ قول الله - تعالى -: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مجاز يراد به الاستيلاء، وقوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ**»[١] مجاز المراد ينزل أمره، أو تنزل رحمته، أو ينزل الملك، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] قالوا: هذا مجاز عن النعمة والقدرة، فليس لله يدان.

فإذن المجاز محدث لم يعرفه العرب الأوائل، ولم يعرفه الصحابة ولم يعرفه الأئمة الأربعة ولا يوجد ولا لفظة للأئمة الأربعة في إطلاق المجاز إلا هذه اللفظة التي تعلق بها بعض الناس وقالوا: إنَّ الإمام أحمد يقول بالمجاز، ومراد الإمام أحمد فيما يجوز في اللغة، مثل العبارة التي بعدها «فهو جائز في اللغة».

**وقد حقق هذا المثل شيخ الإسلام ابن تيمية**[٢] والعلامة ابن القيم وبينوا أنَّ تقسيم الكلام إلى مجاز وحقيقة لا يعرفه أهل اللغة ولا الصحابة ولا الأئمة الأربعة، وقالوا: إنَّ هذا محدث أحدثه البلاغيون، والمتكلمون، وقصدوا من ذلك إبطال حقائق صفات الله وأسمائه ﷻ.

حتى إنَّ العلامة ابن القيم رحمه الله سمى المجاز طاغوتاً، في "الصواعق المرسلة"[٣]. وقد أبطل به أهل الكلام والمبتدعة ونُفاة الصفات حقائقَ أسماء الله وصفاته.

وبعض المتأخرين من البلاغيين وغيرهم يقولون: إنَّ إنكار المجاز

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

(٢) للمزيد يرجع إلى مبحث الحقيقة والمجاز من مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/ ٤٠٠ - ٤٩٧).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة: (٤/ ١٥١٠ - ١٥١٩).

مكابرة، وأنَّ الذين أنكروا المجاز لا يستطيعون أن ينفوا كلمات فيها مجاز؛ فالأسد - يقولون -: يطلق على الحيوان المفترس، ويطلق على الرجل الشجاع، وإطلاقه على الرجل الشجاع هذا مجاز.

وأجيب بأنَّ اللغة العربية، فيها أساليب لها معان متعددة، ويطلق بلفظ واحد على معنيين لكن يكون أحدهما أقرب إلى الآخر، ولا بد من قرينة تبين المراد، فإذا ذكر الأسد فالمعنى القريب ينصرف إلى الحيوان، وينصرف إلى الرجل الشجاع **بوجود** دليل كما إذا قلت: رأيت أسدًا يتكلم، فهذا دليل على أن المراد به الرجل الشجاع.

ونفي المجاز مذهب العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "فإنَّا لَمَّا رأينا جُلَّ أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا لأن هذا المنزل للتَّعبُّد والإعجاز كله حقائق وليس فيه مجاز، وأنَّ القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، وأنَّ نفي ما ثبت في كتاب أو سنة لا شك في أنه مُحال"(١).

إذن عرفنا جَمْع الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ بين هاتين الآيتين، بأنَّ هذا أسلوب عربي، وهناك أيضًا جمع واضح معروف لأهل العلم، وهو أنَّ كل من الآيتين فيهما إثبات المعية لله عَزَّ وَجَلَّ، لكن في الآية الأولى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] معية خاصة، وفي الآية الثانية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥] معية عامة.

والمعية معناها في اللغة العربية مطلق المصاحبة، وهي لا تقتضي مماسة ولا محاذاة ولا مجاورة عن يمين ولا عن شمال، وإنما كلمة (مَع) في اللغة العربية لمطلق المصاحبة، وهي تختلف وتتنوع باختلاف

(١) انظر: منع جواز المجاز للأمين الشنقيطي: (١/ ٣).

متعلقاتها ومصحوبها، فمِن تنوُّعِ متعلقاتها أن يكون الإنسان معك فتقول له: اذهب وأنا معك، يعني بنفسي، ومن أنواع متعلقاتها أن يكون الملك جيشه معه فيقول لك: اذهب وأنا معك يعني جيشي معك أو قائدي معك، ومن متعلقاتها أن يكون مال الإنسان معك فيقول لك: اذهب وأنا معك، يعني مالي معك، وتقول العرب فلان وزوجته معه وبينهما شُقة بعيدة قد تكون في الشرق وهو في الغرب، ويقول زوجتي معي، أي أنها في عصمته.

وتقول العرب مازلنا نسير والقمر معنا، والنجم معنا، والقمر بينك وبينه مسافات طويلة، ويقال: مع فلان دار كذا، وضَيْعة كذا، ويقال: فلان متاعه معه، وإن كان فوق رأسه، أي أنها ملكه.

فإذن المعية لا تقتضي الاختلاط والامتزاج كما يدعي أهل البدع؛ فأهل البدع استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥] بأنَّ الله مختلط بالمخلوقات، وأنَّ الله مع المخلوقين مختلط بهم، وقالوا: معنى المعية الاختلاط والامتزاج، وهذا من أبطل الباطل، فيقال: المعية لا تفيد الاختلاط والامتزاج.

والمعية في القرآن الكريم في غير معية الله لا يفيد موضع منها واحد اختلاطاً ولا امتزاجاً، قال الله - تعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفَتْح: ٢٩] وقوله: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، وقوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٣]، وقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التَّوبَة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا﴾ [هُود: ٤٠] فهل هذه المعية تفيد الاختلاط والامتزاج؟ لا تفيد، فإذا كانت المعية

في القرآن في غير معية الله لا تفيد الاختلاط والامتزاج، فكيف يقال: إنَّ معية الله تفيد الاختلاط والامتزاج؟.

فإذن هاتان الآيتان وأشباههما ليس لأهل البدع فيهما دليل على أنَّ الله مختلط بمخلوقاته: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٣]، فالله فوق العرش، وهو مع العباد بعلمه واطلاعه وإحاطته وتدبيره ونفوذه وقدرته ومشيئته، وهو مع المؤمنين، مع الصابرين، ومع المتقين بتأييده ونصره وحفظ وكلئه.

فالمعية نوعان: معية عامة، ومعية خاصة، فالمعية العامة مثل قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧] فافتتح الله الآية بالعلم وختمها بعلم، فدل على أنَّ المعية معية علم وإحاطة واطلاع قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء: ١٠٨] فهذه معية عامة، وهي معية علم وإحاطة واطلاع، وتعوذ وقدرة ومشيئة وتدبير، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] فهذه معية عامة.

وأما المعية الخاصة مثل الآية الأولى التي مثَّل بها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] والضمير هنا

لموسى وهارون، فهذه معية خاصة وهي معية حفظ وكلاءة ونصر وتأييد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فهذه معية خاصة، وكل من المعية العامة والمعية الخاصة فيهما مصاحبة، ولكن المعية العامة معية اطلاع وإحاطة، والمعية الخاصة هي معية نصر وموالاة وتأييد.

والمعية العامة تأتي في سياق المحاسبة والتخويف والمجازاة، والمعية الخاصة تأتي في سياق المدح والثناء، والمعية العامة تكون للمؤمن والكافر، والمعية الخاصة خاصة بالمؤمن.

وعلى هذا يكون هناك فروق ثلاثة بين المعية العامة والمعية الخاصة، وهي:

**أولاً**: المعية العامة معية اطلاع وإحاطة ونفوذ وقدرة ومشيئة وتدبير، والمعية الخاصة معية حفظ ونصر وكلاءة وتأييد وتوفيق وتثبيت.

**ثانيًا**: المعية العامة تأتي في سياق المحاسبة والتخويف والمجازاة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥]، أما المعية الخاصة فتأتي في سياق المدح والثناء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

**ثالثاً**: أنَّ المعية العامة تكون للمؤمن والكافر، فالله - تعالى - مع المؤمن والكافر باطلاعه وإحاطته ونفوذه وقدرته ومشيئته وتدبيره ومحاسبته ومجازاته، أما المعية الخاصة فهي خاصة بالمؤمن.

وعلى هذا فإذا نظرنا للآيتين اللتين ذكرهما الإمام أحمد رحمه الله نجد الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦] معية خاصة؛ لأنَّ الخطاب لموسى وهارون، أما الآية الثانية ﴿... إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾ عامة، والله - تعالى - أفرد ضمير نفسه لما أفرد موسى وهارون فقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، ولما دخل فرعون معهم جمع الله الضمير فقال: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥].

فإذن الإمام أحمد رحمه الله جمع بين الآيتين بأنَّ هذا جائز في اللغة، والجمع الآخر أنَّ الآية الأولى معية خاصة، والثانية معية عامة، فالمعية الخاصة لموسى وهارون، والمعية العامة لما دخل معهم فرعون جاءت المعية العامة.

**«قال الخلال أخبرني إبراهيم بن جعفر بن جابر قال: ثنا محمد بن حبيب قال: قال أحمد بن حنبل رحمه الله: كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني»** يبين الإمام أحمد أنَّ جمعه بين الآيتين السابقتين جائز في اللغة، وأنه رحمه الله متمكن من اللغة، وليس أجنبيًا عنها، أو ليس له اطلاع ولا معرفة باللغة، فيقول: «كتبت في اللغة العربية أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني» اللغوي المشهور، الذي له اليد الطولى في اللغة.

فقصده بيان أنَّ جمعه بين الآيتين، يتماشى مع اللغة العربية، وأنَّ هذا أسلوب عربي، وأنَّ القرآن نزل بلغة العرب.






## الجهم وأتباعه دعوا الناس
## إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ كذلك دَعَوُا النَّاسَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا بِكَلَامِهِمْ بَشَرًا كَثِيرًا.

فَكَانَ مِمَّا بَلَغَنَا مِنْ أَمْرِ الْجَهْمِ - عَدُوِّ اللَّهِ - أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، مِنْ أَهْلِ التِرْمِذِ، وَكَانَ صَاحِبَ خُصُومَاتٍ وَكَلَامٍ، وَكَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي اللَّهِ.

## الشرح

هذا الجهم وشيعته وأتباعه الذين نفوا الصفات عن الله ﷻ وأنكروا وقالوا بالجبر والإرجاء، هؤلاء هذا أصل أمرهم يقول الإمام أحمد إنهم دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن ومن الحديث فضلوا وأضلوا، يأتون بالمتشابه حتى يضلون بأنفسهم، ويضلوا به الناس.



## لقاء الجهم والسمنية

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَلَقِيَ أُنَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُمْ السُّمَنية فَعَرَفُوا الْجَهْمَ فَقَالُوا لَهُ نُكَلِّمُكَ، فَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُنَا عَلَيْكَ دَخَلْتَ فِي دِينِنَا، وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْنَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ.

فَكَانَ مِمَّا كَلَّمُوا بِهِ الْجَهْمَ أَنْ قَالُوا لَهُ: "أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ إِلَهًا؟.

قَالَ: الْجَهْمُ: نَعَمْ.

فَقَالُوا: لَهُ فَهَلْ رَأَيْتَ إِلَهَكَ؟!.

قَالَ: لَا.

قَالُوا فَهَلْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ؟.

قَالَ: لَا.

قَالُوا فَشَمَمْتَ لَهُ رَائِحَةً؟.

قَالَ: لَا.

قَالُوا فَوَجَدْتَ لَهُ حِسًّا؟.

قَالَ: لَا.

قَالُوا: فَوَجَدْتَ لَهُ مِجساً؟.

قَالَ: لَا.

قَالُوا: فَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ إِلَهٌ؟.

قَالَ: فَتَحَيَّرَ الْجَهْمُ، فَلَمْ يَدْرِ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

## الشرح

يقول الإمام ﷺ: أنَّ الجهم لقي أناساً من الكفار، يقال لهم: السُّمنية، والسمنية طائفة من الكفار في الهند لا يؤمنون إلا بالحسيات، وهي المحسوسات الخمس التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس، فالذي يدرك بالحواس الخمس يثبتونه، والذي لا يدرك بالحواس الخمس ينفونه.

فالشيء الذي تراه بعينك أو تسمعه بأذنك أو تشمه بأنفك، أو تذوقه بلسانك، أو تلمسه بيدك - تجسه - هذا تثبته، وأما عدا ذلك فليس له وجود، فلا يؤمنون إلا بما يُدرَك بإحدى الحواس الخمس، هؤلاء هم السُّمنية.

○ قوله: «فَلَقِيَ أُنَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُمْ السُّمَنية فَعَرَفُوا الْجَهْمَ فَقَالُوا لَهُ نُكَلِّمُكَ، فَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُنَا عَلَيْكَ دَخَلْتَ فِي دِينِنَا، وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْنَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ»: يعني قالوا للجهم نحن نكلمك، وتكلمنا هاتِ حجتك، وندلي بحجتنا، فإن كانت حجتنا أقوى أدخل في ديننا، وأتِ أنت بحجتك، فإن كانت حجتك أقوى دخلنا في دينك.

○ قوله: «قَالُوا فَوَجَدْتَ لَهُ حِسًّا؟» الحس يطلق على الحسيس، والحسيس يطلق على الصوت الخفي، وأصل الإحساس الإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مَريَم: ٩٨]، ثم استعمل في الوجدان

والعلم، وفي جميع الحواس «فهل وجدت له حسا؟» يعني هل وجدت له وجدانًا؟ وعلمت وجوده بأي حاسة كانت من الحواس الخمس؟

❍ قوله: «قَالُوا فَوَجَدْتَ لَهُ مِجساً؟» مجساً يعني: الجس باليد، في الصحاح: "جَسَّهُ بيده، واجْتَسَّهُ، أي مسّه، والمَجَسَّةُ: الموضع الذي يَجُسُّهُ الطبيب"(١).

❍ قوله: «قَالَ: لَا، قَالُوا: فَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ إِلَهٌ؟»: إذن معدوم ليس عندك إله؛ لأنك لا تدركه بحاسة من الحواس الخمس، لم تره بعينك، ولم تسمعه بأذنك، ولم تشمه بأنفك، ولم تجد له مجسًا بيدك، ولم تجد له حسًا ووجدانًا، بأي حاسة من الحواس، إذن هو معدوم.

❍ قوله: «فَتَحَيَّرَ الْجَهْمُ، فَلَمْ يَدْرِ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»: في اللفظ الآخر أنه ترك الصلاة أربعين يومًا، حيروه السمنية فتحير، فلم يدر من يعبد، فترك الصلاة أربعين يومًا.

نسأل الله السلامة والعافية، ثم بعد ذلك استدرك.



---

(١) الصحاح (٣/ ٩١٣).

## ضلال الجهم في رده على السمنية

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَدْرَكَ حُجَّةً مِثْلَ حُجَّةِ زَنَادِقَةِ النَّصَارَى، وَذَلِكَ أَنَّ زَنَادِقَةَ النَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي هي فِي عِيسَى ابن مريم عليه السلام هي رُوحُ اللَّهِ، مِنْ ذَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ أَمْرًا دَخَلَ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ، فَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ خَلْقِهِ، فَيَأْمُرُ بِمَا شَاءُ، وَيَنْهَى عَمَّا شَاءُ، وَهُوَ رُوحٌ غائب عَنِ الْأَبْصَارِ.

فَاسْتَدْرَكَ الْجَهْمُ حُجَّةً مِثْلَ هَذِهِ الْحُجَّةِ، فَقَالَ لِلسُّمَني: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ فِيكَ رُوحًا؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ رُوحُكَ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَهل سَمِعْتَ كَلَامَهُ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَوَجَدْتَ لَهُ حِسًّا أو مَجَسًّا؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ فَكَذَلِكَ اللَّهُ لَا يُرَى لَهُ وَجْهٌ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ، وَلَا يُشَمُّ لَهُ

رَائِحَةٌ، وَهُوَ غَائِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ.

## الشرح

يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَدْرَكَ حُجَّةً مِثْلَ حُجَّةِ زَنَادِقَةِ النَّصَارَى»: الزنديق هو المنافق، وقد يكون هذا المنافق من النصارى، وقد يكون ممن ينتسب إلى الإسلام وهو زنديق، فإنَّ بولص زنديق، وقد دخل في دين النصارى ليفسد دينهم، كذلك عبدالله بن سبأ اليهودي الحميري في زمن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل في الإسلام نفاقاً، وهو يهودي منافق خبيث، دخل في الإسلام نفاقاً؛ ليفسد دين الإسلام، فأظهر الإسلام وأبطن الكفر، وسعى في الفتنة حتى تمكن من قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد، فكان رأس الرافضة.

فالجهم استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى؛ وذلك أنَّ زنادقة النصارى يزعمون أنَّ الروح التي في عيسى هو روح الله، من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما شاء، وينهى عما يشاء، وهو روح غائب من الأبصار.

ويزعمون أنَّ عيسى جزء من الله – والعياذ بالله –، فيقولون: إنَّ عيسى كلمة الله، فهو نفس الكلمة، وجزء من الكلمة، فيكون جزءً من الله، وهذا من أبطل الباطل.

والصواب أنَّ عيسى ليس هو الكلمة بل هو مخلوق بكلمة قال الله تعالى له كن فكان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عِمرَان: ٥٩].

فالجهم استدرك مثل هذه الحجة، فقال للسمني الذي لا يؤمن إلا

بالحسيات: ألست تزعم أنَّ فيك روحًا أيها السمني؟ قال: نعم، قال: هل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: أفسمعت كلامه - كلام الروح-؟ قال: لا، قال: أفوجدت له حساً أو مجساً؟ قال: لا، قال: كذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان، يعني يكون في جميع الأمكنة، وهذا هو القول بالحلول، يعني أنه حالٌّ في كل مكان سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.



## الآيات التي بنى عليها الجهمي أصل كلامه

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَوجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه: قَوْلَهُ تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، وقَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعام: ٣]، وقَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فَبَنَى أَصْلَ كَلَامِهِ عَلَى هؤلاء الْآيَاتِ، وَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَكَذَّبَ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَزَعَمَ أَنَّ مَنْ وَصَفَ من اللَّهَ شيئاً مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ حَدَّثَ به عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ كَانَ كَافِرًا، وَكَانَ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ، فَأَضَلَّ بِكَلَامِهِ بَشَرًا كَثِيرًا، وَتَبِعَهُ عَلَى قَوْلِهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ بِالْبَصْرَةِ، وَوَضَعَ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ.**

## الشرح

إذن الجهم وجد ثلاث آيات من القرآن من المتشابه، وبنى أصل كلامه على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، وقف على هذا فأخذ بعض الآية، وترك بعضها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١] وقال الجهم: إنَّ الله لا يماثله شيء من الأشياء، وسيأتي معنى هذا: الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾

[الأنعَام: ٣] أي: أنَّ الله في السماء وفي الأرض وفي كل مكان.

الآية الثالثة قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] يعني: أنه لا يُرى.

إذن هو في كل مكان، ولا يرى، وليس كمثله شيء، فقوله: لا يرى يريد أن يسد الباب عن رؤيته، حتى لا يحاول أحد أو يطلب أو يسأل أحد رؤية الله، والثانية ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعَام: ٣] هذا أثبت به الحلول، والثالثة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ أثبت بها أنه معدوم، كما سيأتي.

فبنى أصل كلامه على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرًا، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية.

○ قوله: «وَتَبِعَهُ عَلَى قَوْلِهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ»: ليس المراد بأصحاب أبي حنيفة أصحاب الإمام، وتلاميذ الإمام، وإنما المراد من أتباع المذهب، أي: جماعة من الحنفية، وأما تلاميذ الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف فهؤلاء من العلماء الأفاضل، ومن كبار العلماء، لا يقولون بهذا، وكذلك الإمام لا يقول به.

لكن بعض أتباع الحنفية أشاعرة، وبعضهم جهمية، وبعضهم معتزلة، وكذلك بعض أتباع الشافعية، وبعض أتباع المالكية، وبعض أتباع الحنابلة، فإنه يوجد في الحنابلة من هو أشعري معتزلي.

فليس المراد من التلاميذ، وإنما المراد من أتباع المذهب، فيكون

مذهبه في الفروع حنفي، ولكن في العقيدة أشعري، وأكثر الحنفية أشاعرة، ويكون مثلاً في المذهب شافعياً، مثل الرازي شافعي، ولكنه جهمي في العقيدة والصفات، كذلك قد يكون حنبلياً في المذهب، لكن في المعتقد يتمشى مع مذهب الأشاعرة، وهكذا.

❍ قوله: «وَأَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ بِالْبَصْرَةِ»: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء هما اللذان أسسا مذهب الاعتزال، وكانا من تلاميذ الحسن البصري رحمه الله فافترقا عنه وخالفاه.

ويقال: إنَّ سبب ذلك أنَّ رجلاً جاء وسأل الحسن البصري عمن فعل كبيرة، فانبرى له واصل بن عطاء وابن عبيد وقال: أنا لا أقول: مؤمناً ولا كافراً، ثم جلسا يساره، وجعل يُقِرّ هذه المذاهب، واعتزل مجلس الحسن البصري فصار الناس يقولون: هؤلاء المعتزلة، فسموا معتزلة من ذلك الوقت، فعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء هما اللذان أسسا مذهب الاعتزال، ولهذا قال: «وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة».

❍ قوله: «وَوَضَعَ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ»: ودين الجهمية موضوع على إنكار الأسماء والصفات، بل إنكار وجود الله؛ لأنه يلزم من مذهبهم إنكار وجود الله؛ لأنَّ الشيء الذي ليس له اسم ولا صفة لا وجود له.

فمن أنكر الأسماء والصفات، فقد أنكر وجود الله؟ لأنه لا يوجد شيء ليس له اسماء وصفات، بل كل موجود لا بد أن يكون له اسم وصفة، فالطاولة لها طول ولها عرض فتصفها، فلو قلت إنَّ هناك طاولة ليس لها طول ولا عرض ولا عمق، وليست في السماء، ولا في الأرض، ماذا تكون؟ معدومة. فهؤلاء الجهمية ينفون عن الله جميع

الأسماء والصفات، حتى الغلاة نفوا الوجود - والعياذ بالله -؛ ولهذا كفر الجهمية كثير من العلماء، كما ذكر العلامة ابن القيم أنَّه كفرهم خمسمائة عالم[١].

وقال عبدالله بن المبارك - الإمام المشهور-: إنَّا لنحكي أقوال اليهود والنصارى ولا نحكي أقوال الجهمية، ما نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية؛ من شدة شناعتها وبشاعتها، يعني أشد من اليهود، نسأل الله العافية.

إذن دين الجهمية مبني على إنكار الأسماء والصفات، ويلزم منه إنكار وجود الله - نعوذ بالله -.



(١) فقال في نونيته (١/ ٤٢):

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

## تفسير الجهمية لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ والرد عليها

قال المؤلف - رحمه الله -:

فَإِذَا سَأَلَهُمُ النَّاسُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشّورىٰ: ١١] وما تفسيره؟ يَقُولُونَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ تَحْتَ الْأَرَضِينَ السابعة، كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا ينظر إليه أحد فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُوصَفُ، وَلَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ، وَلَا بفعل، وَلَا لَهُ غَايَةٌ، وَلَا لَهُ مُنْتَهًى، وَلَا يُدْرَكُ بِعَقْلٍ، وَهُوَ وَجْهٌ كُلُّهُ، وَهُوَ عِلْمٌ كُلُّهُ، وَهُوَ سَمْعٌ كُلُّهُ، وَهُوَ بَصَرٌ كُلُّهُ، وَهُوَ نُورٌ كُلُّهُ، وَهُوَ قُدْرَةٌ كُلُّهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْئَيْنِ مختلفين، وَلَا يُوصَفُ بِوَصْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَيْسَ لَهُ أَعْلَى وَلَا أَسْفَلُ، وَلَا نَوَاحٍ وَلَا جَوَانِبُ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا هُوَ ثَقِيلٌ وَلَا خَفِيفٌ، وَلَا لَهُ لَوْنٌ، وَلَا لَهُ جِسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَعْلُومٍ أو مَعْقُولٍ، وَكُلَّمَا خَطَرَ بِقَلْبِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ فَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ.

### الشرح

هذه كلها سلوب ونفي، نتيجتها العدم، الذي يوصف بهذه الصفات غير موجود، فهو معدوم لا وجود له.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا سأل الناس الجهمية عن قول الله - تعالى -: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] وما تفسيره؟ يقولون: ليس كمثله كشيء من الأشياء»: سيأتي أنَّ الإمام يقول: إنَّ معناها: العدم، وسيأتي توضيحها - إن شاء الله -.

❍ وقولهم: «وَهُوَ تَحْتَ الْأَرَضِينَ السابعة، كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا ينظر إليه أحد فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُوصَفُ، وَلَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ، وَلَا بفْعل، وَلَا لَهُ غَايَةٌ، وَلَا لَهُ مُنْتَهًى، وَلَا يُدْرَكُ بِعَقْلٍ»: إذن ماذا يكون؟ يكون معدوماً؛ لأن هذه هي صفات المعدوم.

❍ قوله: «وَهُوَ وَجْهٌ كُلُّهُ، وَهُوَ عِلْمٌ كُلُّهُ، وَهُوَ سَمْعٌ كُلُّهُ، وَهُوَ بَصَرٌ كُلُّهُ، وَهُوَ نُورٌ كُلُّهُ، وَهُوَ قُدْرَةٌ كُلُّهُ»، المراد: أنَّه شيء واحد لا يوصف بوصفين مختلفين، لكن يوصف بشيء واحد، فهو وجه كله، وعلم كله، وسمع كله وبصر كله، يعني شيء واحد.

ولهذا قال: «وَلَا يَكُونُ شَيْئَينِ مختلفين، وَلَا يُوصَفُ بِوَصْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ»: حتى يكون شيئاً واحداً، لكن هذا الشيء عدم، شيء في اللفظ فقط، «وَلَيْسَ لَهُ أَعْلَى وَلَا أَسْفَلُ، وَلَا نَوَاحٍ وَلَا جَوَانِبُ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا هُوَ ثَقِيلٌ وَلَا خَفِيفٌ، وَلَا لَهُ لَوْنٌ، وَلَا لَهُ جِسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَعْلُومٍ أو مَعْقُولٍ، وَكُلَّمَا خَطَرَ بقَلْبِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ فَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ»: إذن هذا ينتج العدم.

***

قَالَ أَحْمَدُ فقُلْنَا فهُوَ شَيْءٌ؟

فَقَالُوا: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ، فَقُلْنَا إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا كَالْأَشْيَاءِ قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يُثبتُون شَيْئاً، وَلَكِنْهم يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ الشُّنْعَةَ بِمَا يُقِرُّونَ مِنَ الْعَلَانِيَةِ.

## الشرح

الشُنعة بضم الشين، وقالوا شنُع شناعة: قبح، وهو شنيع، والاسم: الشُّنعة، وقيل: المراد به: الفظاعة، أي: يدفعون عن أنفسهم القبح والشناعة والفظاعة بهذا.

قال أحمد رَحَمَهُ ٱللَّهُ: «فقُلْنَا فهُوَ شَيْءٌ؟» يعني: قلنا للجهمية الرب عَزَّوَجَلَّ هل هو شيء؟ قالوا: هو شيء لا كالأشياء، قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

أجاب الإمام أحمد الجهمية فقال: «الشَّيْءَ الَّذِي لَا كَالْأَشْيَاءِ قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ»: يعني: أنه معدوم، ولكنكم أنتم لا تريدون أن تصرحوا وتقولوا: إنه معدوم؛ لأنكم تريدون أن تدفعوا عن أنفسكم الشناعة بما تقرون من العلانية.

فأنتم تقرون في العلانية وتقولون: هناك إله، هناك رب، وتصفونه بهذه السلوب حتى تدفعوا عن أنفسكم الشنعة، ولا تستطيعون أن تصرحوا وتقولوا هو معدوم، لكن هذا هو العدم، فالشيء الذي لا كالأشياء عدم، كيف ذلك؟

من قال: إنَّ الله لا يشبه شيئًا - بوجه من الوجوه - من الأشياء،

فإنه قال بالعدم، فلا يقال: إنَّ الله لا يشبه شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه، بل هناك شيء لا بد من إثباته، كل الموجودات لا بد أن تتفق في شيء من الأشياء، وهو الاتفاق في الذهن، الاتفاق في المعنى الذهني، عند إطلاق اللفظ، والقطع عن الإضافة والتخصيص، كلفظ وجود، ولفظ علم، ولفظ يد.

فمن المعلوم بالضرورة أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يتفقان فيه في الذهن وفي مطلق اللفظ عند القطع عن الإضافة والتخصيص، ولا يجب تماثلهما، فمثلاً لفظ «وجود» يشمل وجود الله، ووجود المخلوق، ففي الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وهو وجود الله، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم، وهو وجود المخلوق، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود تماثلهما عند الإضافة والتخصيص؛ لأن الاتفاق إنما هو في المسمى العام وهو لفظ «وجود»، وهو لا يقبل التماثل في مسمى الاسم عند تخصيصه وإضافته.

فلفظ «وجود» يشمل وجود الله ووجود المخلوق، وهذا الاشتراك في أي شيء؟

هو اشتراك في مطلق اللفظ وفي الذهن، فَأَعْرف في الذهن أنَّ الوجود ضد العدم يشمل وجود الله، ووجود المخلوق، لكن متى يزول الاشتباه؟ عند التخصيص والإضافة، فنقول: وجود الخالق ووجود المخلوق عندئذ يتميز.

فوجود الخالق وجود كامل لا يعتريه نقص، ولا موت ولا نعاس ولا نوم ولا فساد، أما وجود المخلوق فيعتريه هذا.

ومن الأمثلة أيضاً لفظ اليد فتشمل يد المخلوق ويد الخالق لماذا؟

لأنها قطعت عن الإضافة، فبينهما اتفاق في الذهن، أي: معنى في الذهن فيه اشتراك، وكذلك في مطلق اللفظ، لكن إذا أضفت اليد إلى الخالق زال الاشتباه، واليد إلى المخلوق زال الاشتباه.

وقد مثَّل العلماء بالعرش والبعوضة، فقالوا: العرش والبعوضة متفقان في مسمى الشيء والوجود، فكل من العرش والبعوضة موجود، والوجود يشمل وجود العرش ووجود البعوضة، وهذا الاتفاق متى يكون بين العرش والبعوضة، أو بين البعوضة والفيل؟

عند القطع عن الإضافة والتخصيص.

وجود: كل من العرش والبعوضة يطلق عليه لفظ وجود.

الحياة: فكل منهما، أي: البعوضة والفيل حي، هذا حي وهذا حي.

لكن لفظ الحياة، والوجود، عام أو خاص؟ عام، فلا يقول عاقل: إنَّ العرش والبعوضة: أو البعوضة والفيل متماثلان؛ لاتفاقهما في الحياة والوجود، وكذلك لفظ (الحياة) تطلق على البعوضة والفيل، فيقال: البعوضة حي، والفيل حي.

وأيضاً لفظ «يد»، «علم»، «قدرة»، «سمع»، «بصر»، فـ«يد» تشمل يد الخالق ويد المخلوق عند الإطلاق، و«قدرة» تشمل قدرة الخالق والمخلوق، و«سمع» يشمل سمع الخالق والمخلوق، فمتى يزول الاشتباه؟ ومتى يزول الاشتراك؟ إذا أضفت أو خصصت، فقلت: يد الله، قدرة الله، يد المخلوق، قدرة المخلوق، زال الاشتباه، أما عند القطع فيوجد اشتراك، فالذي لا يثبت هذا الاشتراك معناه نفى وجود الله، ونفى أسمائه وصفاته، والجهم نفى هذا الاشتراك فأنكر

وجود الله.

إذن أسماء الله وصفاته توافق أسماء المخلوقين وصفاتهم عند الإطلاق والتجريد عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، وعند الاختصاص والإضافة يقيد بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق من الخالق.

وإن كان العقل يفهم قدرًا مشتركًا من المسميين فلا بد من هذا، فيفهم ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة لمشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذن لا بد من إثبات نوع من الشبه بين الخالق والمخلوق، ما هو؟ الاشتراك في الذهن، وفي مطلق اللفظ عند القطع عن الإضافة والاختصاص، وهذا فيه اشتراك بين الخالق والمخلوق، مثل لفظ «وجود»، ولفظ «علم»، ولفظ «قدرة»، ولفظ «سمع»، فالذي ينفي هذا النوع من الشبه، أو من الاشتباه معناه أنكر وجود الله، وأنكر أسماءه وصفاته، والجهم أنكر هذا، ولهذا قال له الإمام أحمد لما قال الإمام أحمد للجهم هو شيء؟، ماذا قال الجهم؟ قال: شيء لا كالأشياء، لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، حتى ولا في الذهن عند القطع عن الإضافة والتخصيص، فقال له الإمام أحمد إنَّ الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنَّه لا شيء وأنَّه معدوم.

فعند ذلك تبين للناس أنهم - يعني الجهمية - لا يثبتون شيئًا، ولا يثبتون وجوداً لله، ولا يثبتون شيئًا من أسماء الله وصفاته، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية، فهو يقول: نثبت

إلهاً ويصفونه بالسلوب حتى يدفعوا عن أنفسهم الشناعة، ما تجرءوا على القول بإنكار وجود الله صراحة؛ لأنهم زنادقة ومنافقون.

لكن أهل العلم كالإمام أحمد عرفوا أنهم ينكرون وجود الله، من قولهم: هو شيء لا كالأشياء.

فالذي يقول: إنَّ الله شيء لا كالأشياء، أو لا يشبه الأشياء في وجه من الوجوه، الحقيقة أنَّ هذا فيه إنكار لوجود الله؛ لأنه لا بد أن تثبت وجهًا من المشابهة، ما هو هذا الوجه؟

هو في الذهن، وفي مطلق اللفظ عند القطع عن الإضافة والتخصيص، مثل لفظ «وجود»، ولفظ «علم»، ولفظ «قدرة»، ولفظ «سمع»، ولفظ «يد»، فهذا فيه: نوع اشتباه واشتراك بين الخالق والمخلوق.

لكن هل له وجود في الخارج؟ لا، ليس له وجود في الخارج إلا بالإضافة والتخصيص، فلفظ «يد» هذا عام في الذهن، ففي الذهن تتصور أنَّ لفظ يد يشمل يد الخالق والمخلوق، وكذلك لفظ علم يشمل علم الخالق وعلم المخلوق في ذهنك، وكذلك لفظ قدرة تشمل قدرة الخالق وقدرة المخلوق في ذهنك.

فهذا اشتباه، فنوع من الشبه بين الخالق والمخلوق، ومتى يزول هذا الاشتراك؟ إذا أضفت.

ويشبه هذا لفظ «إنسان»، فالإنسانية معنى ذهني، ففي الذهن لفظ الإنسان يشمل جميع الآدميين، ففيه اشتراك واشتباه، متى يزول الاشتباه في الخارج؟ إذا سميت عمرا وبكرا وخالدا وإسماعيل وفلان، زال الاشتباه بأفراده في الخارج، لكن «إنسان» هذا عام.

ومثل: لفظ «الحيوانية»، فحيوان معنى عام ، لكنه في الذهن، متى يزول الاشتراك بأفراده في الخارج، إذا سمى فرس، جمل، خروف، وهكذا. فلفظ «حيوان»، و«إنسان»، و«علم» و«قدرة»، و«وجود» هذا عام مشترك، لكنه في الذهن ولا يوجد في الخارج، فهو اشتراك في الذهن، ومعنى في الذهن فقط، وذلك عند إطلاق اللفظ وعدم تقييده وتخصيصه.

قال الإمام أحمد للجهم: «إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا كَالْأَشْيَاءِ قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يُثبتُون شَيْئاً»: كلمة "بشيء" في بعض النسخ - إن صحت - يعني بشيء من الأدلة، يعني: لا يثبتون شيئًا بشيء من الأدلة.



## نفاق الجهمية بادعائهم عبادة مدبر الخلق مع وصفهم له تعالى بالجهالة

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَنْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا نَعْبُدُ مِنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ، فَقُلْنَا: فَهَذَا الَّذِي يُدَبِّرَ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ هُوَ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قُلْنَا قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّكُمْ لَا تثبتون شيئاً، وإِنَّمَا تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الشَّنْعَةَ بِمَا تُظْهِرُون.

### الشرح

الإمام ﷺ يقول: «فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ - يعني الجهمية -: مَنْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا نَعْبُدُ مِنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ»، وهذا من نفاقهم؛ لأنَّ الزنادقة هم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، يقولون: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق، لكن من هو الذي يدبر أمر هذا الخلق؟ لا وجود له، «فَقُلْنَا: فَهَذَا الَّذِي يُدَبِّرَ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ هُوَ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ؟، قَالُوا: نَعَمْ»؛ فقلنا لهم: كيف تعبدون مدبر هذا الخلق وهو مجهول؟ المجهول يعني غير معلوم، على هذا يعبدون عدماً! فقال الإمام ﷺ: «قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّكُمْ لَا تثبتون شيئاً»، لا تثبتون الوجود لله بشيء من الأدلة، «وإِنَّمَا تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الشَّنْعَةَ» بما تظهرون في الظاهر يقولون: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق، وهم: يريدون أن يخفوا كفرهم وزندقتهم ونفاقهم، لكن في الباطن ما يثبتون شيئاً.



## شبهتهم في نفي الكلام عن الله تعالى والرد عليها

قال المؤلف - رحمه الله -:

وقلْنَا لَهُمْ هَذَا الَّذِي يُدَبِّرُ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى؟ قَالُوا: لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يتكلَّم؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجَارِحَةٍ، وَالْجَوَارِحُ عن الله مَنْفِيَّةٌ.

فَإِذَا سَمِعَ الْجَاهِلُ قَوْلَهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ سبحانه، وَلَا يَشعرُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعُودُ قَوْلُهُمْ إِلَى فرية في الله ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر.

## الشرح

يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ: «وقلْنَا لَهُمْ هَذَا الَّذِي يُدَبِّرُ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى؟ قَالُوا: لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يتكلَّم؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجَارِحَةٍ، وَالْجَوَارِحُ عن الله مَنْفِيَّةٌ، فَإِذَا سَمِعَ الْجَاهِلُ قَوْلَهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ سبحانه»؛ لأنهم يقولون: نحن ننزه الله عن المشابهة والمماثلة؛ لئلا يكون كالمخلوق الذي يتكلم بجارحة، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية في الله ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر.



## شبهة الجهمي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ في أن جعل بمعنى خلق، والرد عليهم

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

قال أحمد رحمه الله: فَمِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الجهمي يُقَالُ لَهُ: تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةً تُخْبِرُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؟ فَلَا يَجِدُ، فَيُقَالُ لَهُ فَتَجِدُهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؟ فَلَا يَجِدُ فَيُقَالُ لَهُ فلم قُلْتَ؟، فَسَيَقُولُ: مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وَزَعَمَ أَنَّ "جَعَلَ" بِمَعْنَى "خَلَقَ"، فَكُلُّ مَجْعُولٍ هُوَ مَخْلُوقٌ، فَادَّعَى كَلِمَةً مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَشَابِهِ يَحْتَجُّ بِهَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُلْحِدَ فِي تَنْزِيلِهَا، وَيَبْتَغِي الْفِتْنَةَ فِي تَأْوِيلِهَا.

### الشرح

الإمام رحمه الله يطالب الجهمي بدليل على أنَّ القرآن مخلوق، فلا يجد الجهمي دليل، وإنما عنده شبهة شرعية، وهي آية من القرآن استدل بها على أنَّ القرآن مخلوق، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

ولهذا قال الإمام رحمه الله فيقال له: فلم قلت: إن القرآن مخلوق؟ قال: فسيقول من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. هذه شبهة، آية من القرآن استدل بها الجهم على أن القرآن مخلوق.

ووجه استدلال الجهم من الآية أنَّه ادعى أنَّ كل مجعول مخلوق، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فدل على أنَّ القرآن مخلوق.






## كلمة جعل في القرآن من المخلوقين
## على معني التسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

وَذَلِكَ أَنَّ "جَعَلَ" فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى وَجْهَيْنِ: عَلَى مَعْنَى التَّسْمِيَةِ، وَعَلَى مَعْنَى فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ.

قَوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]. قَالُوا هُوَ شِعْرٌ، وَأَنْبَاءُ الْأَوَّلِينَ، وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، فَهَذَا عَلَى مَعْنَى تسمية.

وقَالَ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، يَعْنِي أَنَّهُمْ سَمَّوْهُمْ إِنَاثًا.

ثُمَّ ذَكَرَ "جَعَلَ" عَلَى غير مَعْنَى التَّسْمِيَةِ، فَقَالَ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، فهذا يدل على معنى فعل من أفعالهم، وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، هَذَا عَلَى مَعْنَى فَعَلَ، هَذَا جَعْلُ الْمَخْلُوقِينَ.

## الشرح

الجواب لهذه الشبهة أنَّ كلمة "جعل" في القرآن من المخلوقين لها معنيان، وكلمة "جعل" في القرآن من الله لها معنيان.

أما كلمة جعل في القرآن الكريم من المخلوقين فَهنا تأتي على وجهين من المعنى، وهما:

**الوجه الأول**: تأتي بمعنى التسمية، فمعنى جعل كذا، يعني: سمى

كذا، ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١] جعلوا: يعني سموا القرآن عضين، وقوله: ﴿عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾: يعني أجزاء، فقد قالوا عن القرآن: إنَّه شعر وأساطير الأولين وأضغاث أحلام، فجزءوا القرآن وسموه بأسماء، ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] أي: سموهم إناثاً.

**الوجه الثاني**: تأتي بمعنى فعل من أفعال المخلوقين، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] فجعل الأصابع في الأذان فعل من أفعالهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] فهذا فعل من أفعالهم.

إذن: جعل في القرآن من المخلوقين لها معنيان، وأيضاً جعل من الله لها معنيان، سيأتي ذكرهما قريباً:



## كلمة جعل في القرآن من الله
## على معنى خلق وغير خلق

**قال المؤلف** - **رحمه الله** -:

ثُمَّ ذكر (جَعَلَ) مِنْ اللَّهِ عَلَى مَعْنًى (خَلَقَ) وجعل على غَيْرِ معنى خَلَقَ، والذي قال الله تعالى (جَعَلَ) على معنى (خَلَقَ) لَا يَكُونُ إِلَّا خَلْقًا، وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَقَامَ خَلَقَ خَلْقًا لَا يَزُولُ عَنْهُ الْمَعْنَى، فَإِذَا قَالَ تعالى "جَعَلَ" عَلَى غَيْرِ مَعْنَى خَلَقَ، لَا يَكُونُ خَلَقاً، وَلَا يَقُومُ مَقَامَ خَلَقَ، وَلَا يَزُولُ عَنْهُ الْمَعْنَى.

## الشرح

يذكر هنا أنَّ جعل من الله في القرآن تأتي ولها معنيان:

المعنى الأول: تأتي جعل بمعنى خلق، والمعنى الثاني: تأتي جعل على غير معنى خلق.

ولكل واحد أمثلة، فينبغي للإنسان أن لا يخلط بين المعنيين.



## أمثلة من القرآن لكلمة جعل
## على معنى خلق

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَمِمَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ: "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ" قَوْلُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. يَعْنِي: وَخَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.

وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النّحل: ٧٨]، يَقُولُ وَخَلَقَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ.

وَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسرَاء: ١٢]، يَقُولُ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ.

وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نُوح: ١٦].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٩].

يَقُولُ: وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا يقول: خلق من آدم وحواء.

قال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النَّمل: ٦١] يقول: وخلق لها رواسي، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، فَهَذَا - وَمَا كَانَ على مِثْلِهُ - لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى مَعْنَى

"خَلَقَ".

## الشرح

تأتي "جعل" في القرآن ولها معنيان:

**المعنى الأول:** تأتي بمعنى خلق، ومن أمثلته:

**المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] يعني: وخلق الظلمات والنور.

**المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨] أي: وخلق لكم السمع والأبصار.

**المثال الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢].

**المثال الرابع:** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٦].

**المثال الخامس:** قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

**المثال السادس:** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١].



## أمثلة من القرآن لكلمة جعل على معنى غير خلق

قال المؤلف - رحمه الله -:

ثُمَّ ذَكَرَ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى غَيْرِ "خَلَقَ"، قَوْلُهُ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المَائدة: ١٠٣]، لَا يَعْنِي "مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ".

وَقَالَ اللَّهُ تعالى لِإِبْرَاهِيمَ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]، لَا يَعْنِي: "إِنِّي خَالِقُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"؛ لِأَنَّ خَلْقَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُتَقَدِّمًا.

### الشرح

المعنى الثاني: تأتي (جعل) من الله في القرآن لغير خلق.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]، فجعله للناس إماماً يعني أنَّ الله ﷻ اجتباه وجعله قدوة للناس، وليس معنى خلقه؛ لأنه مخلوق قبل أن يكون إماماً، فلو فسرتها بمعنى خلق أو خالقك للناس إماماً لم يصح المعنى؛ لأنه مخلوق قبل أن يكون إماماً وهو صغير في بطن أمه، وما كان إماماً إلا بعد البلوغ بعد مدة، فخلق إبراهيم كان متقدماً على إمامته.

***

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

الشرح

هل المعنى اخلق هذا البلد آمناً؟ هو مخلوق قبل دعائه عليه السلام؛ فلا تستقيم هنا كلمة (جعل) بمعنى خلق.

***

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، لَا يَعْنِي "أَخْلُقْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ".

الشرح

أي: لا يستقيم معنى تفسيرها بخلق، فليس معناه اخلقني؛ لأنك لو فسرت اجعلني مقيم الصلاة بمعنى خلق فسد المعنى، فلا تأتي بمعنى اخلقني مقيم الصلاة!!!؛ لأنه لا يستقيم المعنى.

***

وَقَالَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، لا يعني يريد الله ألا يخلق لهم حظاً في الآخرة.

وَقَالَ لِأُمِّ مُوسَى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧]، لَا يَعْنِي: خَالِقُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تعالى وَعَدَ أُمَّ مُوسَى أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَجْعَلَهُ من بَعْدَ ذَلِكَ مرسلاً.

الشرح

يعني: ليس معناه خالقوه من المرسلين، بل موسى عليه السلام بُعث رسولاً

بعد أن رده الله تعالى إلى أمه.

***

وَقَالَ: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، لا يعني فيخلقه في جهنم.

قَالَ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥]، لا يعني ونخلقهم أئمة ونخلقهم الوارثين.

وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لَا يَعْنِي "خَلَقَهُ دَكًّا".

وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، فَهَذَا - و مَا يكون عَلَى مِثَالِهِ - لَا يَكُونُ عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ".

## الشرح

يقول الإمام رحمه الله: خلاصة الجواب أنَّ شبهة استدلال الجهمي بقول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] يقول: إن جعل من المخلوقين ومن الله لها معنيان، ومن المخلوق لها معنيان على معنى التسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم، وكذلك أيضاً جعل من الله تكون على معنى خلق وتكون على معنى غير خلق.

فالآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ليس معناها خلق من المعنى الثاني؛ لأنك لو فسرت جعلنا بمعنى خلق فسد المعنى، إنا خلقناه قرآناً عربياً، فالإمام أحمد رحمه الله يرد على الجهمية استدلالهم بـ:﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بأن جعل بمعنى خلق، قال: أنتم ما تعرفون

المعاني التي جاءت في القرآن الكريم في كلمة (جعل)، (فجعل) من المخلوقين لها معنيان، وجعل من الله لها معنيان: من المخلوقين لها معنى التسمية وعلى فعل من أفعالهم، ومن الله تأتي جعل بمعنى خلق وتأتي على غير معنى خلق، وهذه الآية ليست من النوع الذي بمعنى خلق.

وأيضاً مما يوضح هذا أنَّ الآية متعدية إلى مفعولين؛ وإذا تعدت إلى مفعولين لا تكون بمعنى خلق، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النّحل: ٩١] تعدت إلى مفعولين فهل: تقول قد خلقتم الله؟ لا أحد يقول: إن المعنى هذا، إنما تكون إذا تعدت إلى مفعول واحد: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبيَاء: ٣١]. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبيَاء: ٣٠] أما هذه الآية فقد تعدت إلى مفعولين؛ فلا يكون معناها خلق.

إذن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجاب عن شبهة الجهمي أو استدلال الجهمي بهذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣]، بأنّ جعل في الآية لا يمكن أن تكون بمعنى خلق؛ لأنه لا يستقيم المعنى، ولأنها تعدت إلى مفعولين، وهي لا تكون بمعنى خلق إلا إذا تعدت إلى مفعول واحد.






## الجهمي فسر جعل بمعنى خلق من غير دليل

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

فَإِذَا قَالَ اللَّهُ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ"، وَقَالَ "جَعَلَ" عَلَى غَيْرِ مَعْنَى "خَلَقَ"، فَبِأَيِّ حُجَّةٍ قَالَ الْجَهْمِيُّ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ"؟.

**الشرح**

يعني: يقول: إذا كان جعل من الله ﷻ تأتي على معنى خلق وتأتي على غير معنى خلق، فبأي حجة فسر الجهمي (جعل) في الآية بمعنى خلق بغير دليل؟.

**فَإِنْ رَدَّ الْجَهْمِيُّ الْجَعْلَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.**

**فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، يقول: جعله عربياً، جعله جعلاً على معنى فعل من أفعال الله تعالى على غير معنى خلق، وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].**

## الشرح

هذا التفسير على فعل من أفعال الله على غير معنى خلق، فـ(جعل) في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فعل من أفعال الله ليس المراد به الخلق تعدت إلى مفعولين، فيكون معناها فعلاً من أفعال الله بمعنى: صير، وهذا في اللغة العربية وهو معروف في القواعد: فالهاء: في قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ المفعول الأول، وقرآناً مفعول ثان، أما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] تعدى إلى مفعول واحد، فيكون (جعل) هنا بمعنى: خلق.

إذن (جعل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] المراد به: فعل من أفعال الله، ليس المراد خلق، وفعل الله من صفات الله، وأسماء الله وصفاته وأفعاله تليق بجلاله وعظمته.

وَقَالَ: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٤-١٩٥]، وَقَالَ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧]، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عربيًّا، وَيَسَّرَهُ بِلِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ كَانَ ذَلِكَ فِعْلًا مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - جَعَلَ بِهِ الْقُرْآنَ عربيًّا.

## الشرح

يَعْنِي: هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هدايته.

***

وَلَيْسَ كَمَا زَعَمُوا مَعْنَاهُ أَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَقِيلَ بَيَّنَّاهُ يعني: هذا بيان لمن أراد الله هداه.

## الشرح

يعني: إنَّا جعلناه قرآنا عربياً، بعضهم يقول: إنَّ معناه خلقناه قرآناً عربياً، وليس معناه أنزلناه(١).

(١) اختار ابن جرير وابن كثير أنَّ معنى: (إنَّا جعلناه) أي: أنزلناه.

## الرد على شبهة الجهمي: هل القرآن هو الله أو غير الله

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَي ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ، وَهُوَ مِنَ الْمُحَالِ، فَقَالَ "أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ أَهُوَ اللَّهُ تعالى، أَوْ غَيْرُ اللَّهِ؟.

فَادَّعَى فِي الْقُرْآنِ أَمْرًا يُوهِمُ النَّاسَ، فَإِذَا سُئِلَ الْجَاهِلُ عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّهُ أَوْ غَيْرُ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ اللَّهُ؟! قَالَ لَهُ الْجَهْمِيُّ: كَفَرْتَ، وَإِنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ اللَّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، فَلِمَ لَا يَكُونُ غَيْرُ اللَّهِ مَخْلُوقًا؟ فَيَقَعُ فِي نَفْسِ الْجَاهِلِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَمِيلُ بِهِ إِلَى قَوْلِ الْجَهْمِيِّ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْجَهْمِيِّ هي مِنَ المَغَالِيطِ.

## الشرح

سبق ذكر الشبهة الأولى للجهم وهي شرعية مأخوذة من الشرع، والشبهة الثانية عقلية، مأخوذة من العقل، يقول فيها: أخبرونا عن القرآن أهو الله أو غير الله؟ فلا بد أن تجيب بأحد الأمرين، فادعى في القرآن أمراً يوهم الناس؛ فإذا سُئل الجاهل عن القرآن أهو الله أو غير الله؟.

فلا بد له أن يقول بأحد أمرين، فإن قال: القرآن هو الله؛ قال له

الجهمي: كفرت، لماذا؟ لأنك قلت بتعدد الخالق، لأنَّ الله والقرآن شيئان -.

***

فَالْجَوَابُ لِلْجَهْمِيِّ إِذَا سَأَلَ فَقَالَ أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّهُ أَوْ غَيْرُ اللَّهِ؟ قِيلَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لَمْ يَقُلْ فِي الْقُرْآنِ إِنَّ الْقُرْآنَ أَنَا، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ القرآن غَيْرِي، وَقَالَ هُوَ كَلَامِي، فَسَمَّيْنَاهُ بِاسْمٍ سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ، فَقُلْنَا: هو كَلَامُ اللَّهِ تعالى، فَمَنْ سَمَّى الْقُرْآنَ بما سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَمَنْ سَمَّاهُ بِاسْمٍ غَيْرِهِ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ.

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله عن هذه الشبهة بقوله: لا نقول: القرآن هو الله، ولا نقول: غير الله؛ لأنَّ الله تعالى لم يقل في القرآن: إنَّ القرآن أنا، ولم يقل: إنَّ القرآن غيري، وإنما سماه كلامه، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين.

ثم يبين الإمام رحمه الله بأنَّ الله فصل بين الخلق والأمر فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، الأمر - كلامه -: وهما شيئان، فمن قال: إنَّ القرآن مخلوق؛ الخلق والأمر شيئا واحدا، والقرآن كلام الله وأمره، والأمر غير الخلق وقد فصل الله بينهما: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ هذا شيء، وهذا شيء.



## بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقَدْ فَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ قَوْلِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُسَمِّهِ قَوْلًا فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَلَمَّا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ إِلَّا كَانَ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا لَيْسَ بِخَلْقٍ، فَقَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فَأَمْرُهُ هُوَ قَوْلُهُ، تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خَلْقًا.

## الشرح

بين الإمام أنَّ الله تعالى فصل بين قوله وبين خلقه بالواو، ولم يسم الخلق قولاً فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ يدخل فيه جميع المخلوقات وقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ الأمر كلام الله ليس من الخلق؛ لأن الله تعالى يخلق بالكلام قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ولو كان الأمر مخلوقاً لكان مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر إلى ما لا نهاية؛ فيفضي إلى التسلسل وهو باطل.



## قال الله عن القرآن ﴿أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾
## فالقرآن هو الأمر

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخان: ٣-٤]، ثُمَّ قَالَ في القرآن هو أمرٌ مِنْ عِنْدِنَا.**

## الشرح

قوله: ﴿أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾ [الدّخان: ٥] هذه تكملة للجواب السابق، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ يعني: القرآن: ﴿لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾. يعني: ليلة القدر: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخان: ٣-٤] ثم قال: القرآن هو أمر من عند الله.



## القول غير الخلق فالله يخلق ويأمر

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَقَالَ تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الرُّوم: ٤]، يَقُولُ لِلَّهِ الْقَوْلُ مِنْ قَبْلِ الْخَلْقِ، وَمِنْ بَعْدِ الْخَلْقِ، واللَّهُ يَخْلُقُ وَيَأْمُرُ، وَقَوْلُهُ غَيْرُ خَلْقِهِ.**

**وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطَّلَاق: ٥].**

**وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هُود: ٤٠].**

**يقول: قد جاء قولنا في أمر القرآن.**

## الشرح

يعني: في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الرُّوم: ٤] ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ يعني: القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق، فالله له القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق؛ إذن القول غير الخلق، فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه.



## باب:

## بيان ما فصل الله بين قوله وبين خلقه

الباب هذا زيادة توضيح: أنَّ الله تعالى فصل بين الخلق وبين الأمر؛ وهو زيادة لتوضيح الجواب، تبين أنَّ الله تعالى فصل بين الخلق والقول، وأنهما شيئان، وأنَّ أحدهما لا يدخل في الآخر.

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - إِذَا سَمَّى الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِاسْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَسَامِي فَهُوَ مُرْسَلٌ غَيْرُ مُنْفَصِلٍ وَإِذَا سَمَّى شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لَا يَدَعُهُمَا مُرْسَلَيْنِ حَتَّى يَفْصِلَ بَيْنَهُمَا، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يُوسُف: ٧٨]، فَهَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ سَمَّاهُ بِثَلَاثَةِ أَسَامٍ، وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ لَهُ أَبًا وَشَيْخًا وكَبِيرًا.

وَقَالَ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التّحْريم: ٥]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾، فهذا شيء واحد فهو مرسل، فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحْريم: ٥].

فَلَمَّا كَانَتْ الْبِكْرُ غَيْرَ الثَّيِّبِ، لَمْ يَدَعْهُ مُرْسَلًا حَتَّى فَصَلَ بَيْنَهُمَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحْريم: ٥] وَقَالَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [فَاطِر: ١٩] ثم قال: ﴿وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فَاطِر: ١٩]، فَلَمَّا كَانَ الْبَصِيرُ غَيْرَ الْأَعْمَى فَصَلَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا

ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: ٢٠-٢١]، فَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ غَيْرَ الشَّيْءِ الْآخَرِ فَصَلَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤]، فَهَذَا كُلُّهُ اسم شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَهُوَ مُرْسَلٌ لَيْسَ بِمُفَصَّلٍ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] لِأَنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ الْأَمْرِ، فَهُوَ مُنْفَصِلٌ.

## الشرح

هذا الباب يبين فيه الإمام ﷺ أنَّ الشيء إذا كانت له أسماء متعددة وأوصاف متعددة؛ تأتي بعضها تلو بعض من دون أن يفصل بينهما بالواو، أما إذا كانت متغايرة فلا بد أن يفصل بينهما بالواو؛ ولهذا قال الإمام: وذلك أنَّ الله - جل ثناؤه - إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو بثلاثة أسام فهو مرسل غير مفصل وغير مقيد، فتأتي تباعاً الاسم بعد الاسم دون أن يفصل بينهما بالواو، أما إذا سماه بشيئين مختلفين فلا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما بالواو.

مثال الأول: وهو أن يسمي الواحد باسمين أو ثلاثة أسام ويكون مرسلاً وغير مقيد قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨]، فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسماء، وهذه الأسماء كلها ليعقوب عليه السلام فهو أب وهو شيخ وهو كبير ﴿أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾، فكلها ثلاثة أسماء لشيء واحد؛ ولهذا لم يفصل بينها، ولم يقل: إنَّ له أباً وشيخاً وكبيراً، بل أرسلها.

ومثله قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ

مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التّحْريم: ٥]، هذه كلها صفات لشيء واحد، صفات للزوجات: مسلمات وصف لهن، مؤمنات هذا وصف لهن، قانتات: القنوت دوام الطاعة، تائبات: التوبة الرجوع إلى الله، عابدات، سائحات.

ثم بعد ذلك لما جاء وصفان مختلفان؛ فصل بينهما بالواو فقال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحْريم: ٥] ولم يقل: ثيبات أبكاراً؛ لأنَّ البكر غير الثيب، فلما سمى الشيء باسمين مختلفين فصل بينهما بالواو؛ لأنهما مختلفان فقال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحْريم: ٥]، ولما كانت الصفات السابقة كلها صفات لشيء واحد لم يفصل بينها بالواو، بل أرسلها هكذا: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، فلما اختلف المعنى؛ فصل بالواو فقال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحْريم: ٥].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فَاطِر: ١٩]، لما كان البصير غير الأعمى؛ فصل بينهما بالواو ولم يقل: وما يستوي الأعمى البصير.

وكذلك مثله: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [فَاطِر: ٢٠-٢١]، كلها مختلفة، الظلمات غير النور، والظل غير الحرور؛ ولهذا فصل بينهما بالواو ولم يرسله فقال: الظلمات والنور والظل والحرور، فلما كان كل واحد من هذا شيئاً غير الشيء الآخر؛ فصل بينهما بالواو.

«**ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾** [الحَشر: ٢٣- ٢٤]» فهذه كلها أسماء لله ﷻ فلما كانت أسماء لشيء واحد وهو الله ﷻ لم يفصل

بينها، فلهذا قال الإمام ﷺ: «فَهَذَا كُلُّهُ اسم شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَهُوَ مُرْسَلٌ لَيْسَ بِمُفَصَّلٍ».

نأتي إلى موضوع البحث - وهو الخلق والأمر - قال المؤلف: «وَكذَلِكَ إِذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] لِأَنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ الْأَمْرِ، فَهُوَ مُنْفَصِلٌ»، لما كان الخلق غير الأمر والأمر غير الخلق؛ فصل بينهما بالواو، فلو كان الأمر داخلاً في الخلق كما تزعمه الجهمية - التي تقول: الأمر داخل في الخلق، فالأمر الذي هو قول الله مخلوق - وهذا غير صحيح لأنه فصل بينهما بالواو ولو كانا شيئاً واحداً لقال: ألا له الخلق الأمر، فلما فصل بينهما بالواو: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾ دل على أنَّ الخلق غير الأمر، وأنَّ الأمر كلام الله، وكلام الله غير الخلق، فكلام الله صفة من صفاته غير الخلق؛ فلهذا فصل بينهما بالواو فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾، وهذا كله تابع لجواب الشبهة السابقة.



## بَيَانُ مَا أَبْطَلَ اللَّهُ
## أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ إِلاَّ وَحْيًا وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

قال: قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ١-٤] وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ شِعْرٌ، وَقَالُوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [الأنعام: ٢٥]، وَقَالُوا: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ [يوسف: ٤٤]، وَقَالُوا تَقَوَّلَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَقَالُوا تَعَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَأَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، يَعْنِي الْقُرْآنَ إِذَا نَزَلَ، فَقَالَ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا، ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ يَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَقُلْ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي مَا هُوَ - يَعْنِي الْقُرْآنَ: ﴿إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ فَأَبْطَلَ الله أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ شَيْئًا غَيْرَ الْوَحْيِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يقول: ما هو ﴿إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ يَعْنِي: عَلَّمَ جِبْرِيلُ مُحَمَّدًا القرآن وَهُوَ: ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ [النّجم: ٦-٧] إِلَى أن قال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النّجم: ١٠] فَسَمَّى اللَّهُ الْقُرْآنَ وَحْيًا، وَلَمْ يُسَمِّهِ خَلْقًا.

**الشرح**

هذا الباب في بيان أنَّ القرآن وحي الله؛ فالله سمى القرآن وحياً ولم

يسمه خلقاً، ففيه الرد على الجهمية القائلين بأنَّ القرآن مخلوق.

ولهذا بوب الإمام أحمد رحمه الله فقال: «**باب بَيَانُ مَا أَبْطَلَ اللَّهُ تبارك وتعالى أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ إِلَّا وَحْيًا وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**».

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١-٤] قال: وذلك أنَّ قريشاً قالوا: إنَّ القرآن شعر، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: أضغاث أحلام، وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه، وقالوا: تعلمه من غيره، خمسة أقوال.

فأقسم الله بالنجم إذا هوى فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ أي: القرآن إذا نزل، لماذا سمي القرآن نجماً؟ لأنه نزل منجماً على حسب الحوادث، منجماً يعني مفرقاً، هذا أحد الأقوال.

وقيل: المراد بالنجم: الثريا إذا سقطت مع الفجر، فيكون الله تعالى أقسم بالثريا؛ لأنَّ له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

وقيل: المراد بالنجم إذا هوى: إذا رمي به الشياطين، قال الحافظ ابن كثير وهذا القول له اتجاه؛ فإذا أقسم الله بالنجم إذا هوى - وهو القرآن إذا نزل، أو الثريا إذا سقطت مع الفجر، أو النجم إذا رمي به الشياطين - أقسم الله على أي شيء؟: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ صاحبكم يعني: محمداً ﷺ ما ضل: ليس ضالاً، وما غوى: ليس غاوياً، أقسم الله أنَّ محمداً ﷺ ليس ضالاً ولا غاوياً، بل هو بار راشد - عليه الصلاة والسلام -.

فإذن الأقسام ثلاثة: إما أن يكون الإنسان ضالاً، وإما أن يكون غاوياً، وإما أن يكون راشداً.

فالضال: الذي ليس معه علم، وهو الجاهل الذي ما عنده علم ولا بصيرة ولا دين؛ يقال له: ضال.

والغاوي: هو الذي معه علم وبصيرة ولكن انحرف، فمن ترك العلم واتبع الهوى يقال له: غاو، فالغاوي معه علم وعنده دليل لكن ترك الحق وأعرض عنه وتبع الباطل.

والوصف الأول: الضلال هذا ينطبق على أكثر النصارى فأكثر النصارى ضُلَّال، يوجد فيهم علماء لكن غالبهم ضُلَّال، والوصف الثاني: الغواية ينطبق على اليهود؛ فأكثر اليهود معهم علم ولكن لم يعملوا به.

وما فسد من العلماء من هذه الأمة فله شبه باليهود وما فسد من العباد والزهاد من هذه الأمة فله شبه بالنصارى، والغاوي مغضوب عليه؛ لأنه ترك الحق مع معرفته، والضال هو المنحرف، وهذان الصنفان هما اللذان أمرنا الله أن نسأله أن يجنبنا طريقهم في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧] هذا الغاوي كاليهود ومن معهم: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] هؤلاء النصارى الضُلَّال.

بقي المنعم عليهم فمحمد ﷺ منعم عليه بار راشد، ليس ضالاً كالنصارى وليس غاوياً كاليهود فالراشد هو المنعم عليه.

فالناس طبقات: منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالون، فالذين تركوا العمل ومعهم علم هؤلاء هم المغضوب عليهم كاليهود، والذين عبدوا الله على جهل وضلال هؤلاء الضلال كالنصارى، والذي عرف الحق وعمل به هذا منعم عليه بار راشد.

فالله تعالى أقسم بالنجم أو بالقرآن، وله أن يقسم بما يشاء ﷻ بأنَّ محمد ﷺ ليس ضالاً ولا غاوياً، بل هو منعم عليه راشد بار - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النّجم: ١-٢] أي: محمد ﷺ.

إذن إذا كان راشداً باراً منعماً عليه ليس ضالاً ولا غاوياً؛ فلا يمكن أن يغير القرآن ولا يبدله بل هو يأتي به من عند الله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾. يقول: إنَّ محمداً لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه كما وصفه به المشركون؛ فقال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو؟ يعني القرآن: ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾؛ فأبطل الله أن يكون القرآن شيئاً غير الوحي لقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ٤] ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ﴾ يعني علم جبريل محمداً ﷺ القرآن، وهو ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النّجم: ٥] يعني: جبريل شديد القوى، و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النّجم: ٦] يعني: جبريل، إلى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النّجم: ١٠] فسمى القرآن وحياً ولم يسمه خلقاً، ففيه: الرد على هؤلاء الجهمية الذين يقولون: إنَّ القرآن مخلوق.



## الرد على شبهة الجهمي أن القرآن شيء والله خالق كل شيء

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمي ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ فَقَالَ أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ شَيْءٌ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، هُوَ شَيْءٌ.

فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ خَالَقُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلِمَ لَا يَكُونُ الْقُرْآنُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَّهُ شَيْءٌ؟.

### الشرح

هذه الشبهة الثالثة من الشبه، وهي شبهة عقلية من شبه الجهمية يستدل بها على أنَّ القرآن مخلوق، يقول الجهمي: أخبرونا عن القرآن، هل هو شيء؟ قلنا: نعم هو شيء؛ فقال: إنَّ الله خالق كل شيء، فإذا كان الله خالق كل شيء؛ فِلمَ لا يكون القرآن من الأشياء المخلوقة، وقد قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرّعد: ١٦].



## تلبيس الجهمي على الناس بما ادعاه

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**فَلَعَمْرِي لَقَدِ ادَّعَى أَمْرًا أَمْكَنَهُ فِيهِ الدَّعْوَى، وَلَبَّسَ عَلَى النَّاسِ بِمَا ادَّعَى.**

## الشرح

كلمة فلعمري هذه: كلمة لتأكيد الكلام، وليست قسماً، وأما قوله تعالى في "سورة الحجر": ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢] عمرك: حياتك، فهذا قسم من الله بحياة النبي ﷺ، ولله تعالى يجوز له أن يقسم بما شاء من خلقه.

لكن هنا ليس قسماً؛ لأنَّ الإمام أحمد لا يقسم بغير الله، ولعمري: يؤتى بها لتأكيد الكلام، فيذكرها العلماء دائماً، وكثيراً ما يذكرها ابن القيم، وقد جاءت أيضاً في كلام عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري في "سورة يوسف" أنها قالت: «**أَجَلْ لَعَمْرِي لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ**»[(١)]، وجاءت أيضاً كلمة «**لعمري**» في حديث في "سنن ابن ماجه"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يُوسُف: ١١٠]، رقم (٤٦٩٥).

(٢) كما في الحديث: «**وَلَعَمْرِي، لَوْ أَنَّ كُلَّكُمْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ**» أخرجه ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٧٧).

فلعمري ليست قسماً وليست حلفاً، وإنما هي لتأكيد الكلام؛ ولأنَّ القسم لا يكون إلا بحروف القسم: (الواو والباء والتاء، والله وبالله وتالله، والهمزة) فإذن ليست هذه قسماً، وإنما المراد تأكيد الكلام، وسيأتي أيضاً مرة أخرى قولٌ للإمام أحمد فيه كلمة "لعمري".



**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**فَقُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ لم يُسمِّ كلامه فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا إِنَّمَا سماه شَيْئًا الَّذِي كَانَ بِقُولُهُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] فَالشَّيْءُ لَيْسَ هو قَوْلُهُ إِنَّمَا الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ بِقَوْلِهِ.**

**وَقال فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢]، فَالشَّيْءُ لَيْسَ هُوَ أَمْرَهُ، إِنَّمَا الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ بِأَمْرِهِ.**

## الشرح

هذا الوجه الأول من وجهي الرد، فالإمام أجاب على هذه الشبهة من وجهين:

**الوجه الأول:** أنَّ الله لم يسم كلامه شيئاً، إنما سمى الشيء الذي كان بقوله؛ لأنَّ الله ﷻ يخلق بالكلام، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [يس: ٨٢] وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، فالشيء هذا كان بالقول، فالذي سُمِي شيئاً هو الذي وجد بالقول، فالذي خُلِق بالقول هو الشيء، وأما كلام الله فلم يسمه شيئاً، لكن سمى الشيء الذي كان بقول الله.

والله تعالى يخلق الشيء بأي شيء؟ بقوله وكلامه قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] ﴿كُن﴾: هذا

كلام الله، ﴿فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النّحل: ٤٠]: هذا الشيء الذي خُلِق بكن.

فالله تعالى يخلق بالكلام، والذي يخلقه هو الشيء، أما كلام الله فليس شيئاً، ولم يسمي الله كلامه شيئاً، لكن سمى الذي وجد بكلامه شيئاً.



**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَمِنَ الْأَعْلَامِ وَالدَّلَالَاتِ أَنَّهُ لَا يَعْنِي كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، قوله ﷻ في الرِّيحِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَى عَادٍ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ [الذاريات: ٤٢]، وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وَقَدْ أَتَتْ تِلْكَ الرِّيحُ عَلَى أَشْيَاءَ لَمْ تُدَمِّرْهَا مَنَازِلُهُمْ، وَمَسَاكِنُهُمْ، وَالْجِبَالُ الَّتِي بِحَضْرَتِهِمْ، فَأَتَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الرِّيحُ وَلَمْ تُدَمِّرْهَا، وقد قَالَ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]. لَا يَعْنِي نَفْسَهُ، وَلَا عِلْمَهُ، وَلَا كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ.**

## الشرح

يقول الإمام رحمه الله مما يؤيد أنَّ كلام الله لا يدخل مع الأشياء المخلوقة، وإن كان الله ﷻ قال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] أنَّ المراد بخالق كل شيء أي: كل شيء مخلوق، وكلام الله صفة من صفاته، فالله بأسمائه وصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، فقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يدخل فيه كلام الله؛ لأنه صفة من صفاته.

وهناك دليل آخر ذكره، وهو أنَّ الله تعالى لمَّا قال في الريح التي أهلكت عاداً: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] وجد هناك أشياء ما دمرتها الريح، وهي مساكنهم؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فمساكنهم ما دمرت، والجبال التي حولهم ما دمرت،

والسماء ما دمرت، والأرض ما دمرت.

إذن ما معنى تدمر كل شيء؟ قال العلماء: تدمر كل شيء يصلح للتدمير، أو يقبل التدمير عادة، وأما ما لا يقبل التدمير عادة، أو لا يصلح للتدمير؛ فلم يدخل في هذا العموم، فكذلك إذا قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] المراد: خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل في ذلك كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.



## شيء لا تفيد العموم المطلق

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَقَالَ لِمَلِكَةِ سَبَأٍ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّمل: ٢٣]، وَقَدْ كَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ شَيْئًا وَلَمْ تُؤْتَهُ.**

**فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعد: ١٦] لَا يَعْنِي كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ.**

## الشرح

وقال ﷻ عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّمل: ٢٣] فهل العموم في قوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يخرج منه شيء أو لا يخرج منه شيء؟ بلا شك يخرج منه أشياء كمُلك سليمان عليه السلام الذي لم تؤته ملكة سبأ.

فكذلك إذا قال الله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] ليس المعنى دخول صفات الله في ذلك، فلا يدخل كلام الله مع الأشياء المخلوقة.



## الأدلة على أن صفات الله لا تدخل في عموم الأشياء

قال المؤلف - رحمه الله -:

وَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]، وَقَالَ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وَقَالَ عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فَقَدْ عَرَفَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعْنِي نَفْسَهُ مَعَ الْأَنْفُسِ الَّتِي تَذُوقُ الْمَوْتَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ كُلَّ نَفْسٍ، فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] لَا يَعْنِي نَفْسَهُ، وَلَا عِلْمَهُ، وَلَا كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ.

فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَبَيَانٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تعالى.

## الشرح

كل هذه أمثلة وأدلة تدل على أنَّ كلام الله وصفاته لا تدخل في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فالله تعالى يقول: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] ففيه: إثبات النفس لله ﷻ وأنَّ لله نفساً، وقال أيضاً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] فأثبت النفس لله ﷻ، لكن نفس الله ليست كنفس المخلوقين، وقال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] أثبت النفس لله، وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

إذن هذه الآيات دلت على إثبات النفس لله، فهل لمَّا قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] يدخل في ذلك نفس الله؟!! - تعالى الله - قال الإمام: «فَقَدْ عَرَفَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعْنِي نَفْسَهُ مَعَ الْأَنْفُسِ الَّتِي تَذُوقُ الْمَوْتَ» فالمراد: بالأنفس التي تموت: الأنفس المخلوقة، أما نفس الله فقد عرف من عقل عن الله أنَّه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، فكذلك إذا قال الله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] لا يدخل في هذا العموم نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة، فالمراد: خالق كل شيء مخلوق، وأما كلام الله وعلمه ونفسه فلا يدخل في هذا.



## وجوب التوبة من القول بخلق القرآن

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تفَكَّرَ، وَرَجَعَ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَلَمْ يَقُلْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ.

### الشرح

هذا دعاء من الإمام، يدعو لمن فكر ورجع عن القول الباطل الذي يخالف الكتاب والسنة ولم يقل على الله إلا الحق.

ما هو القول الباطل الذي يخالف الكتاب والسنة؟ هو القول بأنَّ القرآن مخلوق، يقول: فرحم الله من رجع عن هذا القول الباطل، وهو القول بأنَّ القرآن مخلوق، ولم يقل على الله إلا الحق.



## ادعاء أن القرآن مخلوق قول بغير علم

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ أَخذَ مِيثاقَ خَلْقِهِ، فَقَالَ تعالى:** ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، **وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

## الشرح

الشاهد: أنَّ الله تعالى حرم القول عليه بلا علم وجعله فوق الشرك: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فجعل القول على الله بلا علم فوق الشرك.

ومن قال: إنَّ القرآن مخلوق؛ فقد قال على الله بغير علم، فيكون قد ارتكب أعظم الجرائم، نسأل الله العافية.



## القول بخلق القرآن كذب على الله

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ يُقَالَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزُّمَر: ٦٠]، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ.

## الشرح

يعني: ومن قال إنَّ القرآن مخلوق فقد كذب على الله، وهو داخل في هذا الوعيد، وهو قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزُّمَر: ٦٠] فهو متوعد بأنَّ يسود وجهه يوم القيامة، نعوذ بالله.



## القرآن كلام الله

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ كَلَامَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَسَمَّاهُ كَلَامًا، وَلَمْ يُسَمِّهِ خَلْقًا.**

## الشرح

هذا هو الوجه الثاني من الرد وهو: أنَّ الله سمى القرآن كلاماً ولم يسمه خلقاً، وإذا كان الله تعالى سماه كلاماً ولم يسمه خلقاً؛ فلا يكون داخلاً في قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فلا يكون مخلوقاً، وسيذكر المؤلف الإمام ﷺ أمثلة من القرآن تدل على أنَّ الله سمى القرآن كلاماً ولم يسمه خلقاً.

ومن قال إنَّ القرآن مخلوق فقد كذب على الله وأعظم على الله الفرية، وسيأتي أيضاً أنَّ الإمام وغيره يقول: إنَّ من قال إنَّ القرآن مخلوق فهو كافر، يعني على العموم، أما الشخص المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، لكن على العموم: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر.

هكذا أطلق الأئمة العلماء - الإمام أحمد وغيره -: كل من قال إنَّ القرآن مخلوق فهو كافر، لكن فلان بن فلان إذا قال إنَّ القرآن مخلوق هل يكفر؟ نقول: إذا قامت عليه الحجة، ووجدت الشروط، وانتفت

الموانع، فقد يكون جاهلاً لا يدري فلا بد أن يعلم، وقد يكون عنده شبهة فلا بد أن تكشف الشبهة، فإن زال الجهل وزالت الشبهة وأصر؛ حُكم بكفر هذا الشخص المعين.

أما على العموم نقول: كل من قال إنَّ القرآن مخلوق فهو كافر، كفراً أكبر والعياذ بالله.



## من الأدلة على أنَّ القرآن كلام الله

قال المؤلف - رحمه الله -:

قَوْلُهُ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ٣٧]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: ٦].

### الشرح

الشاهد: كلمات، قال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ٣٧] ولم يقل: تلقى آدم من ربه خلقاً، بل سماه كلمات.

***

وَقَالَ: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٧٥].

### الشرح

ولم يقل: يسمعون خلق الله، سماه كلام الله، فسماه كلاماً ولم يسمه خلقاً.

***

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

### الشرح

الشاهد: وكلمه ربه، سماه كلاماً ولم يسمه خلقاً.

***

وَقَـــــــــال: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعرَاف: ١٤٤].

الشرح

الشاهد: وبكلامي، ولم يقل: وبخلقي.

***

وَقَال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النّسَاء: ١٦٤].

الشرح

كلم الله موسى تكليماً: سماه كلاماً.

وَقَال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأعرَاف: ١٥٨].

الشرح

الشاهد: وكلماته، سماه كلاماً.

***

فَأَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَبِكَلمات اللَّهِ، وَقَالَ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: ١٥].

الشرح

هذا الشاهد: قال يريدون أن يبدلوا كلام الله، ولم يقل: خلق الله.

***

وَقَـــالَ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

## الشرح

الشاهد: كلمات ربي.

***

وَقَـــالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَلَمْ يَقُلْ: حَتَّى يَسْمَعَ خَلْقَ اللَّهِ.

فَهَذَا منصوص بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ، هُوَ بَيِّنٌ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالى.



## استدلال الإمام أحمد على بطلان القول بخلق القرآن بأمر بأقوال كثيرة ليس ذلك منها

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

(باب) قال أحمد رحمه الله وَقَدْ سَأَلْتُ الْجَهْمِيَّةَ أَلَيْسَ إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦]، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: ٨٣].

## الشرح

هذا الباب: استدل فيه الإمام أحمد رحمه الله على أنَّ القرآن كلام غير مخلوق من وجهين:

**الوجه الأول**: أنَّ الله أمرنا بأقوال ليس منها أنَّ نقول: إن كلام الله مخلوق.

**الوجه الثاني**: أنَّ الله نهانا عن أشياء ليس منها أنَّ نقول: إن القرآن كلام الله.

فقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] هنا أمرنا بأن نقول آمنا بالله، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: ٨٣] أمرنا بأن نقول للناس حسنا، قولوا، ولم يقل: قولوا إنَّ كلام الله مخلوق.

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

## الشرح

أمرنا بأن نؤمن، وأمرنا بأن نقول قولاً سديداً.

***

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، وَقَالَ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الكهف: ٢٩].

## الشرح

- أمرنا أن نقول الحق -.

***

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقَالَ: ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩].

## الشرح

- أمرنا أن نقول سلام -.

***

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَلَمْ نَسْمَعِ اللَّهَ يَقُولُ قُولُوا إِنَّ كَلَامِي خَلْقٌ.

**الشرح**

إذن: الله تعالى أمرنا بأقوال، وليس من هذه الأقوال أن نقول: إنَّ كلام الله مخلوق؛ فدل على أنَّ القرآن كلام الله.

الوجه الثاني: أنَّ الله نهانا عن أشياء، وليس من هذه الأشياء التي نهانا عنها أن نقول: إنَّ القرآن كلام الله فلم يقل: لا تقولوا إنَّ القرآن كلام الله؛ فدل على أنَّ القرآن كلام الله.

***

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

**الشرح**

هذه النواهي: هناك نواه في القرآن ليس منها أن نقول إنَّ القرآن كلام الله، نهانا فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

فشبهتهم: قالوا إنَّ القرآن شيء أو ليس بشيء؟ وهذان الوجهان التي بين فيهما المؤلف أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق تكون مؤيدة للوجهين السابقين، فتصير أربعة وجوه تصلح كلها رداً، ولو قيل: بضم هذين الوجهين مع الوجهين السابقين لاستقام ذلك، لكن المؤلف جعلها في باب مستقل.

قال المؤلف - رحمه الله -:

وقـــــــال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النِّساء: ٩٤]، وقال: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ [البَقَرَة: ١٠٤]، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [البَقَرَة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القَصَص: ٨٨]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

ومثله في القرآن كثير، فَهَذَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ في القرآن، وَلَمْ يَقُلْ لَنَا لَا تَقُولُوا إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامِي.

## الشرح

يعني: هذه نواه كثيرة، فلو كان القرآن ليس كلام الله لنهانا كما نهى عن هذه النواهي؛ فقال: لا تقولوا إنَّ القرآن كلامي، فلمَّا لم ينهنا الله عن ذلك؛ دل على أنه ليست من الأمور المنهي عنها.

كما أنَّ الأمر الأول: وهو أنَّ الله أمرنا بأقوال وليس منها أن نقول: إنَّ كلام الله مخلوق، فلو كان كلام الله مخلوقاً؛ لأمرنا أن نقول: إنَّ كلام الله مخلوق، فلماذا تأتي أوامر كثيرة وليس منها أن نقول: إنَّ القرآن مخلوق؟ وتأتي نواه كثيرة وليس منها أن ينهانا أنَّ

نقول: إنَّ القرآن كلام الله؟

فلمَّا لم يأمرنا أنَّ نقول: إن كلام الله مخلوق، ولم ينهنا أن نقول: إنَّ القرآن كلام الله؛ دل على أنَّ القرآن كلام الله.



## الْمَلَائِكَةُ سَمَّتْ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامًا وَلَمْ تُسَمِّهِ خَلْقًا

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقَدْ سَمَّتِ الْمَلَائِكَةُ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامًا، وَلَمْ تُسَمِّهِ خَلْقًا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سَبَإ: ٢٣].

### الشرح

فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ ولم يقولوا: ماذا خلق ربكم.

***

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الْوَحْيِ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِما وَسَلَّمَ -، وَبَيْنَهُمَا كَذَا وَكَذَا سَنَةً.

فَلَمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتَ الْوَحْيِ كَوَقْعِ الْحَدِيدِ عَلَى الصَّفَا، فَظَنُّوا أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ السَّاعَةِ، فَفَزِعُوا وَخَرُّوا لِوُجُوهِهِمْ سُجَّدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يَقُولُ: حَتَّى إِذَا انْجَلَى الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ رَفَعَ الْمَلَائِكَةُ رُؤُوسَهُمْ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَالُوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [سَبَإ: ٢٣] وَلَمْ يَقُولُوا: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ، فَفِي هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هُدَاهُ.

### الشرح

سبق في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ

**أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «يَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ»**(١) سمعوا كلام الله، ففزعوا وصعقوا وخروا لله سجدا، ثم يتخابر الملائكة: ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق.

❍ قوله: «كَوَقْعِ الْحَدِيدِ عَلَى الصَّفَا»: يعني الصوت المسموع من كلام الله، وهذا التشبيه من باب التقريب، وليس المراد أنَّ كلام الله كالحديد على الصفا، بل المراد تشبيه الصوت المسموع من كلام الله، وليس المراد تشبيه كلام الله بالحديد ولا بصوت الحديد، بل هذا تشبيه للصوت المسموع فكأنه يشبهه في القوة.



(١) أخرجه أبو داود: أول كتاب السنة، باب في القُرآن، رقم (٤٧٣٨).

## شبهة أخرى للجهمية في تسمية القرآن محدثاً

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

قال أحمد رضي الله عنه: ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَي ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ، فَقَالَ "أَنَا أَجِدُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

فَقُلْنَا فِي أَيِّ آيَةٍ؟ فَقَالَ: قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مُحْدَثٌ، وَكُلَّ مُحْدَثٍ مَخْلُوقٌ، فَلَعَمْرِي، لَقَدْ شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ بِهَذَا، وَهِيَ آيَةٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ.

## الشرح

إذن الجهمي أتى بشبهة شرعية، آية من القرآن، وهي قول الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] ووجه استدلاله أنَّ الله أخبر أنَّ القرآن محدث، وكل محدث مخلوق، فالقرآن مخلوق.

وقد جاء ذلك في آية الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢]، وآية الشعراء: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ [الشُّعَرَاء: ٥]، وآية الطلاق: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطَّلَاق: ١].

قال الإمام رحمه الله: «فلعمري لقد شبه على الناس»: جاءت لعمري مرة ثانية[(١)]، ولعمري تأكيد، يعني إنها شبهة قوية، أي: فلعمري إنها لشبهة

(١) سبق الكلام عن كلمة (لعمري).

قوية، وهي آية من المتشابه، ولا شك أنها تشتبه على كثير من الناس؛ ولذلك الجواب يحتاج إلى تأمل.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ له جواب عن هذه الشبهة سنستعرضه في صفحتين ونصف، ثم بعد ذلك نستعرض جواب الإمام البخاري الذي جاء في صحيحه، فله جواب آخر على هذه الشبهة، فالإمام أحمد له جواب، والبخاري له جواب، وكل من الجوابين حق.

***

فَقُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا، وَاسْتَعَنَّا بِاللَّهِ، وَنَظَرْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

## الشرح

هذا يدل على أنَّ الشبهة قوية؛ ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: "فقلنا في ذلك قولاً، واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

***

قال أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعلم أنَّ الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم أو اسم دنيءٌ، فأدناهما أولى به.

## الشرح

إذن هنا قاعدة وهي: أنَّ الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما،

وأحدهما أعلى من الآخر، وجرى عليهما اسم مدح كان المدح ينصرف إلى الأعلى، وإذا جرى عليهما اسم ذم كان الذم ينصرف إلى الأدنى.

وسيضرب- المؤلف رحمه الله لهذا - أمثلة تنظيرية، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجواب على الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وكلمة ﴿مُّحْدَثٍ﴾ تشمل كلام الله، وكلام الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ويدخل فيها الأمران، فجرى عليهما اسم ذم، وهو الحدث.

فينصرف إلى كلام الرسول، لا إلى كلام الله.

فالذكر يشمل شيئين ذكر الله، وذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وقد جرى عليهما اسم ذم وهو الحدث، فينصرف إلى ذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام -؛ لأنَّ الرسول هو المخلوق، وكلامه مخلوق، ولا يدخل في ذلك كلام الله، هذا خلاصة الجواب الذي أجاب به المؤلف في صفحتين ونصف رحمه الله، وسيأتي جواب الإمام البخاري.

وسيذكر المؤلف ثلاثة أمثلة توضيحية قبل الجواب عن الآية.

***

**وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ - تبارك وتَعَالَى - فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، و﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسَان: ٦].**

**فَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي اسْمِ الْإِنْسَانِ وَاسْمِ الْعِبَادِ، فَالْمَعْنَى فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسَان: ٦]، يَعْنِي: الْأَبْرَارَ دُونَ الْفُجَّارِ.**

## الشرح

العبودية العامة يدخل فيها الكافر والمؤمن، وعباد الله في قوله:

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسَان: ٦] ينصرف إلى المؤمنين دون الكافرين، بدليل قوله - تعالى - في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفِطار: ١٣].

فإذن ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسَان: ٦] أي: المؤمنون، ولا يدخل الكفار، وإن كانوا عباد الله، معبدين لله، لكن لا يدخلون؛ لأنه جرى اسم مدح فينصرف إلى أعلاهما، وهم المؤمنون، فعباد الله دخل فيه صنفان المؤمنون والكفار، وأعلاهما المؤمنون، وهذا اسم مدح؛ فينصرف إلى الأعلى، وهم الأبرار، بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفِطار: ١٣].

***

**لِقَوْلِهِ إِذَا انْفَرَدَ الْأَبْرَارُ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣]، وَإِذَا انْفَرَدَ الكفار: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٤].**

## الشرح

هذا الدليل على أنَّ المراد بقوله "عباد الله": المؤمنون؛ لأنَّ الأبرار إذا انفردوا مُدحوا، والفجار إذا انفردوا ذُموا؛ فتنصرف إلى الأعلى وهم الأبرار.

***

**وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] فَالْمُؤْمِنُ أَوْلَى بِهِ وَإِنِ اجْتَمَعَا فِي اسْمِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا انْفَرَدَ أُعْطِيَ الْمِدْحَةَ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحَديد: ٩]،**

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

## الشرح

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] كلمة "الناس": تشمل المؤمن والكافر، لكن المراد بهم هنا: المؤمنين خاصة؛ لأنَّ المؤمن إذا انفرد أُعطي المدح؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فلما كان الناس يشمل شيئين: الكفار والمؤمنين، وكان اسم مدح، انصرف إلى الأعلى دون الأدنى.

***

**وَإِذَا انْفَرَدَ الْكُفَّارُ جَرَى عَلَيْهِمُ الذَّمُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]، وقوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠]، فَهَؤُلَاءِ لَا يَدْخُلُونَ فِي الرَّحْمَةِ.**

## الشرح

هذا هو السبب، فجعلنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] خاصة بالمؤمنين؛ لأنَّ الكفار إذا انفردوا أجري عليهم اسم الذم ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]، ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠].

***

**وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].**

**فاجتمع الكفار والمؤمنون في اسم العباد، فالكفار أولى بالبغي من**

المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط الله لهم من الرزق وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البَقَرَة: ٣].

وَقَدْ بسط الله الرزق لداود، وسليمان بن داود عليهما السلام، ولذي القرنين، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثَالِهِمْ مِمَّنْ بَسَطَ اللهُ لَهُ فَلَمْ يَبْغِ.

وَإِذَا انْفَرَدَ اسم الْكَافِرُ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْبَغْيِ فِي قَوْلِهِ لِقَارُونَ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القَصَص: ٧٦]، وَنَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ حِينَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، فَحَاجَّ فِي رَبِّهِ، وَفِرْعَوْنُ حِينَ قَالَ مُوسَى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يونس: ٨٨]، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي اسم واحد، فَجَرَى عَلَيْهِمُ اسْمُ الْبَغْيِ، كَانَ الكافر أَوْلَى بِهِ، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَوْلَى بالمدحة.

## الشرح

هذا المثال الثالث: قوله: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٢٧] فالعباد يشمل المؤمنين والكفار، والبغي اسم ذم، إذن ينصرف إلى الكفار، ولا ينصرف إلى المؤمنين، فلما اجتمع الكفار والمؤمنون في لفظ "عباد الله"، لكن جرى مجرى الذم، انصرف إلى الأدنى وخرج الأعلى؛ لأنَّ المؤمنين إذا انفردوا لا يبغون في الأرض، بل يجري عليهم اسم المدح، فالمؤمنون يؤدون حق الله، ويؤدون الزكاة، ويصلون الرحم، بخلاف الكفار؛ فإنهم يبغون في الأرض؛ فلهذا صار اسم الذم عليهم.

فلما اجتمعوا في اسم واحد وهو قوله "لعباده"، فجرى عليه اسم البغي، كان الكافر أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح.

فهذه كلها أمثلة توضيحية، وبعد ذلك سيأتي إلى الجواب على الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فطبِّق على الآية ما طَبَّقْتَ على الأمثلة السابقة.



## رد شبهة حدوث القرآن

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فَجَمَعَ بَيْنَ ذِكْرَيْنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَذِكْرِ نَبِيِّهِ، فَأَمَّا ذِكْرُ اللَّهِ إِذَا انْفَرَدَ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَدَثِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].**

**وَإِذَا انْفَرَدَ ذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ جَرَى عَلَيْهِ اسْمُ الْحَدَثِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، فَذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ عَمَلٌ، وَاللَّهُ لَهُ خَالِقٌ مُحْدِثٌ.**

## الشرح

يقول الإمام: فلمَّا قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] جمع بين ذكرين: ذكر الله وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد فلا يجري عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠]؟

فإذا انفرد ذكر النبي ﷺ جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]؟ فذكر النبي اسم له عمل، والله خالقه ومحدثه.

إذن فقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] المراد به ذكر النبي ﷺ لا ذكر الله الذي هو القرآن، فالحدث الذي هو الخلق وقع على ذكر النبي، ولم يقع على ذكر الله.

**وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ ذِكْرَيْنِ هو قَوْلِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فَأَوْقَعَ عَلَيْهِ الْحَدَثَ عند إِتْيَانُهُ إِيَّانَا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْتِينَا بِالْأَنْبَاءِ إِلَّا مُبَلِّغٌ وَمُذَكِّرٌ.**

**وَقَالَ تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: ٩]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].**

## الشرح

إذن يقول: «**وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ ذِكْرَيْنِ هو قَوْلِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فَأَوْقَعَ عَلَيْهِ الْحَدَثَ عند إِتْيَانُهُ إِيَّانَا**»، فمن الذي أتانا به؟ هو الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ومن المعلوم أنه لا يأتينا بالأخبار عن الله إلا مبلغ ومذكر؛ فالرسول هو المبلغ ﷺ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] فمن المذكر؟ هو الرسول ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: ٩]. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

والرسول - عليه الصلاة والسلام - حينما أتانا بالأنباء فهو مذكِّر، وقد جاء بالذكر من عند الله ﷻ، فالحدث يقع على الذكر الذي جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام -، عند إتيانه إيانا.

***

**فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي اسْمِ الذِّكْرِ، جَرَى عَلَيْهِمْ اسْمُ الْحَدَثِ.**

## الشرح

أي: لما اجتمعوا - ذكر الله تعالى وذكر النبي ﷺ - جرى عليهم اسم الحدث.

وكان النَّبِيّ ﷺ إِذَا انْفَرَدَ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْخَلْقِ، وَكَانَ أَوْلَى بِالْحَدَثِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ الَّذِي إِذَا انْفَرَدَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ اسْمُ خَلْقٍ، وَلَا حَدَثٍ.

## الشرح

ذكر الله إذا انفرد لا يقع عليه اسم خلق ولا اسم الحدث، وذكر النبي ﷺ إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق والحدث، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ المراد ذكر النبي ﷺ؛ لأنه حينما أتى به من عند الله ذكَّر بقوله وبكلامه.

***

فَوَجَدْنَا دَلَالَةً مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تبارك وتعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.

إنما هو محدث إلى النبي ﷺ.

## الشرح

فهو محدث بالنسبة إلى النبي ﷺ، أما بالنسبة إلى الله ﷻ فغير محدث، فقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يعني: بالنسبة إلى النبي ﷺ؛ لأنه علمه الله إياه بعد أن لم يكن عالماً به، فلمَّا علَّمه الله قبل أن يكون عالماً به صار حادثاً بالنسبة إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - فهو محدث بالنسبة إلى الرسول.

***

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَعْلَمُ فَعَلَّمَهُ اللَّهُ تعالى، فَلَمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تعالى كَانَ ذَلِكَ مُحَدَثًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

## الشرح

أجاب الإمام أحمد رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] بأنَّ الحدث يقع على كلام الرسول ﷺ وليس كلام الله عز وجل.

وأجاب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه جواباً آخر، وقال: إنَّ ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] هذا كلام الله، ولكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين؛ لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقد بوّب في صحيحه فقال في كتاب التوحيد: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، و﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١]. «**وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ**»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ: أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ**»[1].

ثم ذكر حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «**كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ**

(١) أخرجه البخاري معلقاً: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾، وأبو داود: أبواب الصلاة، بَابُ رَدِّ السَّلَامِ فِي الصَّلَاةِ، رقم (٩٢٤). والنسائي: كتاب السهو، الْكَلَامُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٢٢١).

**عَنْ كُتُبِهِمْ، وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، أَقْرَبُ الكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ»**(١) ولفظ الطريق الأخرى قال: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ»**(٢).

فجواب الإمام البخاري مبني على أنَّ الله تعالى يتكلم إذا شاء، وأنَّ أفراد كلام الله محدث، وأنَّ القرآن كلام الله محدث، تكلم الله به وقت نزوله، وأنَّ كتاب الله القرآن أقرب الكتب عهداً بالله، وأحدث الأخبار بالله، وأنَّ الله يحدث من أمره ما يشاء، ويتكلم إذا شاء، وأنَّ حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين؛ لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١].

فإذن كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، وأفراد الكلام حادثه، ولكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، فنوع الكلام قديم أي: لم يزل الله متكلماً، لكن أفراد الكلام حادثة.

ولما جاءت المجادلة خولة بنت حكيم رضي الله عنها وجادلت النبي ﷺ تكلم الله وأنــزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجَادلة: ١].

والله تعالى يكلم الناس يوم القيامة، ويكلم آدم ويكلم أهل الجنة، فينادي: يا آدم يقول: لبيك وسعديك، فهذا أفراد كلام الله حادثة، لكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، فكلام الله قديم النوع، حادث

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾، رقم (٧٥٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، بَابُ لَا يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، رقم (٢٦٨٥).

الآحاد.

فجواب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ردٌ على من فهم من قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أنه مخلوق، فقال: إنَّ الخلق يقع على كلام رسول الله، ولا يقع على كلام الله.

أما الإمام البخاري فقال: "محدث" يعني حدث لا يشبه حدث المخلوقين، فحدث المخلوقين مخلوق، وحدث كلام الله ليس بمخلوق.

يقول الحافظ ابن كثيرعلى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] «**أَيْ جَدِيدٌ إِنْزَالُهُ**»(١)، قول الحافظ ابن كثير يتمشى مع جواب الإمام أحمد أو يتمشى مع جواب البخاري؟

قد يقال: يتمشى مع الجوابين، إذا قلنا جديد إنزاله، يعني: إنزاله جديد، فالحدث بالنسبة للمخلوقين الذين سمعوه، ويوافق كلام الإمام البخاري جديد إنزاله، يعني أفراد كلام الله حادثة.

فالمقصود أنَّ الإمام أحمد فهم من الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أنه مخلوق، فقال: إنَّ الآية اجتمع فيها ذكرين: ذكر الله وذكر الرسول، والخلق يقع على ذِكْر الرسول، فيكون المحدث ذكر الرسول وليس ذكر الله.

والإمام البخاري قال: إنَّ الحدث هنا يرجع إلى كلام الله، لكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، فكلام الله صفة من صفاته، وهو قديم النوع، حادث الآحاد، هو يتكلم إذا شاء، ومتى شاء، وكيف

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩١).

شاء ﷻ، لا أحد يحصره عليه، ونوع الكلام قديم، لم يتجدد له، ولم يزل الله يتكلم، ولا يزال يتكلم إذا شاء، وإن كانت أفراد كلام الله حادثة، إلا أنَّ حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين.



## شبيهة الجهمي بتسمية الله عيسى "كلمة الله" وهو مخلوق فكلامه سبحانه مخلوق، والرد عليها

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَي ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ، فَقَالَ أنا أَجِدُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقُلْنَا: أَيُّ آيَةٍ؟ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] وَعِيسَى مَخْلُوقٌ.

### الشرح

استدل الجهمي بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ على أنَّ الله سمى عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فدل على أنَّ كلام الله مخلوق.

***

فَقُلْنَا له إِنَّ اللَّهَ مَنَعَكَ الْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ.

### الشرح

هنا اشتد الإمام أحمد ﵀، فقال للجهمي إنَّ الله منعك الفهم في القرآن عقوبة لك؛ لأن الجهمي أعرض وتصابب عن الحق، فمنعه الله الفهم.

عِيسَى تَجْرِي عَلَيْهِ أَلْفَاظٌ لَا تَجْرِي عَلَى الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ يجري عليه تسمية مولودٍ وطفلٍ وصبيٍ وغلامٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، يَجْرِي عَلَيْهِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فلا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ فِي الْقُرْآنِ مَا نَقُولُ فِي عِيسَى، فَهَلْ سَمِعْتُمُ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا قَالَ فِي عِيسَى؟! وَلَكِنَّ الْمَعْنَى في قَوْلِ اللَّه - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النِّسَاء: ١٧١] فَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ حِينَ قَالَ لَهُ "كُنْ"، فَكَانَ عِيسَى "بِكُنْ"، وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ "الْكُنْ"، وَلَكِنْ بِـ"الْكُنْ" كَانَ، فَـ"الكُنْ" مِنْ اللَّهِ قَوْلٌ، وَلَيْسَ كُنْ مَخْلُوقًا.

## الشرح

• الجواب: يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، فالله تعالى سمى عيسى مولوداً، فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝٣٣﴾ [مَريَم: ٣٣]، فسماه مولوداً، وسماه طفلاً، وصبياً، ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝٢٩﴾ [مَريَم: ٢٩] وغلاماً، ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ [مَريَم: ٢٠]، وأنه يأكل ويشرب، مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد.

ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٥﴾ [الأنعَام: ٨٤-٨٥]، ويسمى من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، فنقول عيسى تجري عليه هذه الألفاظ، ولا تجري على القرآن.

وهل تجري الألفاظ على القرآن فيقال: القرآن مولود، وطفل وصبي وغلام، ويأكل ويشرب، ومخاطب بالأمر والنهي، ومن ذرية كذا وكذا؟ لا، فهذه ألفاظ تجري على عيسى ولا تجري على القرآن، فعيسى مولود وطفل وصبي وغلام، ويأكل ويشرب، ومخاطب بالأمر والنهي، ويجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟!

ولكن معنى الآية التي استدللت بها أيها الجهمي، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النِّسَاء: ١٧١] يعني: أنَّ الله خلق عيسى بالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: "كن"، وليس عيسى هو الكلمة، بل عيسى مخلوق بالكلمة، قال الله له: "كن" فكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩] فعيسى مخلوق بالكلمة، قال الله له: ﴿كُن﴾ فوجد عيسى، وليس عيسى الكلمة، بل هو مخلوق بكلمة "كن"، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: "كن" فكان عيسى بـ"كن"، وليس عيسى هو "كن" الكلمة، ولكن بـ"كن" كان فـ"كن" من الله قول وليس الـ"كن" مخلوقاً.

بعد ذلك ذكر المؤلف الإمام رحمه الله ثلاثة أقوال في عيسى، وهي: قول النصارى، وقول الجهمية، وقول المسلمين، ثلاث طوائف، وهي:

**الأولى: الجهمية**، قالوا: عيسى هو روح الله وكلمته إلا أنَّ الكلمة مخلوقة، وهي كلمة "كن".

**الثانية: النصارى**، قالوا: عيسى جزء من الله، فهو نفس الكلمة، ليس مخلوقاً، ولكنه جزء من الله - نعوذ بالله -.

**الثالثة: المسلمون**، قالوا: عيسى خُلق بالكلمة.

فهذه ثلاث طوائف، لا بد أن يُفرق بينها.

***

**وَكَذَبَت النَّصَارَى والْجَهْمِيَّةُ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِ عِيسَى، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ قَالُوا: "عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ؛ إلا أن كلمته مخلوقة.**

**الشرح**

قالت الجهمية: عيسى روح الله وكلمته، وكلمة الله مخلوقة، فعيسى كلام الله، وكلام الله مخلوق، هذا هو مذهب الجهمية.

***

**وَقَالَتِ النَّصَارَى عِيسَى رُوحُ اللَّهِ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ، وكلمة الله مِنْ ذَاتِ اللَّهِ، كَمَا يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْخِرْقَةَ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ.**

**الشرح**

قالت النصارى: عيسى روح الله، وكلمة الله، وكلام الله صحيح أنَّه صفة من صفاته، لكن عيسى هو نفس الكلمة أي: جزء من الله - نعوذ بالله -، فقالوا: عيسى جزء من الله؛ لأنَّ عيسى مكون من جزأين: جزء إلهي، وجزء بشري، فالجزء الإلهي هذه الكلمة، والجزء البشري هذا اللحم والدم، فامتزج وصار شيئاً واحداً يقال له المسيح - قبحهم الله -.

والجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمة الله، إلا أنَّ الكلمة مخلوقة.

أما النصارى فقالوا: لا، الكلمة ليست مخلوقة، لكن عيسى جزء من الله، وهو نفس الكلمة.

***

وَقُلْنَا نَحْنُ: إِنَّ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ، وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ الْكَلِمَةَ.

## الشرح

❍ قوله: «عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ» يعني وجد وخلق، أي: عيسى بالكلمة وجد، وليس عيسى هو الكلمة، وهذا هو مذهب المسلمين.



## معنى " عيسى روح الله"

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّسَاء: ١٧١]، يَقُولُ: مِنْ أَمْرِهِ كَانَ الرُّوحُ فِيهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجَاثِيَة: ١٣]، يقول "مِنْ أَمْرِهِ".

وَتَفْسِيرُ "رُوحِ اللَّهِ" إِنَّمَا مَعْنَاهَا أَنَّهَا رُوحٌ بِكَلِمَةِ اللَّهِ خَلَقَهَا اللَّهُ، كَمَا يُقَالُ عَبْدُ اللَّهِ، وَسَمَاءُ اللَّهِ، وَأَرْضُ اللَّهِ.

## الشرح

ما معنى عيسى روح الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّسَاء: ١٧١]؟ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يعني: من أمر الله (كانت الروح في عيسى.

○ قوله: «رُوحِ اللهِ» أي: روح من الأرواح التي خلقها الله، وعيسى روح من الأرواح التي خلقها الله بكلمة "كن"، «وروح منه» يعني: من أمر الله، فعيسى روح الله، وأضيف إلى الله للتشريف، كما يقال: عبد الله، وناقة الله، ورسول الله.

فعبد الله إضافة للتشريف، وسماء الله روحا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، كأرض الله إضافة مخلوق إلى خالقه، وعيسى روح الله إضافة مخلوق إلى خالقه.






## شبهة الجهمي بأن القرآن مخلوق لدخوله في خلق السماوات والأرض وما بينهما، والرد عليها

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمِي ادَّعِى أَمْرًا آخَرَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ، أَوْ فِي الْأَرْضِ، أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا، فَشَبَّهَ عَلَى النَّاسِ، وَلَبَّسَ عَلَيْهِمْ.

## الشرح

شبهة الجهمي إنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩] فأخبر الله تعالى أنَّ السماوات مخلوقة، والأرض مخلوقة، وما بينهما مخلوق، فالقرآن هذا هل هو في السماء، أو في الأرض، أو فيما بينهما؟

إن كان في السماء فالله تعالى أخبر أنه خلق السماء، وإن كان في الأرض فالله تعالى أخبر أنه خلق الأرض، وإن كان بينهما فالله أخبر أنه خلق ما بينهما، والقرآن لا يخلو إما أن يكون في السماء أو في الأرض أو فيما بينهما، والأرض والسماوات وما بينهما مخلوقات، فالقرآن مخلوق ولا بد.

***

فَقُلْنَا لَهُم أَلَيْسَ إِنَّمَا وأقع اللَّهُ ﷻ الْخَلْقَ وَالْمَخْلُوقَ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهما؟ فَقَالُوا نَعَمْ.

فَقُلْنَا هَلْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ؟.

قَالُوا نَعَمْ.

فَقُلْنَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ من الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، وَقَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْكُرْسِيَّ، وَالْعَرْشَ، وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ، وَالْحُجُبَ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً، ولَمْ يُسَمِّهَا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخَبَرُ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَقُلْنَا فِيمَا ادَّعَوْا أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا، فَقُلْنَا إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: ٨٥].

فالذي خلق به السماوات والأرض قد كان قبل خلق السماوات والأرض والحق الذي خلق به السماوات والأرض هو قوله؛ لأنَّ الله تعالى يقول الحقُ، قال: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [صٓ: ٨٤]، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ﴾ [الأنعَام: ٧٣].

فالحق الذي خلق به السماوات والأرض قد كان قبل السماوات والأرض، والحق قوله وليس قوله مخلوقاً.

## الشرح

إذن الجواب من وجهين:

**الجواب الأول**: أنَّ هناك أشياء فوق السماوات مخلوقة، ولم

يذكرها الله، كالكرسي هو فوق السماوات مخلوق، والعرش مخلوق، واللوح المحفوظ مخلوق، والحجب الذي احتجب الله بها عن خلقه، فقد جاء في آثار كثيرة أنَّ الله احتجب عن خلقه بأشياء: بظلمة، وبَرَد، وثلج، ونار، ونور، وأشياء كثيرة مخلوقة احتجب الله بها عن خلقه، فالحُجب مخلوقه، واللوح المحفوظ مخلوق، والعرش مخلوق، والكرسي مخلوق، والسماوات مخلوقة.

فالله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفُرقان: ٥٩]إنما أراد أن يبين خلق السماوات والأرض وما بينهما فقط، ولم يذكر خلق ما سواهما.

فليس المراد من الآية حصر المخلوقات، بل هناك مخلوقات غير السماوات وغير الأرض وغير ما بينهما، فليس المراد الاستيعاب؛ ولهذا فإنَّ هناك أشياء لم يسمها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السماوات والأرض وما بينهما، فأخبر الله أنها مخلوقة.

وهناك أشياء سكت الله عنها وإن كانت مخلوقة؛ كالكرسي والحُجب واللوح والقلم إلى غيرها فهذه مسكوت عنها وإن كانت مخلوقة، فالقرآن أيضاً مسكوت عنه، وهو غير مخلوق، كما أنَّ الكرسي والعرش واللوح والحجب سكت الله عنها وهي مخلوقة، فكذلك القرآن سكت الله عنه وهو غير مخلوق، وإنما أراد الله أن يخبر عن السماوات والأرض وما بينهما فقط، هذا الجواب الأول.

**الجواب الثاني**: أنَّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، والحق هو قول الله، قال

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: ٨٤]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقول الله غير مخلوق، فالسماوات والأرض وما بينهما مخلوقة بالقول، وهو كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

ورد في نسخة: "**إنَّ الله يقول الحق**".

وفي النسخة الثانية؛ "**لأن الله تعالى يقول: الحق**" وهي أفضل، أو (والله يقول الحق) على لفظ الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤].



## بيان ما جحدت الجهمية من رؤية الله

قال المؤلف - رحمه الله -:

بَيَانُ مَا جَحَدَتْ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

### الشرح

انتقل المؤلف رحمه الله للرد على الجهمية في إنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة، وسيرجع مرة أخرى أيضاً بعد هذا الباب إلى مسألة الكلام والرد على الجهمية فيها.

***

قَالَ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - فَقُلْنَا لَهُمْ لِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ؟.

فَقَالُوا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الله؛ لِأَنَّ الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ مَعْلُومٌ مَوْصُوفٌ لَا يُرَى إِلَّا شَيْءٌ يَفْعَلُهُ.

فَقُلْنَا أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾؟ فَقَالُوا إِنَّما مَعْنَى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أَنَّهَا تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى فِعْلِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَتَلَوْا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، فَقَالُوا إِنَّهُ حِينَ قَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا رَبَّهُمْ، وَلَكِنَّ معنى ذلك: أَلَمْ تَرَ إِلَى فِعْلِ رَبِّكَ.

فَقُلْنَا لهم: إِنَّ فِعْلَ اللَّهِ لَمْ يَزَلِ الْعِبَادُ يَرَوْنَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، فَقَالُوا: إِنَّمَا تَنْظُرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا، فَقُلْنَا لهم: إِنَّهَا مَعَ مَا تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ من ربها هِيَ تَرَى رَبَّهَا، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَتَلَوْا آيَةً مِنَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعَام: ١٠٣].

## الشرح

هذا الباب معقود للرد على الجهمية في إنكارهم لرؤية الله، حيث قالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأنَّ كل شيء يُنظر إليه يكون معلوماً موصوفاً، والله لا يعلمه أحد، فلا يمكن أن يُرى، لأنه لا يرى إلا المعلوم والموصوف، والله ليس بمعلوم ولا موصوف - تعالى الله عما يقولون -.

وقالوا: الذي يُرى هي الأشياء التي يفعلها، فأفعال الله هي التي ترى، أما الله فلا يرى، وقد خلق السماء والأرض بفعله، أما الله فلا نراه لا في الدنيا ولا في الآخرة. قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ فقلنا: أليس الله يقول: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣].

أوّلها الجهمية فقالوا: إنَّ معناها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ تنتظر الثواب من ربها، وليس تنظر إلى ربها، بل ينظرون إلى فعله وقدرته، وينتظرون الثواب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: ٤٥]، فقالوا: إنَّ الله حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هم لم يروا ربهم، ولكن المعنى ألم تروا إلى فعل ربك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: ٤٥] هل ترى الله أو ترى فعل الله؟ ترى فعل الله وهو الظل،

فكذلك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] تنظر فعل الله، هكذا يقولون.

قال الإمام أحمد: فقلنا إنَّ فعل الله لم يزل العباد يرونه، وهذا إخبار عن الله بأنهم يرونه في الجنة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣] أما أفعال الله فتراها في الدنيا وفي الآخرة فهي مع ما تنتظر الثواب ترى ربها، أي تنتظر الثواب وترى ربها.

فقال الجهمية: إنَّ الله لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة وتلوا آية من المتشابه وهي قوله جل ثناؤه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] وقد سبق الجواب عنها بجوابين:

**الجواب الأول:** لا تراه في الدنيا.

**الجواب الثاني:** لا تدركه أي لا تحيط به رؤية.

**فقلنا: أخبرونا عن النبي ﷺ حين قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر» أليس النَّبِيُّ ﷺ قد كان يَعْرِفُ مَعْنَى قَوْله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»(١) وَقَالَ لِمُوسَى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَلَمْ يَقُلْ: "لَنْ أُرَى"، فَأَيُّهُمَا أَوْلَى أَنْ يُتَّبَع؟ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ» أَوْ قَوْلَ الجهم حِينَ قَالَ: «لَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ؟»**

## الشرح

يقول: إنَّ الله جل ثناؤه لما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ قد كان النبي ﷺ يعرف معنى هذه الآية، وقد أخبر الأمة وقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢).

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - ألا يعرف معنى هذه الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟!! وهو القائل لأصحابه: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٣).

وقال الله تعالى لموسى لما قال: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ هذا في الدنيا، ولم يقل إني لا أُرى في الآخرة، ففي الدنيا لا يستطيع أحد أن يرى الله، ولا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله؛ ولهذا الجبل لم يثبت بل تدكدك(٤)، لماذا؟ لأنَّ البشر ببشريتهم الضعيفة لا يستطيعون

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ العَصْرِ، رقم (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) كما جاء في الحديث «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قَرأَ هذِهِ الآيةَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قالَ حمَّادٌ: هَكذا، وأمسَكَ سليمانُ بطرفِ إبْهامِهِ على أنملةِ إصبعِهِ اليمنى قال: فساخَ الجبلُ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا». أخرجه الترمذي: كتاب أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ، رقم (٣٠٧٤).

أن يثبتوا لرؤية الله.

لكن في يوم القيامة يُنشَّأ الناس تنشئة قوية، يتحملون ويثبتون فيها لرؤية الله ﷻ، فالصفات تبدل بصفات قوية حتى إنَّ الكافر يبدل جلده، ويجدد ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وحتى إنَّ الكافر ضرسه في النار مثل أُحد[١]، إذن التنشئة تختلف، والمؤمنون ينشئون تنشئة قوية، ويكون طول الناس ستون ذراعاً في الجنة، والعرض سبعة أذرع، وقد جاء ذلك في حديث فيه ضعف[٢].

إذن التنشئة تختلف، فقول الله لموسى﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني في الدنيا، ولم يقل إني لا أُرى في الآخرة، يقول الإمام: أيهما أولى أن يتبع؟ النبي ﷺ حين قال: «**سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»[٣] أم الجهمي الذي يقول: إنَّ الله لا يُرى؟

(١) كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحدٍ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفتة نعيمها وأهلها، (٢٨٥١).

(٢) وهو ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع» أخرجه الإمام أحمد في مسنده واللفظ له (٧٩٣٣) (١٣/ ٣١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه، (٣٤٠٠٦) (٧/ ٣٥)، والبزار في مسنده (٧٨٤٤) (١٤/ ٢٥٨)، والطبراني في المعجم الصغير، (٨٠٨)، (٢/ ٧٥)، وقال: "لم يروه عن علي بن زيد إلا حماد بن سلمة"، (المعجم الصغير للطبراني، (٢/ ٧٥)، وحسن إسناده ابن حجر الهيتمي، انظر: (الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي، ص٥)، وقال ابن القيم ؒ: "وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة... ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض وأنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال، وتناسب الخلقة، يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب، والله أعلم" (حادي الأرواح لابن القيم، ص١٥٦).

(٣) سبق تخريجه.

وَالْأَحَادِيثُ فِي أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ.

وَمِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ.

ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إِذَا استقر أَهْلُ الْجَنَّةِ في الْجَنَّةَ، نادى منادٍ يا أهل الجنة إنَّ الله قد وعدكم الزيادة ... قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فيتجلى لهم، فَمَا أعطاهم شَيْئًا كان أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيه»(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: وَإِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ مِمَّنْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيُحْجَبُونَ عَنِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يقول لِلْكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فَإِذَا كَانَ الْكَافِرُ يُحْجَبُ عَنِ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُحْجَبُ عَنْ اللَّهِ، فَمَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْكَافِرِ؟!

فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع والحمد لله وحده.

## الشرح

هذا الباب فيه الرد على الجهمية في إنكارهم رؤية الله يوم القيامة.

يقول لهم الإمام رحمه الله: لِمَ أنكرتم أنَّ أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨١).

فقالوا: لأنَّ المنظور إليه معلوم موصوف، وهذا لا ينطبق على الله؛ لأنه ليس معلوماً ولا موصوفاً، فهو ليس معلوماً وإنما يُدرك بالعقل، ولا يرى وإنما الذي يُرَى الأشياء التي فعلها الله.

فقال لهم الإمام أحمد أليس الله يقول: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾؟

فقالوا: معناها: تنتظر الثواب من ربها، وتنظر إلى فعله وقدرته. واستدلوا بالآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

فقالوا: هم لا يرون ربهم، ولكن المعنى: ألم ترَ إلى فعل ربك.

فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال الرب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فقالوا: إنهم ينتظرون الثواب من ربهم، فقال الإمام: مع كونهم ينتظرون الثواب هم يرون ربهم، فقالوا: إنَّ الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة.

هذا هو مذهب الجهمية أنَّ الله لا يُرَى في الدنيا ولا في الآخرة، حتى أنكروا رؤية الله في المنام، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر ما يرى في المنام فهذا مما يقوله المتجهمة وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده واستقامة حاله وانحرافه»[١].

فمن شدة إنكار الجهمية لرؤية الله، أنكروا حتى رؤية الله في

(١) تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧).

المنام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

وقد سبق أنَّ هذه الآية قيل: معناها: لا تراه الأبصار في الدنيا، وقيل: أي: لا تحيط به رؤية، وإن كانت تراه؛ لأنَّ نفي الإدراك قدر زائد على الرؤية.

يقول الإمام أحمد ردًا عليهم: قد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ومع ذلك فقد قال لأمته: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»(١).

يعني: أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين النصوص التي أثبتت الرؤية، فالنصوص التي فيها إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ متواترة عند أهل العلم، رواها عن النبي ﷺ ما يقارب ثلاثين صحابيًا في الصحاح والسنن والمسانيد، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح"(٢).

فإذن، النصوص التي فيها إثبات الرؤية من الأحاديث متواترة مع الآيات، فالآيات صريحة، قال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

ويقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، وإذا حُجِبَ الكفار فإن المؤمنين لا يُحجبون.

وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] وقد جاء في تفسير ﴿مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ أنَّه النظر إلى وجه الله.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: حادي الأرواح، ص٢٩٣ - ٣٢٢.

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد ذكر النبي ﷺ في حديث صهيب الذي رواه الإمام مسلم **بأنَّ الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله**(١).

إذن الآيات القرآنية صريحة في إثبات الرؤية، وكذلك السنة متواترة في ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله: «**وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة**»(٢)، وقال ابن حجر: «وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح»(٣) ومن أمثلتها قول النبي ﷺ في الحديث: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»(٤).

وفي حديث جرير بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا**»(٥).

وفي بعض الروايات: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ**

(١) سبق تخريجه.
(٢) حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٩٦).
(٣) فتح الباري، (١٣/ ٤٣٤).
(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٣).
(٥) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ، رقم (٥٧٣)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

**طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»**[١] وهما صلاة الفجر وصلاة العصر؛ فالصلاة التي قبل طلوع الشمس الفجر، والصلاة التي قبل غروبها العصر.

قال العلماء: إنَّ المحافظة على هاتين الصلاتين من أسباب النظر إلى وجه الله الكريم، وهما البردان قال النبي ﷺ: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٢] وذلك لأن الفجر تقع في آخر الليل، في وقت النوم، وكذلك العصر تقع في وقت الراحة.

فإذا كبح الإنسان جماح نفسه، وجاهد نفسه، وحافظ على هاتين الصلاتين إيماناً بالله ورسوله، فإنَّ ذلك يدفعه إلى أن يحافظ على بقية الصلوات، وليس المعنى أن يصلي صلاتين ويترك بقية الصلوات لا يحافظ عليها، لا، بل المعنى أنَّه من حافظ على هاتين الصلاتين - مع كونهما يقعان في وقت الراحة والنوم -، فإنَّ محافظته على هاتين الصلاتين تدفعه إلى المحافظة على بقية الصلوات، فالذي يحافظ على صلاة الفجر والعصر لا يمكن أن يترك صلاة الظهر والمغرب والعشاء.

يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ: وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل: «لا أُرَى»، وهناك فرق بين قول: "لن تراني" وقول: "لا أُرَى"، يعني: أنه لم ينفه نفيًا مؤبدًا، ولم يعلقه بشيء مستحيل.

فلو قال: إني لا أُرَى، أو لست بمرئي، أو لا تمكن رؤيتي، أو علَّقه بشيء مستحيل على الله - كالأكل والشرب والنوم - لأمكن

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ، رقم(٥٧٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٥).

استحالة رؤيته ﷻ، لكن علقه بشيء ممكن، فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والله قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا.

فالله ﷻ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: لن أُرَى، أو لا تمكن رؤيتي؛ وذلك أنَّ موسى لا يستطيع رؤية الله، ولا يستطيع الثبات لرؤية الله ببشريته الضعيفة في الدنيا، ولكن يوم القيامة يُنَشَّأ الناس تنشئة قوية يستطيعون فيها رؤية الله ﷻ.

وقد استدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ على نفي رؤية الله في الآخرة، فقالوا: "لن": حرف نفي واستقبال، فهي للنفي المؤبد، وإذا كانت للنفي المؤبد فيشمل هذا النفي رؤية الله في الآخرة، فقالوا: إنَّ الله لا يُرَى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأجيب: بأنَّ كون "لن" للنفي المؤبد ليس بصحيح بل هو قول ضعيف، ولهذا أشار ابن مالك في الكافية الشافية فقال:

**ومن رأى النفي بـ"لن" مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا**[(١)]

ولو كان للنفي المؤبد لما جاز تحديد الفعل بعدها في مثل قول الله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يُوسُف: ٨٠]. فكيف تكون للنفي المؤبد وقد جاء تحديد الفعل بعدها؟!

ولا تكون للنفي المؤبد حتى لو قيدت بالتأبيد، قال الله - تعالى - عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ [البَقَرَة: ٩٥] يعني: الموت، فجاء بـ"لن" و"أبدًا"، ثم أخبر الله أنهم في الآخرة يتمنون الموت، قال الله تعالى:

(١) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك: (٣/ ١٥١٥).

﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ سألوا الموت، فرد عليهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف: ٧٧].

فإذن، "لن" لا تكون للنفي المؤبد، وحتى لو قيدت بالتأبيد؛ فإنَّ الدوام لا يستمر في الآخرة، بدليل أنَّ الكفار أخبر الله أنهم لن يتمنوا الموت، وقَيَّدَ ذلك بالتأبيد، ومع ذلك تمنوه في الآخرة.

والآية وهي قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] تدل على جواز رؤية الله في الآخرة من وجوه متعددة:

**منها**: أنه قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل: لا أُرَى، أو لا تمكن رؤيتي.

**ومنها**: أنَّه علق الرؤية على استقرار الجبل، والله قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا.

**ومنها**: أنَّ الله - تعالى - إذا تجلى للجبل - وهو جماد - لا ثواب له ولا عقاب، فلأن يتجلى لأنبيائه ورسله وللمؤمنين في الآخرة من باب أولى.

**ومنها**: أنَّ الله - تعالى - كلم موسى ومن جاز تكليمه جاز رؤيته، إلا أنَّ موسى لا يستطيع الرؤية ببشريته الضعيفة.

**ومنها**: أنَّ الرؤية جائزة عقلاً، غير مستحيلة، ولو كانت مستحيلة لما سأل موسى الرؤية؛ لأنَّ موسى لا يسأل المستحيل، ولو كانت الرؤية مستحيلة لأنكر الله على موسى كما أنكر على نوح حين سأل نجاة ابنه الكافر، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هُود: ٤٥].

فأنكر الله عليه، فقال: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هُود: ٤٦].

**ومنها**: أنَّه لم ينكر على موسى حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ فلم يقل: لا تمكن رؤيتي، أو إني لا أُرى، أو لست بمرئي، أو لا تسألني الرؤية؛ وإنما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني: في الدنيا ببشريتك الضعيفة، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

**ومنها**: أنَّ رؤية الله نعيم فادخرها الله - تعالى - للمؤمنين في الجنة.

والخلاصة أنَّ رؤية الله - تعالى - في الدنيا جائزة عقلاً، غير واقعة شرعًا، وهناك مانع، وهو عدم التحمل؛ لضعف البشر وعدم استطاعتهم رؤية الله ﷻ في الدنيا.

ولهذا لمَّا سئل النبي ﷺ كما في "صحيح مسلم"-: هل رأيت ربك؟ - كما في حديث أبي ذر - قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(١)] يعني: النور حجاب يمنعني من رؤيته.

وفي حديث أبي موسى في "صحيح مسلم: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ - **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وموسى من خَلِقْهِ، ومحمد من خَلِقْهِ، فجميع الخلق ما يستطيعون في الدنيا رؤيته ﷻ.

فنحن نثبت جهة العلو، وأنَّ الله في العلو، فالله - تعالى - يُرَى في العلو، وهو فوق السماوات، وفوق العرش، بعد أن تنتهي المخلوقات، لأنَّ المخلوقات سقفها عرش الرحمن والله - تعالى - فوق العرش، مستو عليه استواء يليق بجلاله وعظمته، ولا نُكَيِّف. والمرئي لا بد أن يكون بجهة واضحة.

أما المعتزلة فقد أنكروا الجهة، وأنكروا الرؤية جميعًا، وقالوا: إنَّ الرؤية مستحيلة لا تمكن، والله - تعالى - لا يكون في الجهة، وشبهتهم أنَّه لو كان في جهة لكان محدوداً جسماً متحيزاً.

ويرد عليهم: أنَّ الله - تعالى - لا يشبه المخلوقين، وكونه محدوداً متحيزاً وفي مكان، نقول: نعم، الله - تعالى - بعد أن تنتهي الأمكنة المخلوقة هو فوق العرش، والعرش هو سقف المخلوقات، وما بعد العرش شيء من المخلوقات، والله - تعالى - فوق العرش، ولا يمكن أن يكون هناك مرئي إلا بجهة من الرائي.

فالمعتزلة أنكروا الرؤية، وأنكروا الجهة، وأهل السنة أثبتوا الرؤية، وأثبتوا الجهة، أي جهة العلو، فقالوا: إنَّ الله في العلو.

والأشاعرة أثبتوا الرؤية، وأنكروا الجهة، فصاروا مذبذبين؛ لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء؛ لأنهم وافقوا المعتزلة في القول بإنكار العلو.

فالأشاعرة يقولون: الله ليس له مكان، فأنكروا الجهة، ولكن ما استطاعوا أن ينكروا الرؤية، فأحبوا أن يثبتوا الرؤية مع أهل السنة ولا يريدون أن يخالفوا المعتزلة في إنكار الجهة، فقالوا بإثبات الرؤية

ونفي الجهة.

فإذا قيل لهم: يُرَى الله؟ قالوا: نعم، فإذا قيل: أين يرى؟ من فوق؟ يقولون: لا، من تحت؟ يقولون: لا، يمين؟ يقولون: لا، شمال؟ يقولون: لا، أمام؟ يقولون: لا، خلف؟ يقولون: لا، أين يرى؟ يقولون: يُرَى لا في جهة.

فقال لهم أهل السنة إنَّ هذا مخالف لضرورات العقلاء، فجمهور العقلاء يقولون: لا يمكن أن يكون المرئي إلا بجهة من الرائي، فشيء لا يرى في جهة لا وجود له.

ولهذا ضحك جمهور العقلاء من قول الأشاعرة إنَّه تمكن الرؤية بدون جهة، فقالوا: هذا مستحيل،و غير ممكن، يعني: هذا مخالف لبداهة العقول؛ لأنه معروف ببداهة العقول أنَّ المرئي لا بد أن يكون بجهة من الرائي، فكل مرئي لا بد أن يكون بجهة، يكون أمامك، أو فوقك، المهم يكون بجهة، ولا بد أن يكون المرئي مباين للرائي مواجهاً له.

فالقول بأنَّ هناك شيء يُرَى لا في جهة قول باطل، تبطله العقول وتنكره، ويضحك منه جمهور العقلاء.

ثم إنَّه مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[1] ومعلوم أنَّ النظر إلى القمر من فوقنا، فيجب أن نرى الله كذلك من فوقنا، **وقَالَ** ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» **قَالُوا: لَا يَا**

(١) سبق تخريجه.

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ»[(١)].

والمعتزلة وكذلك نفاة الرؤية فسروا الرؤية في الأحاديث بالعلم، وأَوَّلُوها بالعلم، فقالوا: معنى قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»[(٢)] يعني: تعلمون ربكم، أي: أنكم لا تشكون في العلم بربكم يوم القيامة، كما لا تشكون في القمر أنه قمر!

فنقول: هذا معنى فاسد؛ لأنَّ زوال الشك في ربوبية الله يشمل المؤمن والكافر، فكل فرد من أفراد الناس يوم القيامة - حتى المنكرون لوجود الله - يزول عنهم الشك.

والرسول - عليه الصلاة والسلام - بشَّر المؤمنين وخصهم بالرؤية، فما قيمة هذه الخصوصية؟ فلو كان معناها نفي الشك عن ربوبية الله لما كان للمؤمنين خصوصية، وبَيَّن أنَّ هذا أعظم نعيم يعطاه المؤمنون.

فلو كان معنى الرؤية العلم - كما يقوله المعتزلة والجهمية ومنكروا الرؤيةَ لم يكن هناك فرق بين المؤمن والكافر؛ لأنهم جميعهم سيعلمون ربهم يوم القيامة ويعرفونه، فإنَّ الكافر الذي ينكر وجود الله سيعلم ربه، وكذلك المؤمن يعلم ربه، فعلى قولهم لا فرق بين المؤمن والكافر!، وهذا من أبطل الباطل، فالله - تعالى - يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥]، ولو كان معنى الرؤية العلم، لما وجد أحد يُحجب عن العلم؛ لأنَّ كل واحد يعلم ربه.

وبهذا يتبين أنَّ تفسير الجهمية والمعتزلة للرؤية بالعلم تفسير باطل، وتفسد به معاني النصوص.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٣٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «وَالْأَحَادِيثُ فِي أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ»: أي أنَّ الأحاديث الثابتة في رؤية أهل الجنة لربهم كثيرة، ثم ذكر الإمام رحمه الله الأدلة والأمثلة على ذلك.

ثم قال الإمام رحمه الله: «وَإِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ مِمَّنْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيُحْجَبُونَ عَنِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يقول لِلْكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]» يرجو الإمام أحمد أن يحجب جهم وشيعته عن الله، وأن لا يرون الله؛ لأنهم كفار، وهذا دليل على أنَّ الإمام يكفرهم، وهم كفار كما سبق بيانه، لأنَّ الذي يقول: "إنَّ القرآن كلام الله مخلوق" كافر، وكذلك الذي ينكر رؤية الله كافر، كَفَّره جمهور السلف.

وهم أيضاً ينكرون وجود الله؛ لأنهم قالوا: هو شيء لا كالأشياء، وسبق أنَّ من قال: الله شيء لا كالأشياء، أنَّه منكر لوجود الله؛ لأنَّه لا بد أن يكون هناك قدر في الذهن تشترك فيه المسميات والموجودات، في المعنى، عند القطع عن الإضافة، وعدم الاختصاص.

يقول الإمام: «فَإِذَا كَانَ الْكَافِرُ يُحْجَبُ عَنِ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُحْجَبُ عَنْ اللَّهِ، فَمَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْكَافِرِ؟!»: يعني: لو كان المؤمنون لا يرون الله لصاروا محجوبين، والله أخبر أنَّ الذي يُحجب عن الله هو الكافر، فقال عن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فلو كان المؤمنون لا يرون الله لصاروا محجوبين، فلا يكون هناك فرق بين الكافر والمؤمن، ولتساوى المؤمن مع الكافر، فلمَّا قال الله عن الكفار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] دلَّ على أنَّ المؤمنين يرونه.

## باب
## بَيَانُ مَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ كَلَّمَ مُوسَى

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

قال أحمد رضي الله عنه: فَقُلْنَا لهم لِمَ أَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمُ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا فَعبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَخَلَقَ صَوْتًا فَأَسْمَعَ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جَوْفٍ وفم وَلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ.

### الشرح

هذا الباب معقود للرد على الجهمية في إنكارهم كلام الله، وأنَّ الله - تعالى - كلم موسى.

يقول الإمام: قلنا لهم: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إنَّ الله لم يكلِّم ولا يتكلم، هكذا تقول الجهمية.

وإذا قيل لهم: كيف تجيبون عن الآيات التي فيها: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء: ١٦٤] والآيات التي فيها إثبات كلام الله؟

قالوا: معناها: كَوَّن شيئا فعبر عن الله، وخلق صوتًا فأسمعه، قالوا: إنَّ الله لم يتكلم، ولكن كَوَّن شيئا فعبر عن الله، فـ"كَوَّن شيئاً" يعني: خلق.

وقالوا: إنَّ الله - تعالى - لم يقل لموسى إني أنا الله رب

العالمين، بل خلق الكلام في الشجرة، والشجرة هي التي كلمت موسى وقالت: إني أنا الله رب العالمين.

والبعض الآخر من الجهمية يقول: الكلام يخلقه الله في الهواء، أو في الشجرة، أو في أي شيء، فيكون الكلام بدأ من هذا المخلوق.

إذن الجهمية أوّلوا النصوص التي فيها أنَّ الله تكلم، فقالوا: إنه كَوَّنَ شيئا فعَبَّرَ عن الله، فقال: إني أنا الله، وخلق صوتًا فأسمعه موسى، فموسى لم يسمع كلام الله، ولكن سمع صوتًا خلقه الله، وقال لموسى إني أنا الله.

وهذا رد للقرآن، وإبطال للقرآن نعوذ بالله.

يقول الإمام: وشبهتهم زعمهم أنَّ الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين، فإذا قلتم: إنَّ الله يتكلم فقد أثبتم أنَّ لله جوفًا، وأثبتم لله فمًا، وأثبتم لله لسانًا، وأثبتم لله شفتين، ومن أثبت هذه الأشياء لله فقد كفر؛ لأنه شبَّه الله بخلقه، هكذا تقول الجهمية.

وأما النصوص التي فيها أنه تكلم فهي منسوبة إلى أشياء خلقها الله، وكوّنها فتكلمت، وخلق صوتًا فأسمعه موسى، فموسى لم يسمع كلام الله، وإنما سمع صوتًا خلقه الله فأسمعه إياه، وكوَّن شيئاً فعبر عن الله، إما الشجرة أو غيرها، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٣٠].

فقالوا: إنَّ الله خلق الكلام في الشجرة، فكلمته، فسمع الكلام من الشجرة.

والمؤمنون المسلمون يقولون: إنَّ الله هو الذي كلم موسى وقوله:

"من الشجرة" يعني ابتداء الكلام من الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يعني: ابتداؤه من البيت.

***

**فَقُلْنَا لهم: هَلْ يَجُوزُ لِمُكَوَّنٍ أَوْ غَيْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ:** ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢]، **أَوْ يَقُولَ:** ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤]، **فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ.**

## الشرح

يقول الإمام في الرد عليهم: هل يجوز أن يكون الْمُكَوَّن غير الله أن يقول: يا موسى؟

"المكوَّن" هو: المخلوق، فهل يجوز لمخلوق غير الله أن يقول لموسى يا موسى إني أنا ربك؟

فمن يجرؤ من المخلوقات أن يقول لموسى أنا ربك؟ فلا يجوز أن يكون الْمُكَوَّن - يعني المخلوق - أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢] ويقول لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤] فمن زعم أنَّ ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية.

فلا يمكن أن يكون مخلوق - يكوِّنه الله ويخلقه الله - ويقول لموسى هذا الكلام، لا ملَك ولا غير ملَك؛ لأنَّ من قال ذلك فقد ادعى الربوبية، ومن ادعى الربوبية قصمه الله وأهلكه، كما قصم فرعون حين ادعى الربوبية وعاجله بالعقوبة.

***

ولو كان كَمَا زَعَمَ الجهمي أَنَّ اللَّهَ كَوَّنَ شَيْئًا؛ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْمُكَوَّنُ «يا موسى إني لست أنا الله رب العالمين» ولا يجوز له أن يقول: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

## الشرح

يقول: خلق الله الكلام في الشجرة، فالشجرة هي التي قالت: إني أنا الله رب العالمين، يقول الإمام رحمه الله: هذا باطل، ولا يمكن أن يكوِّن الله عز وجل مخلوقاً ويقول: إني أنا الله رب العالمين.

❍ قوله: «كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْمُكَوَّنُ»: (كان): على حذف حرف الاستفهام، والتقدير: أكان يقول ذلك المكوَّن «يا موسى إني لست أنا الله رب العالمين»؟ وهذا استفهام إنكار من الإمام رحمه الله.

***

وَقَدْ قَالَ - الله تعالى -: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].
وَقَالَ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]، وَقَالَ: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعرَاف: ١٤٤]، فَهَذَا مَنْصُوصُ الْقُرْآنِ.

## الشرح

هذه ثلاث آيات فيها إثبات أنَّ الله - تعالى - كلَّمَ موسى:

الآية الأولى: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].

فقوله: «كلم الله موسى»: فيها إثبات أنَّ الله كلم موسى، ثم أكد

بالمصدر فقال: «تكليما»: وهذا المصدر له فائدة عظيمة وهي دفع توهم أنَّ المراد غير الكلام، والتأكيد على أنَّ المراد به الكلام الحقيقي.

ثم استدل بالآية الثانية وهي صريحة، فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد سبق أنَّ بعض الجهمية حَرَّف الآية الأولى، وقرأها: ﴿وكلم اللهَ موسى تكليما﴾ ﴿الله﴾ بالنصب، فقيل: لم هذا؟ فقال: حتى يكون الله هو المُكَلَّم، وموسى هو المكيلّم، بزعمهم فالله لا يتكلم، ولا يستطيع الكلام، وهذا تحريف، حيث حَرَّف اللفظ والمعنى.

فقال له بعض أهل السنة: هب يا عدو الله أنك استطعت أن تحرف هذه الآيات، فكيف تقول في قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟

فهذه الآية صريحة، لا يستطيع أحد نفيها، فالرب هو المكلم، فقال الجهمي: المعنى: جرحه بأظافر الحكمة، "كلَّمَهُ": يعني جرحه، وقال: إنَّ الكَلْم بالسكون يأتي بمعنى الجرح، ومنه قولهم: جاء فلان وكَلْمه يدمى، يعني: جرحه يدمى.

وفى الآية الثالثة يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

يقول الله - تعالى - خطابًا لموسى ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ - يعني: يا موسى - ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾.

***

**فَأَمَّا مَا قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لم يتكلم ولَا يَتَكَلَّمُ، فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ قَالَ: قَالَ النبي ﷺ -: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَه وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»؟[1].**

## الشرح

هذا جواب على قولهم: إنَّ الله لم يتكلم ولا يتكلم، رد عليهم بهذا الحديث.

الترجمان: هو الشخص الذي يعبر، ينقل الكلام من لغة إلى لغة، يقال لها: ترجمة، فهو مترجم، والمعنى: أنَّ كل واحد سيكلمه ربه بدون واسطة، فيكلمه ربه مباشرة، ليس بينه وبينه ترجمان.

يقول الإمام: كيف يفعلون بهذا الحديث؟ أي: كيف يجيبون على هذا الحديث؟ وكيف يردون هذا الحديث؟ فإنَّ هذا الحديث رد صريح عليهم، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»[2].

***

**وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: "إِنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جَوْفٍ وَفَمٍ وَشَفَتَيْنِ وَلِسَانٍ" أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ لِلسَّمَاوَات وَالْأَرْضِ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فُصّلَت: ١١]، أَتَرَاهَا أَنَّهَا قَالَتْ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وَشَفَتَيْنِ وَلِسَانٍ وَأَدَوَاتٍ؟**

## الشرح

يعني: رد عليهم بأدلة، وأما قولكم: إنَّ الكلام لا يكون إلا من

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

جوف وفم وشفتين ولسان، فلو أثبتنا الكلام لله للزم أن نثبت له جوفاً وفماً وشفتين ولساناً، وهذا فيه تشبيه بالمخلوق.

يقول الإمام ﵀: عندنا أدلة تدل على أنَّ هناك بعض المخلوقات تكلمت وليس لها لسان ولا جوف ولا شفتان، وإذا أمكن أن يكون بعض المخلوقات تتكلم، ولا نعلم الكيفية، وليس لها لسان، ولا شفتان، ولا جوف، فإمكان ذلك في الخالق من باب أولى.

فالسماوات والأرض، قال لها الله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصّلَت: ١١] فأجابتا فقالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ⑪﴾ [فُصّلَت: ١١] فهل السماوات لها جوف أو فم أو شفتان؟ وهل الأرض لها كذلك؟

***

**وَقَالَ الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبيَاء: ٧٩] أَتَرَاهَا أنها يُسَبِّحنَ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وَلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ؟**

## الشرح

هذا دليل آخر في الرد عليهم، يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبيَاء: ٧٩] فالجبال تسبح مع داود - عليه الصلاة والسلام -، وليس لها جوف ولا فم ولا شفتان ولا لسان، فكيف تتكلم؟ لا نعلم، فالله من باب أولى يتكلم ولا نعلم كيف يتكلم.

***

**وَالْجَوَارِحُ إِذْ شَهِدَتْ عَلَى الكفار فَقَالُوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصّلَت: ٢١]، أَتَرَاهَا أَنَّهَا نَطَقَتْ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وشفتين وَلِسَانٍ؟.**

## الشرح

هذا دليل ثالث، الجوارح يوم القيامة تشهد على الكافر، فإذا أنكر الكافر أعماله السيئة وشركه ختم الله على فمه، وأنطق الجوارح ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النُّور: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصّلَت: ٢١].

فإذا كانت الجوارح تشهد على الكافر، وليس لها فم، ولا لسان، ولا شفتان، فإمكان ذلك في الخالق من باب أولى.

كذلك - أيضاً - ثبت أن الحجر كان يسلم على النبي ﷺ، قال النبي ﷺ «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»[١].

والطعام كذلك يسبح[٢]، وكذلك الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ حَنَّ وصَاحَ كما يصيح الطفل[٣]، فنزل إليه ﷺ وجعل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى سكت، والجذع ليس له فم ولا لسان ولا شفتان.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٧).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

فإذا كان بعض المخلوقات تتكلم، ولا نعرف كيف تتكلم، وليس لها لسان، ولا شفتان، ولا جوف، فإمكان ذلك في الخالق من باب أولى، ولهذا قال الإمام:

**ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان.**

## الشرح

يعني: كذلك الله أنطقها كيف شاء، فكذلك الله يتكلم كيف شاء، من غير أن نثبت شيئاً لم يثبته الله ولا رسوله.



**قال المؤلف - رحمه الله -:**

قَالَ أَحْمَدُ رضي الله عنه: فَلَمَّا خَنَقَتْهُ الْحُجَجُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى، إِلَّا أَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُهُ فَقُلْنَا: وَغَيْرُهُ مَخْلُوقٌ؟

## الشرح

❍ قوله: «فَلَمَّا خَنَقَتْهُ الْحُجَجُ» يعني: الجهمي لما أُلزِم بالحجج، وصار كالشخص المخنوق، الذي خُنق نَفَسُه، وحلقه، فلم يستطع أن يجيب، يعني: لزمته الحجج وخنقته، مثل الشخص الذي خُنق حلقه بحبل أو غيره، ماذا قال؟

قال: الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره، جاء من جهة أخرى، فيروغ كما يروغ الثعلب، في الأول يقول: إنَّ الله ما كلم موسى فلما خنقته الحجج قال: الله كلم موسى إلا أن كلام الله غير الله، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم، يعني: جاء من جهة أخرى، فأجاب، وأنكر من جهة أخرى.

***

قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْنَا: هَذَا مِثْلُ قَوْلِكُمْ الْأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّكُمْ تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ الشُّنْعَةَ بِمَا تُظْهِرُونَ.

## الشرح

يعني: يقول: إنكم وافقتم من جهة، وأنكرتم من جهة، فرجع إلى قوله الأول أنَّ القرآن مخلوق لكن من جهة أخرى، في الأول يقول: لم يكلم الله موسى، فلما خنقته الحجج قال: كلم الله موسى إلا أن كلامه غيره، وغيره مخلوق، قال الإمام: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة - يعني: الشناعة - بما تظهرون.



**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وحديث الزهري قال: "لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمُت، قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك؟ فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فَشَبِّهْهُ، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تُقبِلُ في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله.

## الشرح

هذا أثر عن الزهري[(١)] عن كعب الأحبار موقوفا عليه، وكعب الأحبار يأخذ عن بني إسرائيل الغث والسمين، وفي سنده - أيضاً - مجهول، وهو جزء بن جابر الخثعمي فيكون ضعيفاً.

ولو كان السند صحيحاً، وليس فيه مجهول، لكان ضعيفاً من جهة أنَّ كعب الأحبار - يأخذ عن بني إسرائيل؛ لأنه كان تابعياً أسلم في

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١٧٨) في الرد على الجهمية، وابن بطة (٦/ ٣١٠) في كتاب "الإبانة"، وعبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب "السنة" (١/ ٢٨٢)، والبيهقي (٢/ ٣٢) في "الأسماء والصفات"، ومن المفسرين ابن أبي حاتم (٦٢٨٦)، وابن جرير (٤/ ١١٩).

زمن عمر بن الخطاب وهو من أهل الكتاب من بني إسرائيل، وهو ينقل عن بني إسرائيل الغث والسمين، فهذا مما أخذه عن بني إسرائيل.

ورُوي - أيضاً - من طريقٍ أخرى، من طريق جابر بن عبد الله وفي سنده الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر وأخرجه ابن أبي حاتم وذكره ابن كثير، وهو موقوف على جابر، وفي سنده الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف بالمرة، منكر الحديث، متكلم فيه.

ولو فرضنا أنَّ هذا السند موقوف على جابر وليس فيه الفضل بن عيسى لكان ضعيفاً أيضاً؛ لأنه مما أخذه عن بني إسرائيل.

فتكون هذه الرواية - رواية الزهري عن كعب الأحبار أو الطريق الأخرى، طريق جابر - لو كان سندها مثل الشمس متصلاً، لكان ضعيفاً؛ لأنهما من أخبار بني إسرائيل، وأخبار بني إسرائيل لا تُصَدَّق ولا تُكَذَّب.

فكيف ورواية الزهري في سندها جزء بن جابر الخثعمي وهو ضعيف؟ ورواية جابر في سندها الفضل بن عيسى وهو ضعيف بالمرة؟

فيكون هذان موقوفان، وهما من أخبار بني إسرائيل، وكلام الله وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يعلم كيفيته إلا هو، فهذا الأثر لا يعول عليه؛ لضعفه وكونه من أخبار بني إسرائيل؛ فإنَّ ضعفه شديد متناهٍ.

ثم - أيضاً - ليس من كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - بل هو من كلام كعب الأحبار، وهو ممن يأخذ عن بني إسرائيل، أو من كلام جابر إن صح السند ووصل إلى جابر، ولا يصح السند؛ لأنَّ

رواية جابر في سندها الفضل بن عيسى الرقاشي وهذا متكلم عليه، تكلموا عليه بأنه ضعيف بمرة، وهناك من قال: إنَّه خبيث، ويروي المنكرات.

فلا يُعَوَّل على هذا الأثر، وفيه تشبيه لكلام الله، والله - تعالى - وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يعلم كيفيتها إلا هو.

يبقى الإشكال: لماذا ذكره الإمام أحمد ﷬ إمام أهل السنة؟ مع أنه أثر ضعيف عن بني إسرائيل؟

نقول: كما يذكر الأحاديث الضعيفة في المسند، فإنَّه إذا ذكر السند خرج من العهدة، فهو يذكر السند وأنت حقق.

يعني: **العلماء قسمان:**

قسم من العلماء لا يذكر إلا الأحاديث الصحيحة، مثل البخاري ومسلم.

وقسم من العلماء يذكرون في الأحاديث الصحيح والضعيف، مثل السنن الأربع، فيها الضعيف، وفيها الصحيح، وفيها الحسن، فسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن النسائي ومسند الإمام أحمد فيها الضعيف، وفيها الحسن، والعلماء يؤلفون ويذكرون السند، وإذا ذكروا السند خرجوا من العهدة والمسئولية، فأنت تبحث عن السند، فتعرف هل هو صحيح أو ضعيف؛ وإنما يذكرونه لأنهم يذكرون ما ورد في هذا الباب، فتعلم أنَّ هذا الحديث من أحاديث هذا الباب، سواء كانت أحاديث ضعيفة أو غير ضعيفة.

إذن، هذا الأثر لا يُعَوّل عليه، ولو لم يذكره ﷬ لكان أولى؛ لأنه

لا يعول عليه، فهو أثر ضعيف باطل من أخبار بني إسرائيل والآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة كافية في إثبات الكلام لله ﷻ وفيها غنية وكفاية، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعـراف: ١٤٣] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعرَاف: ١٤٤].

والنصوص كثيرة من الكتاب والسنة في إثبات الكلام لله، فلا حاجة إلى مثل هذا الأثر الضعيف الباطل، والآثار الإسرائيلية الضعيفة.



## استدلال الإمام أحمد على الجهمية بتكليم الله لعيسى يوم القيامة وتكليمه للذين أُرسل إليهم وللمرسلين وجمعهم بين كفر وتشبيه

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِيَّةِ مَنِ الْقَائِلُ لعيسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الْقَائِلُ؟

قَالُوا يُكَوِّنُ اللَّهُ شَيْئًا، فَيُعَبِّرُ عَنِ اللَّهِ كَمَا كَوَّنَ شَيْئًا فَعَبَّرَ لِمُوسَى.

**الشرح**

هنا الإمام رحمه الله يناقش الجهمية فيقول: قلنا للجهمية من القائل يوم القيامة يخاطب عيسى ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أليس الله هو القائل يخاطب عيسى؟

فماذا قالت الجهمية؟

قال: «قَالُوا يُكَوِّنُ اللَّهُ شَيْئًا، فَيُعَبِّرُ عَنِ اللَّهِ كَمَا كَوَّنَ شَيْئًا فَعَبَّرَ لِمُوسَى» يعني: يخلق الله مخلوقاً ينادي عيسى ويقول: يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟.

انظر - والعياذ بالله - إلى الجرأة العظيمة، يعني: تقول الجهمية الله لا يكلم عيسى يوم القيامة، فمن الذي يكلمه؟ مخلوق يخلقه الله يكلم عيسى فيقول: يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله.

كما أنه كوَّن مخلوقًا فكلم موسى في الدنيا، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء: ١٦٤] فالله ما كلمه، وإنما خلق مخلوقًا فكلم موسى.

فأجاب الإمام:

**فقُلْنَا فَمَنِ الْقَائِلُ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأعراف: ٦-٧] أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ؟ قَالُوا هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَكُوِّنُ شَيْئًا فَيُعَبِّرُ عَنِ اللَّهِ، فقُلْنَا قَدْ أَعْظَمْتُمْ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، فَشَبَّهْتُمُوهُ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ ولا تنطق، وَلَا تَتَحَرَّكُ، وَلَا تَزُولُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.**

## الشرح

يعني: الإمام أحمد سألهم سؤالاً آخر قال: فمن القائل: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦].

أليس الله هو الذي يسأل؟ يسألهم يوم القيامة، فيسأل المرسلين، ويسأل المرسل إليهم، قالوا: هذا كله إنما يكوِّن شيئاً فيعبِّر عن الله، يكوِّن مخلوقاً فيعبِّر عن الله، فيقول: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾.

إذن أجاب الإمام قال: «**فقُلْنَا قَدْ أَعْظَمْتُمْ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، فَشَبَّهْتُمُوهُ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**».

معنى ذلك: أنكم تنقصتم الله، فجعلتم الله مثل الأصنام التي لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان.

***

فَلَمَّا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تعالى قد يَتَكَلَّمُ، وَلَكِنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ.

## الشرح

لما خنقته الحجج - كما سبق - قال: إنَّ الله قد يتكلم، لكن كلامه مخلوق، يعني: وافق من جهة، وأنكر من جهة أخرى، ففي الأول يقول: لا يتكلم، فلمَّا ظهرت عليه الحجة قال: إنَّ الله يتكلم، إلا أنَّ كلامه مخلوق، فأجاب الإمام:

فقُلْنَا وَكَذَلِكَ بَنُو آدَمَ كَلَامُهُمْ مَخْلُوقٌ، فشبَّهتم اللَّهَ بِخَلْقِهِ حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ.

## الشرح

يقول في الجواب: «وَكَذَلِكَ بَنُو آدَمَ كَلَامُهُمْ مَخْلُوقٌ»: إذا قلتم كلام الله مخلوق، إذن كلام بني آدم مخلوق، فشبَّهْتُمُ الله بخلقه حين زعمتم أنَّ كلامه مخلوق، فلمَّا قلتم: إنَّه يتكلم، وكلامه مخلوق، إذن بنوا آدم كلامهم مخلوق.

***

فَفِي مَذْهَبِكُمْ أنَّ الله قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لا يَتَكَلَّمَ حَتَّى خَلَقَ التَّكَلُّمَ، وَكَذَلِكَ بَنُو آدَمَ كَانُوا لَا يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى خَلَقَ لَهُمْ كَلَامًا.

## الشرح

يقول: ففي مذهبكم أيها الجهمية قد كان - يعني: الرب - في

وقت من الأوقات لا يتكلم - عاجز عن الكلام - حتى خلق التكلم فتكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم الكلام.

***

فَجَمَعْتُمْ بَيْنَ كُفْرٍ وَتَشْبِيهٍ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ علواً كبيراً.

## الشرح

كيف جمعوا بين كفر وتشبيه؟ جمعوا بين الكفر، حيث أنكروا كلام الله، ومن أنكر أن يكون الله متكلماً كفر، ومن أنكر أن يكون القرآن كلام الله فقد كفر.

والتشبيه: حيث شبهوا الله ببني آدم الذين لا يتكلمون حتى يخلق الله لهم كلاماً.

***

بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ.

وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قد كَانَ وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى خَلَقَ كَلَاماً وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قد كَانَ ولَا يَعْلَمُ حَتَّى خَلَقَ عِلْمًا فَعَلِمَ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا قُدْرَةَ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ قدرة وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا نُورَ لَهُ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ نُورًا وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا عَظَمَةَ لَهُ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ عَظَمَةً.

## الشرح

هذا معتقد أهل الحق - أهل السنة والجماعة - أنَّ الله لم يزل متكلماً إذا شاء، متى شاء، كيف شاء.

والكلام صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وهو من صفات الكمال، ولا يمكن

أن يخلو الله من الكمال في وقت من الأوقات؛ بل الرب ﷻ لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء ﷻ.

والله - تعالى - بائن من خلقه بذاته وصفاته، وكلام الله ليس متحدًا بهم، ولا حالاً فيهم، فسبحانه مباين بذاته وصفاته.

فالله تعالى لم يزل متصفًا بالصفات، فلم يزل يتكلم، ولم يزل قادرًا، ولم يزل عالمًا ﷻ، ولم يزل له نور ﷻ، والنور صفة من صفاته، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنَّه لا يتكلم حتى خلق لنفسه كلاماً فهذا باطل؛ بل نقول: إنَّ الله لم يزل متكلماً إذا شاء، والجهمية يقولون: إنَّه لا يعلم حتى خلق لنفسه علمًا، وهذا باطل؛ بل إنَّ الله لم يزل عالمًا.

والجهمية يقولون: إنَّه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة، وهذا باطل؛ بل إنَّ الله - تعالى - لم يزل قادرًا، ولم يزل عالمًا، ولم يزل سميعًا.

ولا نقول: إنَّه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، بل لم يزل الله - تعالى - متصفاً بصفاته، ومن صفاته النور، وهو غير النور المخلوق الذي احتجب به عن خلقه.

ولا نقول: إنَّه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه العظمة.

فكل ما سبق نفي لأقوال الجهمية.

***

## تشبيه الجهمية بالنصارى

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

فَقَالَتْ الْجَهْمِيَّةُ لنا لَمَّا وَصَفْنَا اللَّهَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ وَنُورَهُ، وَاللَّهَ وَقُدْرَتَهُ، وَاللَّهَ وَعَظَمَتَهِ، فَقَدْ قُلْتُمْ بِقَوْلِ النَّصَارَى حِينَ زعمتم أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَنُورَهُ، وَلَمْ يَزَلْ وَقُدْرَتَهُ.

### الشرح

يقول الجهمي: "فقد قلتم بقول النصارى" يعني: بتعدد الأرباب والآلهة.

فالنصارى يقولون: إنَّ الآلهة ثلاثة، والأرباب ثلاثة: الله، وعيسى ومريم، وأنتم أثبتم أرباباً متعددة، الله رب، والنور رب، والقدرة رب، وكذلك جميع الصفات.

فقد قلتم بتعدد الآلهة مثل النصارى فما الفرق بينكم وبين النصارى؟

فإذا قلتم: إنَّ له صفات قديمة فقد قلتم بالتعدد، فإذا قلتم: إنَّ العلم قديم، والرحمة قديمة، وصفة العلم، وصفة القدرة، وصفة السمع كلها قديمة، معناه: قلتم بتعدد الأرباب والآلهة، وقلتم بتعدد القدماء وتعدد الخالقين، والله واحد لا يتعدد، هذه من شُبَه الجهمية.

***

فقُلْنَا لَا نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَقُدْرَتَهُ، وَلَمْ يَزَلْ وَنُورَهُ وَلَكِنْ نَقُولُ لَمْ يَزَلْ بِقُدْرَتِهِ وَبنُورِهِ، لَا مَتَى قدر وَلَا كَيْفَ قَدَرَ.

## الشرح

يعني: لا يُسأل عن الزمان، ولا عن المكان، ولا عن الكيفية.

بل نقول: إنَّ الله - تعالى - لم يزل متصفاً بالصفات، فلم يزل بنوره، ولم يزل بقدرته وعلمه.

❍ قوله: «لَا مَتَى قدر» لا نقول: إنَّه في وقت من الأوقات ما قدر، ثم قدر بعد ذلك، فلا نحدد زماناً، ولا نسأل عن الزمان، فلا نقول: إنَّه في وقت من الأوقات ليس له قدرة، ثم خلق قدرة

❍ قوله: «وَلَا كَيْفَ قَدَرَ» ولا نكيِّف، لا نقول إنَّ قدرته وكيفيته كذا، ونوره وكيفيته كذا، وعلمه وكيفيته كذا، لا نكيف.

فلا تسأل عن الزمن، ولا تسأل عن الكيفية.

ثم - أيضاً - جواب آخر، وسيأتي الجواب بعد هذا، وهو أنَّ الله - تعالى - بذاته وصفاته هو الخالق، وليس هذا تعدد، فالصفات ليست تعدد، فالله - تعالى - واحد بذاته وصفاته، فالعلم والقدرة والسمع والبصر كلها صفات لله، وهو ﷻ واحد متصف بالصفات، فالواحد المتصف بالصفات لا يقال: إنَّه متعدد، لكن هذا من تلبيس الجهمية.

***

فَقَالُوا لَا تَكُونُوا مُوَحِّدِينَ أَبَدًا حَتَّى تَقُولُوا قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ.

## الشرح

يعني: ولا شيء معه حتى الصفات، لا تكونوا موحدين حتى تنفوا الصفات؛ لأنَّ الصفات أشياء، فلا تكونوا موحدين حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء معه.

ₒ قوله: «لا شيء معه» يعني: لا صفة معه، لا العلم، ولا القدرة، ولا السمع، ولا البصر ولا شيء من صفاته.

***

فَقُلْنَا نَحْنُ نَقُولُ قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ كُلِّهَا، أَلَيْسَ إِنَّمَا نَصِفُ إِلَهًا وَاحِدًا بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ؟

## الشرح

ₒ قوله: «قَدْ كَانَ اللَّهُ» يعني: بذاته وصفاته، قد كان الله ولا شيء من المخلوقات معه، كما في الحديث: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»[(١)] وفي لفظ: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**»[(٢)].

فنقول: قد كان الله ولا شيء، وإذا قلنا: «قد كان الله» فهذا شامل لذاته وصفاته، فالله - تعالى - هو الخالق بذاته وصفاته، وما سواه مخلوق.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، رقم (٧٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، رقم (٣١٩١).

فهل الصفات شيء غير الله؟

الله بذاته وصفاته هو الخالق، فنحن نقول: «قد كان الله ولا شيء» أي: قد كان الله بذاته وصفاته، ولا شيء معه من المخلوقات.

وإذا قلنا: «إنَّ الله لم يزل بصفاته» فإنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته، ثم ضرب الإمام مثالين في ذلك، فقال:

وَضَرَبْنَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلًا، فَقُلْنَا أَخْبِرُونَا عَنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ، أَلَيْسَ لَهَا جِذْعٌ وَكَرَبٌ وَلِيفٌ وَسَعَفٌ وَخُوصٌ وَجُمَّارٌ؟ وَاسْمُهَا اسْمُ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَسُمِّيَتْ نَخْلَةٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِهَا، فَكَذَلِكَ اللَّهُ ﷻ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ.

## الشرح

الإمام أحمد ضرب لهم مثلًا بالنخلة، فالنخلة لها جذع، ولها كرب - يمسك حينما يرقى على النخلة - وليف وسعف وخوص وجمُّار، واسمها شيء واحد، وهو: النخلة، فهذه الصفات كلها صفات لها، فهل يقال: إنها متعددة؟

لا، بل هي نخلة بجميعها، فاسم النخلة يشمل الجذع والكرب والليف والسعف والخوص والجمَّار كلها، واسمها اسم شيء واحد، وهو النخلة، فكذلك الله بجميع صفاته هو واحد ﷻ، فالله ﷻ متصف بصفاته، بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والحياة كلها، فالله بذاته وصفاته واحد، وهو الخالق ﷻ، هذا المثال الأول.

***

**وقد سمى الله رجلا كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪﴾ [المدثر: ١١] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدًا له عينان وأذنان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة، فقد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته، فكذلك الله تعالى - وله المثل الأعلى - هو بجميع صفاته إله واحد.**

## الشرح

هذا هو المثال الثاني، الوليد بن المغيرة سماه الله وحيدًا فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ⑫﴾ [المدثر: ١١-١٢].

فسَمَّاه الله وحيداً، وله صفات عدة: فله عينان، وله أذنان، وله يد، وله رجل، وله سمع، وله بصر، وله علم، وله قدرة، ومع ذلك سمَّاه وحيداً، فهو وحيد بصفاته، وهو شخص واحد، ليس باثنين، لكن له صفات، فسماه الله وحيداً مع أنَّ له عينين وأذنين، ولساناً وشفتين، ويدين وجوارح، فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته، فكذلك الله - وله المثل الأعلى - هو بجميع صفاته إلٰه واحد.



## بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

**قلنا لهم: لم أنكرتم أن يكون الله سبحانه على العرش، وقد قال - سبحانه -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الفرقان: ٥٩].**

### الشرح

هذا الباب في إثبات علو الله ﷻ واستوائه على العرش، فالجهمية ينكرون أن يكون الله فوق، ويقولون: هو في كل مكان، تحت وفوق، وفي الأرض السابعة، وفي كل مكان، تعالى الله عما يقولون.

وأنكروا أن يكون الله على العرش، وأنكروا أن يكون الله فوق، فقال لهم الإمام أحمد لم أنكرتم ذلك أن يكون الله على العرش؟ وقد قال - جل ثناؤه -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾.

والإمام رحمه الله اقتصر على هذه الآيات، وإلا فآيات الاستواء في سبعة مواضع في القرآن الكريم كلها في إثبات العرش، وأنَّه استوى عليه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ وهذه الآية في سورة "طه"، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ في سورة "الأعراف".

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة "يونس".

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة "الرعد".

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة "الفرقان".

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة "السجدة".

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة "الحديد".

فهذه سبعة مواضع كلها فيها إثبات الاستواء على العرش، وكلها جاء فيها ﴿عَلَى﴾ التي تدل على العلو والارتفاع، فقال: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

***

**فقالوا: هو تحت الأرضين السابعة كما هو على العرش، فهو على العرش، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، وتلوا آية من القرآن: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].**

## الشرح

مذهب الجهمية أنَّ الله تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، وفي كل مكان، وهو على العرش، وتحت الأرض السابعة، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، لا يخلو منه مكان،

ولا يكون في مكان دون مكان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فقالوا: الآية دليل على أنَّ الله في السماوات وفي الأرض.

وأجاب الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

***

**فَقُلْنَا قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً لَيْسَ فِيهَا مِنْ عظم الرَّبِّ شَيْءٌ فَقَالُوا: أَيُّ مَكَانٍ؟.**

**قُلْنَا: أحشاؤُكُمْ وأجْوافُكُمْ، وأَجْوَافُ الْخَنَازِيرِ وَالْحُشُوشِ، والْأَمَاكِنُ الْقَذِرَةُ لَيْسَ فِيهَا مِنْ عظم الرَّبِّ سبحانه شَيْءٌ.**

## الشرح

يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً لَيْسَ فِيهَا مِنْ عظم الرَّبِّ**» أي: منزه عنها الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقالوا: أي مكان؟ قال: أجسامكم وأجوافكم، وأجواف الخنازير، والحشوش، والأماكن القذرة، فهذه الأماكن ليس فيها شيء من عظمة الرب، والله - تعالى - فوق العرش، وفوق السماوات، بعدما تنتهي السماوات التي سقفها عرش الرحمن، فالله فوق العرش.

***

**وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ سبحانه:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧].

**وَقَالَ:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وَقَالَ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨].

وَقَالَ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠].

وَقَالَ: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعَارج: ٣-٤].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعَام: ١٨].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشّورىٰ: ٤].

## الشرح

فهذه كلها نصوص في إثبات العلو، والنصوص التي تدل على أنَّ الله في العلو يقول العلماء: أفرادها تزيد على ثلاثة آلاف، لكن هذه أمثلة منها، قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. - وهو الله - ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [المُلك: ١٦-١٧].

وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

والصعود إنما يكون من أسفل إلى أعلى، مما يدل على أنَّ الله في العلو.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ والرفع إنما يكون من أسفل إلى أعلى.

وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] والرفع يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على أنَّ الله في العلو.

وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨].

وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩] ﴿عِندَهُۥ﴾ أي: الملائكة، فهو سبحانه له ملك السماوات والأرض، ثم قال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ في العلو - وهم الملائكة - ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ ولو كان قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ لا تفيد العلو، لم يكن للملائكة ميزة، فهم في العلو عند الله تعالى، يوضح ذلك أنَّه قال :﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ ثم خص الملائكة فقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ في العلو، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: ٥٠].

وقال: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣-٤] والعروج إنما يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على أنَّ الله في العلو.

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشّورىٰ: ٤].

فهذه أمثلة، وإلا فالنصوص التي فيها إثبات العلو كثيرة، يقول العلماء: تزيد أفرادها على ثلاثة آلاف دليل، لكن يمكن أن تُحصر هذه الأفراد في قواعد وأصول ترجع إليها، أو أنواع من الأدلة، يعني تتنوع هذه الأدلة إلى أنواع، وكل نوع يدخل تحته أفراد كثيرة.

فمثلًا أنواع الأدلة الشرعية التي تدل على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة، منها:

**النوع الأول:** التصريح بأنه استوى على العرش، فهذا نوع من أنواع الأدلة يدخل تحته سبعة أدلة وسبعة أفراد، والتصريح بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه ﷻ، وهي:

في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي

سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، كلها جاء فيها التصريح بأنَّ الله استوى على العرش بأداة "على" التي تدل على العلو والارتفاع، إذن هذا نوع من أنواع الأدلة: وهو التصريح باستواء الله على العرش.

**النوع الثاني:** التصريح بعلو الله كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غَافِر: ١٢].

وهذا النوع تحته أفراد كثيرة، فكل ما جاء فيه تصريح بالعلو يدخل تحت هذا النوع.

**النوع الثالث:** التصريح بالفوقية تارة مقرونة بـ "من"، وتارة غير مقرونة بـ"من"، فالمقرونة بـ"من" صريحة لا تحتمل التأويل كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: ٥٠] فهذه صريحة لا تحتمل التأويل، وغير المقرونة بـ"من" ظاهرة في المراد، ولا يقبل تأويلها ممن أولها إلا بدليل، ولا دليل، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٨].

**النوع الرابع:** التصريح بالعروج إليه، والعروج يكون من أسفل إلى أعلى، كقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعَارج: ٤] وفي الحديث: «**ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ**»[(١)].

**النوع الخامس:** التصريح بالصعود إليه في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠] والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ العَصْرِ، رقم (٥٥٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٢).

النوع السادس: التصريح برفع بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى عن عيسى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥]، وقد وثبت في الحديث ارتفاع دعوات المضطرين والمظلومين.

النوع السابع: التصريح بأنَّه في السماء كقوله تعالى: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [المُلك: ١٧].

والسماء المراد بها العلو، فإذا كانت "في" للظرفية فالمراد بالسماء العلو، و﴿أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من في العلو، والله تعالى له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وإذا أريد بالسماء الطباق المبنية فتكون "في" بمعني "على"، أأمنتم من على السماء.

النوع الثامن: التصريح بأنَّه ﷻ رفيع الدرجات، أي مرفوعة درجاته لارتفاعه هو وعظمته، وأنَّه أعظم من كل شيء، يقول ﷻ في سورة غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غَافر: ١٥] أي: مرفوعة درجاته لارتفاعه هو - سبحانه - وعظمته - جل سلطانه -، وليس المراد معناها رافع درجات المؤمنين كما أوله المعطلة؛ لأنَّ الضمائر تعود إليه ﷻ، وكقوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾ [المعَارج: ٣] أي: المصاعد التي تصعد إليه جل شأنه.

النوع التاسع: التصريح بأنَّ بعض المخلوقات عنده مع أنَّ له ملك السماوات والأرض كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [الأنبيَاء: ١٩] فله من في السماوات والأرض، فهو يملك من في السماوات والأرض، الملائكة والآدميين وغيرهم، ثم خص الملائكة فقال: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩] من عنده يعني في العلو.

**النوع العاشر:** التصريح بأنَّ من أسمائه الظاهر، وفسره النبي ﷺ بنفي فوقية شيء عليه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فالظاهر المراد به العالي بدليل نص الحديث، يقول النبي ﷺ «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١) فالنبي ﷺ فسر الظاهر بنفي فوقية شيء عليه.

**النوع الحادي عشر:** التصريح بالإشارة إليه ﷻ حيث أشار النبي ﷺ إلى العلو في أعظم موقف كقوله ﷺ لما كان يخطب الناس يوم عرفه «فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «**اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**(٢) قال: اللهم اشهد، فرفعُ الإصبع إليه من أدلة العلو.

**النوع الثاني عشر:** التصريح بالتنزيل من عنده، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزُّمَر: ١]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فُصّلَت: ٢]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النّحل: ١٠٢]، والتنزيل إنما يكون ممن هو فوق وممن هو عال.

**النوع الثالث عشر:** النصوص التي فيها إثبات رؤية الله تعالى في القرآن الكريم، وفي السنة المتواترة، والرؤية لا تكون إلا بمواجهة المرئي ومباينته، وقد تواترات النصوص بأنَّ المؤمنين يرون ربهم من فوقهم.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، رقم (١٢١٨).

النوع الرابع عشر: السؤال عن الله بـ"أين" - "وأين" إنما يسأل بها عن المكان - فدل على أنَّ الله في العلو، كقوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١)، والمعطلة والجهمية يقولون: لا يُسأل عن الله "بأين"، فليس له مكان، وهذا الحديث فيه ردٌ عليهم.

فهذه أربعة عشر نوعاً من أنواع الأدلة، ترجع إليها جميع أفراد الأدلة، فكل نوع تحته أفراد كثيرة.

***

فَهَذَا خَبَرُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَوَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ أَسْفَلَ مِنْهُ مَذْمُومًا.

قال اللَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فُصِّلَت: ٢٩].

وَقُلْنَا لَهُمْ أَلَيْسَ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِبْلِيسَ مَكَانَهُ السفل وَالشَّيَاطِينُ كذلك مَكَانَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَجْتَمِعَ هُوَ وَإِبْلِيسُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: ٣].

يَقُولُ هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا دُونَ الْعَرْشِ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ عِلْمُ اللَّهِ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وذلك قَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٧).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلَاق: ١٢].

## الشرح

أجاب الإمام رحمه الله على قول الجهمية: أنَّ الله في كل مكان، في الأسفل، وفي الأعلى.

فقال: إنَّا وجدنا كل شيء أسفل هو مذموم، أتجعلون الله مع المذمومات؟! تعالى الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فُصِّلَت: ٢٩]..

فإبليس والشياطين مكانهم أسفل، فلم يكن الله بمجتمع هو وإبليس في مكان واحد، تعالى الله.

ثم أجاب عن استدلالهم بالآية: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فقال: المعنى: هو إله من في السماوات، وإله من في الأرض، وهو - سبحانه - فوق العرش، وفوق العلو، لكن هو إله من في السماوات والأرض، فهو معبود من في السماوات، ومعبود من في الأرض، يعبده أهل السماوات، ويعبده أهل الأرض، وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، وعلمه شامل لكل شيء، وفي كل مكان، أما ذاته - سبحانه - فهو فوق العرش.

وبعضهم فسر الآية: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ

وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعَام: ٣] بأنَّ المراد بها علمه، فعلمه في السماء كما أنَّ علمه في الأرض، والإمام هنا فسرها بأنَّه معبود من في السماء، ومعبود من في الأرض، وعلمه في كل مكان.

ولهذا قال - سبحانه -: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطّلَاق: ١٢].

ثم ذكر الإمام مثالين يدلان على أنَّ الله ﷻ علمه في كل مكان، وذاته فوق العرش.

***

قال: وَمِنَ الِاعْتِبَارِ فِي ذَلِكَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي يَدِهِ قَدَحٌ مِنْ قَوَارِيرَ صَافٍ، وَفِيهِ شَرَابٌ صَافٍ، كَانَ بَصَرُ ابْنِ آدَمَ قَدْ أَحَاطَ بِالْقَدَحِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ آدَمَ فِي الْقَدَحِ، فَاللَّهُ سبحانه - وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ.

## الشرح

ذكر الإمام ؒ مثالين توضيحيين لإثبات إحاطة علم الله وهو على العرش، وهما:

**المثال الأول:** لو أنَّ رجلاً في يده قدح من قوارير صافية أي: زجاجة فيها شراب صاف، كان بصر بن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون بن آدم في القدح، فأنت لما يكون معك زجاجة صافية، وفيها شراب صاف، فإنَّ بصرك ينظرها، إذن فأنت تحيط بها، أي: علمك محيط بها، وتعرف ما فيها، وأنت لست داخلاً في الزجاجة، فكذلك الله - وله المثل الأعلى - فوق العرش وهو يعلم خلقه، لا يخفى عليه

شيء من أعمالهم.

***

وَخَصْلَةٌ أُخْرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَنَى دَارًا بِجَمِيعِ مَرَافِقِهَا، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهَا وَخَرَجَ مِنْهَا، كَانَ ابْنُ آدَمَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَمْ بَيْتٍ فِي دَارِهِ، وَكَمْ سَعَةِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الدَّارِ فِي جَوْفِ الدَّارِ، فَاللَّهُ سبحانه - وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ ما خلق وَقد عَلِمَ كَيْفَ هُوَ، وَمَا هُوَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ.

## الشرح

المثال الثاني: لو أنَّ شخصاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها، وخرج منها، فهذه الدار التي بنيتها تعرفها، تعرف كم فيها من المجالس، تعرف أن فيها مجلسين، وتعرف أنَّ فيها صالة، وتعرف أنَّ فيها ثلاث غرف أسفل، وتعرف الدور الثاني كم فيه من غرفة، لأنك أنت الذي فصلتها وبنيتها، فإذا خرجت من الدار هل يخفى عليك شيء منها؟ لا تخفى عليك.

فكذلك الله - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع خلقه، وقد علم بكيفية خلقه، وماهيتهم، وحقيقتهم من غير أن يكون فيهم؛ بل هو فوق العرش، ويعلم أحوال عباده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: ١٤].

فإذا كان الإنسان إذا بنى بيتاً، ويعرف مساحته، وكم عدد الغرف فيه، وهو خارج الدار لا يخفى عليه، فلو قلت له: دارك الفلانية التي بنيتها كم مساحتها؟ يقول: مساحتها خمسون في خمسين، أو أربعون

في أربعين، لأنه عنده مخططها، فلو أراد أن يبيعها على إنسان فقال له المشتري: صف لي بيتك؟ لقال له المساحة كذا وكذا، والمجلس مساحته كذا، والمجلس الثاني مساحته كذا، والصالة مساحتها كذا، وفي الدور الأسفل فيه ثلاث غرف، والدور الأعلى فيه ثلاث غرف، وفيه كذا، ويصفها، وإن كان خارج البيت.

فكذلك الله - وله المثل الأعلى - هو فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمال عباده ولا أحوالهم، فهو الذي خلقهم، يعلم أحوالهم، وكيفيتهم، وماهيتهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: ١٤].



## بيان ما تأولت الجهمية من قول الله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**بَيَانُ مَا تَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية.**

**قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَنَا وَفِينَا فَقُلْنَا: لِمَ قطعتم الخبر من أوله إنَّ الله ﷻ يَقُولُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]؟**

## الشرح

أي: أنَّ الجهمية تأولوا قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ﴾ بأنَّ المعية معناها الاختلاط، وأنَّ الله مختلط بالخلق، ممتزج بهم، وَبَيْنهم في الأرض.

فقال الإمام ردًّا على قول الجهمية: لِمَ قطعتم الخبر من أوله؟ والمراد بالخبر الآية التي أخبر الله بها، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

يقول: اقرءوا الآية من أولها، لماذا تقطعون الآية وتأخذون بعض الآية وتتركون بعضها أول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

ﭐلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ﴾ [المجَادلة: ٧] أخبر - جل ثناؤه - أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، إذن المراد هنا بالمعية: معية علم وإحاطة، وليست معية اختلاط، وسبق أنَّ المعية معناها في اللغة العربية مطلق المصاحبة، ولا تقتضي الاختلاط، ولا الامتزاج، ولا المماسة، ولا المحاذاة عن يمين أو شمال، هذا أصلها في اللغة العربية، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها.

فهؤلاء الجهمية لم يتمشوا مع اللغة العربية، فليس في اللغة العربية أن معنى المعية الاختلاط بل معناها المصاحبة، وهي لا تقتضي الاختلاط، بل تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فتقول: أنا معك، أرسلت مالي معك، وهذا نوع من متعلقات المعية، وتقول: فلان زوجته معه، وهو في المشرق وهي في المغرب، فمعه هنا يعني: في عصمته.

وتقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أنَّ القمر فوق، ومازلنا نسير والنجم معنا، إذن المعية لا تفيد الاختلاط ولا الامتزاج.

وأَخْذُ الجهمية من هذه الآية أنها تفيد الاختلاط والامتزاج من أبطل الباطل، ولا تدل عليه اللغة العربية؛ ولهذا قال الإمام ﵀: لِمَ قطعتم الخبر من أوله؟ اقرءوا الآية من أولها يتبين لكم أنَّ المراد معية العلم؛ لأنَّ الله تعالى افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فدل على أنَّ المعية معية علم.

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ هذا العلم، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

إذن افتتح الله الآية بالعلم وختمها بالعلم؛ فدل على أنَّ المعية معية العلم، وبهذا أجاب الإمام.

***

**ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] يَعْنِي أنَّ اللَّهُ بِعِلْمِهِ رابعهم.**

## الشرح

معني الآية: أنَّ الله بعلمه رابعهم، ولماذا قال: إنَّ الله بعلمه؟ هل هذا تأويل؟ ليس تأويلاً، بل أخذها من الآية، فقد افتتحها الله بالعلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وختمها بالعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧] فدل على أنَّ المعية معية علم ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: إلا الله بعلمه رابعهم.

***

## معية الله بعلمه

**﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ يَعْنِي اللَّهُ بِعِلْمِهِ ﴿سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يَعْنِي بِعِلْمِهِ فِيهِمْ، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].**

## الشرح

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ ختم الآية بالعلم وافتتحها بالعلم.

يَفْتَحُ الْخَبَرَ بِعِلْمِهِ، وَيَخْتِمُ الْخَبَرَ بِعِلْمِهِ.

## الشرح

يفتح الخبر يعني يبدأ الخبر، والخبر هو الآية؛ لأنَّ الآية خبر، فقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هنا افتتح الخبر بالعلم، ويختم الخبر بالعلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.



**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَيُقَالُ لِلْجَهْمِيِّ إذا قال: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِعَظَمَةِ نَفْسِهِ، فَقُلْ لَهُ: هَلْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وأَنَّ خلقه دُونَهُ، وَإِنْ قَالَ: لَا، كَفَرَ.

## الشرح

هذه مناقشة ملجئة قوية للجهمي، يعني: يقال للجهمي: أنت تقول إنَّ الله معنا بعظمته في الأرض - تعالى الله - فهل يغفر الله لكم أو لا يغفر؟ وهل يغفر للمذنبين أو لا يغفر؟

فهو بين أحد أمرين: إما أن يقول: نعم، أو يقول: لا، إن قال: نعم، فمعناه أنه ترك مذهبه، وزعم أنَّ الله بائن من خلقه، لأنه مادام يغفر للمذنبين، إذن هناك غافر ومغفور له، فهناك مباينة، ولا يوجد اختلاط، وإن قال: لا، كفر؛ لأنه كذب الله في قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١].



## كذب الجهمي على الله في زعمه
## أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات

**قال المؤلف** - رحمه الله -:

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْجَهْمِيَّ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ.

## الشرح

يعني: إذا أردت أنَّ تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنَّ الله مختلط بالمخلوقات، وأنه في جميع الأمكنة.

فالجهمي يقول: إنَّ ذات الله بسيطة، عامة لجميع الأمكنة، واسعة تشمل جميع الأمكنة - تعالى الله عما يقولون - وناقشهم الإمام بقوله:

فَقُلْ له: أَلَيْسَ اللَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ؟ فَسَيقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: حِينَ خَلَقَ الله الشَّيْءَ خَلَقَهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ خَارِجًا مِنْ نَفْسِهِ؟ فإنه يَصِيرُ إِلَى ثَلَاثَةِ أقاويل لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا:

إِنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي نَفْسِهِ فقد كَفَرَ، حِينَ زَعَمَ أَنَّه خلق الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وإبليس فِي نَفْسِهِ.

وَإِنْ قَالَ: خَلَقَهُمْ خَارِجًا مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ دَخَلَ فِيهِمْ، كَانَ هَذَا أَيْضًا كُفْر. حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء.

**وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة.**

## الشرح

هذا دليل عقلي من طريق السبر والتقسيم، يعني قسم الأحوال التي يتصورها العقل، فالجهمي يقول: إنَّ الله في كل مكان، فنقول له: الله حين خلق الخلق هل خلقهم في نفسه أو خلقهم خارجاً من نفسه؟

العقل يتصور ثلاثة أشياء: إما أن يقول: خلقهم في نفسه، أو يقول: خلقهم خارج نفسه ثم دخل فيهم، أو يقول: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، واحداً من الثلاثة، ولا يتصور العقل أكثر من هذا.

فإن قال: «خلقهم في نفسه» كفر، لأنه زعم أنه خلق الجن والشياطين والإنس في نفسه - عياذاً بالله -، وكذلك إذا قال: «خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم» كفر أيضاً؛ لأنه زعم أنَّ الله دخل في مكان رجس قذر رديء - تعالى الله -، وإن قال: «خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم» ترك مذهبه، وقال بقول أهل السنة، وهو لا محيد له عن واحد من هذه الأقسام الثلاثة.



## باب إثبات العلم لله ﷻ

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

قال أحمد رحمه الله: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْجَهْمِيَّ لَا يُقِرُّ بِعِلْمِ اللَّهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللَّهُ تعالى يَقُولُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٦]، وَقَالَ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هُود: ١٤]، وَقَالَ: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧].

## الشرح

هذا الباب في إثبات العلم لله ﷻ والمؤلف رحمه الله ذكر أربعة أدلة في إثبات العلم، والأدلة كثيرة، لكن هذه أمثلة:

**الدليل الأول:** قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ ففيه: إثبات العلم لله، وأنه لا يحيط الخلق بشيء من علمه ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

**الدليل الثاني:** قول الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٦] فيه: إثبات العلم.

**الدليل الثالث:** قول الله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هُود: ١٤].

**الدليل الرابع**: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧].

هذه أربعة أدلة، والأدلة كثيرة لا حصر لها، منها، قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلَاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٩]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢] فالأدلة كثيرة لا حصر لها، لكن أراد أن يذكر أمثلة فقط.



## دليل عقلي على إثبات علم لله

قال المؤلف - رحمه الله -:

وَيُقَالُ لَهُ: تُقِرُّ بِعِلْمِ اللَّهِ هَذَا الَّذِي أَوْقَفْتُكَ عَلَيْهِ بِالْأَعْلَامِ وَالدَّلَالَاتِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ قَالَ: لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ فقد كَفَرَ.

وَإِنْ قَالَ: لِلَّهِ عِلْمٌ مُحْدَثٌ كَفَرَ أيضاً حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يَعْلَمُ، حَتَّى أَحْدَثَ لَهُ عِلْمًا فَعَلِمَ.

وَإِنْ قَالَ: لِلَّهِ تعالى عِلْمٌ وَلَيْسَ بمَخْلُوقٍ وَلَا مُحْدَثٍ، رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ كُلِّهِ، وَقَالَ بِقَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

## الشرح

أيضاً هذا دليل عقلي كالسابق، جار على طريقة السبر والتقسيم من ثلاثة أشياء، فهذا الدليل العقلي مكون من أقسام ثلاثة، لا يستطيع الجهمي أن ينفك عن واحد منها.

فالجهمي الذي لا يقر بعلم الله؛ لأنه ينكره، يقال له: هل تثبت العلم لله أو لا تثبت؟ فإن قال: «ليس لله علم» كفر؛ لأنه نسب الله للجهل، ومن قال: «إنَّ الله جاهل» كفر بإجماع المسلمين وإن قال: «لله علم محدث» كفر أيضاً؛ لأنَّه زعم أنَّ الله في وقت من الأوقات لا يعلم حتى خلق العلم، وإن قال: "لله علم وليس مخلوقاً ولا محدثاً" رجع عن مذهبه وقال بقول أهل السنة.

## بيان ما ذكر الله في القرآن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾

قال المؤلف - رحمه الله -:

بَيَانُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤].

### الشرح

أيضاً لا يزال المؤلف في المعية، الباب السابق باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] في المعية، وهذا في المعية أيضاً، في الباب السابق - أراد أن يرد عليهم -، وهنا أراد أن يذكر الأدلة على إثبات المعية.

***

وهذا على وجوه: قول الله تعالى لموسى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] يَقُولُ فِي الدَّفْعِ عَنْكُمَا. وقال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، يَقُولُ فِي الدَّفْعِ عَنَّا.

وقَالَ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]، يَقُولُ فِي النَّصْرِ لَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥] يقول: في النصر لكم على عدوكم، وقال:

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٠٨] **يقول: بعلمه فيهم، وقوله:** ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١-٦٢]، **يَقُولُ فِي الْعَوْنِ عَلَى فِرعون.**

## الشرح

هذه الأدلة كلها في إثبات المعية، وهي تنقسم إلى نوعين - كما سبق -: معية عامة، ومعية خاصة، وهذه الآيات ترجع إلى النوعين.

وهناك ثلاثة فروق بينهما وهي:

**أولاً:** أنَّ المعية العامة معية إحاطة واطلاع، والمعية الخاصة معية حفظ ونصر وتأييد ودفع.

**ثانياً:** المعية العامة تأتي في سياق المحاسبة والجزاء والتخويف، والمعية الخاصة تأتي في سياق المدح والثناء.

**ثالثاً:** المعية العامة تشمل المؤمن والكافر، والمعية الخاصة خاصة بالمؤمنين.

وهذه الآيات كلها في المعية الخاصة إلا قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٠٨] ولهذا قال: يقول: بعلمه، معية علم وإحاطة، فهذه عامة، والإمام ﷺ قال: إنَّ هذه الآيات على وجوه - يعني من جهة المعنى - فقال: في الدفع عنهما، أو في العون والنصر، وإلا فكل الآيات في المعية الخاصة ما عدا آية النساء ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ فهي في المعية العامة.



## مذهب الجهمية في الحلول

قال المؤلف - رحمه الله -:

فَلَمَّا ظَهَرَتِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَهْمِيِّ بِمَا ادَّعَى عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ قَالَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرُ مُمَاسٍّ لِشَيْءٍ وَلَا مُبَايِنٌ مِنْهُ.

### الشرح

هذا مذهب الجهمية في الحلول، الجهمي يقول: إنَّ الله مع خلقه في كل شيء، غير مماس ولا مباين، كيف يكون هذا؟! إنَّ الله مع خلقه غير مماس لشيء ولا مباين لشيء، هذا تناقض ولاشك! ولا يمكن ذلك! فإذا كان غير مماس فهو مباين، وإذا كان مبايناً فهو غير مماس.

ولا يمكن ترك الاثنين، غير مماس وغير مباين، فلا تقول لزميلك أمامك: هذا غير منفصل عني وغير متصل بي، لا يمكن، لا بد واحد من الأمرين، إذا كان مبايناً لك فهو غير مماس، وإذا كان مماساً فهو غير مباين، والجهمية قالوا: إنَّ الله مع خلقه في كل شيء، غير مماس لشيء، ولا مباين لشيء، ولهذا ناقشهم الإمام فقال:

فَقُلْنَا: إِذَا كَانَ غَيْرَ مُبَايِنٍ منه أَلَيْسَ هُوَ مُمَاسٌّ؟ قَالَ: لَا، قُلْنَا فَكَيْفَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ مُمَاسٍّ لِشَيْءٍ وَلَا مُبَايِنٌ فَلَمْ يُحْسِنِ

الْجَوَابَ، فَقَالَ بِلَا كَيْفٍ فخدع الجُهَّالَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمَوَّهَ عَلَيْهِمْ.

## الشرح

الإمام قال له: إذا كان غير مباين أليس هو مماس؟ إذا كان غير منفصل لا بد أن يكون مماساً، قال: لا، فقلنا: كيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء؟ فلم يحسن الجهمي الجواب فقال: بلا كيف، قال الإمام: فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة.

والناس في مسألة مباينة الله لخلقه على مذاهب:

المذهب الأول: مذهب الجهمية الذين يقولون: إنه حالٌّ في كل مكان - نعوذ بالله -، وأنَّه في كل مكان - تعالى الله عما يقولون -.

المذهب الثاني: مذهب الجهمية المتأخرين المعطلة الذين ينفون النقيضين اللَذين لا يخلو موجود عن واحد منهما، لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له ولا محايث له، ولا متصل به ولا منفصل عنه، إذن ماذا يكون؟! عدم، بل أشد من العدم، ويسمى عند العقلاء مستحيلاً، فالمستحيل هو الذي ينفى عنه النقيضين، فهذا لا يمكن أن يكون شيء، لا بد إما داخل وإما خارج.

المذهب الثالث: مذهب طائفة من السالمية والصوفية يقولون: هو فوق العرش، وهو في كل مكان، وكذلك الجهمية - نقل الإمام أحمد عنهم أنهم - يقولون: هو فوق العرش وفي كل مكان.

المذهب الرابع: مذهب أهل الحق - الرسل وأتباعهم - أنَّ الله تعالى فوق السماوات، مستو على عرشه، بائن من خلقه ﷻ، وأما المخلوقات فنهايتها وسقفها عرش الرحمن، والله فوق العرش، بعد أن

تنتهي المخلوقات.

هذا هو معتقد أهل الحق، وهذا هو الذي جاء به الرسل وأتباعهم، فتكون المذاهب أربعة: مذهب أهل الحق، ومذهب الجهمية القائلين بالحلول وأنه في كل مكان، ومذهب السالمية والصوفية القائلين بإنه فوق العرش وفي كل مكان، ومذهب معطلة الجهمية ونفاتهم الذين ينفون النقيضين.

وكُفرِ الذين ينفون النقيضين أشد من الحلولية، وكلهم كفار، لكن من يقول بالحلول هذا أثبت وجود الله، أما الذي يقول لا داخل العالم ولا خارجه لم يثبت شيئاً، فيكون كفره أشد وأغلظ - نعوذ بالله -.



**قال المؤلف** - رحمه الله -:

**فَقُلْنَا له أَلَيْسَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَلَيْسَ إِنَّمَا هُوَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَالْهَوَاءِ؟ قَالَ: بَلَى فَقُلْنَا: فَأَيْنَ يَكُونُ رَبُّنَا تبارك وتعالى؟ قَالَ: يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كما كان حين كان في الدنيا في كل شيء.**

**فقلنا: فإنَّ في مذهبكم أنَّ ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله - جل ثناؤه -.**

## الشرح

هذه مناقشة من الإمام للجهمية.

**يقول الإمام للجهمي**: إذا كان يوم القيامة أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسي والهواء؟، فلا توجد الأرض والسماء يوم القيامة، فإذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار لا يوجد سماء ولا أرض، إذن فأين أهل السماء والأرض؟ صاروا إما في الجنة أو في النار، فهناك جنة، وهناك نار، وهناك العرش، وسقف الجنة هو عرش الرحمن، وهناك كرسي الرحمن، والهواء.

قال: بلى.

**فقلنا - يعني للجهمي -**: أين يكون ربنا؟ فقال الجهمي: يكون في كل شيء كما كان في الدنيا.

**فقلنا - يعني يقول الإمام -**: فإنَّ في مذهبكم - يعني مذهبكم ما صرحتم به الآن - أنَّ ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء، يعني مذهبهم أنَّه في كل شيء، فهو على العرش، وفي الجنة، وفي النار، وفي الهواء، وفي الكرسي، وفي كل مكان - نعوذ بالله -.

**فعند ذلك يقول الإمام**: تبين للناس كذبهم على الله - جل ثناؤه -.



## الكلام على اسم الله في القرآن هل هو مخلوق؟!

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

قال وَزَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ فَقُلْنَا: قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ هَذَا الِاسْمُ، مَا كَانَ اسْمُهُ؟.

قَالُوا: لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمٌ.

## الشرح

هذا أيضاً مناقشة للجهمية يقول: زعموا أنَّ الله في القرآن مخلوق، يعني اسم الله في القرآن مخلوق، فمثلاً اسم الله في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠] مخلوق.

**فقال لهم الإمام**: إذا قلتم: اسم الله مخلوق، فقبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه؟ قالوا: لم يكن له اسم حتى خلق الاسم له فصار اسمه الله – نعوذ بالله –، يعني قبل أن يخلق الاسم قالوا: لا اسم له.

***

فَقُلْنَا وَكَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعِلْمَ أَكَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ، حَتَّى خلق لِنَفْسِهِ عِلْمًا، وَكَانَ لَا نُورَ لَهُ حَتَّى خَلُقَ لِنَفْسِهِ نُورًا، وَكَانَ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ حَتَّى خلق لِنَفْسِهِ قُدْرَةً.

فَعَلِمَ الْخَبِيثُ أَنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ فَضَحَهُ وَأَبْدَى عَوْرَتَهُ للناس حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ.

## الشرح

يقول الإمام: على هذا - طرد مذهبكم - أنكم تقولون: قبل أن يخلق العلم كان جاهلاً حتى خلق لنفسه علماً، فلا علم له حتى خلق العلم، ولا نور له حتى خلق لنفسه النور، ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة، كذلك لا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً.

قال: «فَعَلِمَ الْخَبِيثُ - يعني الجهمي - أَنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ فَضَحَهُ وَأَبْدَى عَوْرَتَهُ للناس حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ»؛ لأنه على هذا يقول إنَّ الله خلق اسمه، وقبل أن يخلق اسمه ليس له اسم، كذلك خلق العلم وقبل أن يخلق العلم لم يكن عالماً، وخلق القدرة وقبل أن يخلق القدرة لم يكن قادراً، وخلق النور وقبل أن يخلق النور لم يكن له نور، وهذا كفر صريح.

***

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِي لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَلَفَ بِاللَّهِ - الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - كَاذِبًا كَانَ لَا يَحْنَثُ؛ لِأَنَّهُ حَلَفَ بِشَيْءٍ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَحْلِفْ بِالْخَالِقِ، فَفَضَحَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ.

## الشرح

هذه مناقشة له في قوله: «إنَّ اسم الله مخلوق»، فيقال له: لو أنَّ رجلاً حلف بالله الذي لا إله إلا هو فإنه لا يحنث إذا لم يفعل؛ لأنَّه ما

حلف بالله، بل حلف بشيء مخلوق، فأنت تقول: «اسم الله مخلوق»، فإذا قال رجل: «والله الذي لا إله إلا هو لأفعلن كذا» ثم لم يفعل فليس عليه كفارة، ولا يحنث، لأنَّه حلف بشيء مخلوق، وهذا بناء على قولهم: «إنَّ اسم الله مخلوق».

هذه مناقشة، والمناقشة الثانية قوله:

**وَقُلْنَا لَهُ أَلَيْسَ النَّبِيُّ ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالْخُلَفَاءُ ﷺ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالْحُكَّامُ وَالْقُضَاةُ، إِنَّمَا كَانُوا يُحَلِّفُونَ النَّاسَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ فَكَانُوا فِي مَذْهَبِكُمْ مُخْطِئِينَ، إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ ﷺ - وَلِمَنْ بَعْدَهُ فِي مَذْهَبِكُمْ أَنْ يُحَلِّفُوا الناس بِالَّذِي خلق اسم الله.**

## الشرح

وهذه مناقشة ثانية، يقول: إذا قلتم - أيها الجهمية -: إنَّ اسم الله مخلوق.

نقول لكم: أليس النبي ﷺ يحلِّفُ الناس بالله، فإذا تخاصم عنده اثنان يقول: احلف بالله، وأبو بكر بعده يحلِّفُ الناس فيقول: احلف بالله، فإذا جاء شخص ادعى على شخص شيئاً وأنكر يقال: احلف بالله أنه ليس عندك له شيء.

وكذلك عمر وعثمان وعلي والخلفاء يحلِّفوُن، وكذلك حكام المسلمين وقضاتهم يحلِّفوُن الناس بالله، فيكونون - على مذهبكم أيها الجهمية - مخطئين؛ لأنهم حلِّفُوهم باسم مخلوق، فيكون على ذلك الجهمية خطئوا النبي ﷺ وخطئوا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضوان الله عليهم - والحكام من بعده والقضاة؛ لأنهم يحلِّفوُن الناس

بالله، وهذا خطأ؛ لأنهم حلفوهم باسم مخلوق.

وكان - على مذهبكم أيها الجهمية - ينبغي أن يحلِّفُوهم فيقولون: احلفوا بالذي اسمه الله، أما قولهم: «احلفوا بالله» معناه حلفوا بمخلوق؛ لأنهم يقولون: اسم الله مخلوق، وهذا إلزام للجهمية.

ويلزمهم على هذا أن يكون هذا شركاً، لأنه حلف بغير الله وحلف بشيء مخلوق؛ لأنَّ النبي ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١)، فعلى هذا إذا كان اسم الله مخلوق - على زعم الجهمية - يكون من حلف بالله مشرك؛ لأنه حلف بمخلوق، وهذا إلزام لم يذكره الإمام وهو لازم لهم.

***

**وَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أن يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ اسم اللَّهَ، وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ تَوْحِيدُهُمْ، فَفَضَحَهُ اللَّهُ ﷻ بِمَا ادَّعَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ.**

## الشرح

كذلك أيضاً هذا إلزام لهم، يقول: على قولكم: «إنَّ اسم الله مخلوق» إذا أراد إنسان أن يقول: «لا إله إلا الله» يكون أخطأ، وهو غير موحد، فحين ينطق الإنسان بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» لا يكون موحداً، إلا أن يقول: «لا إله إلا الذي خلق الله»، فكلمة التوحيد

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، رقم (٣٢٥١)، والترمذي واللفظ له: كتاب النذور والأيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، رقم (١٥٣٥) وقال حديث حسن.

يكون معناها هكذا: «لا إله إلا الذي خلق الله»، أما إذا قال: «لا إله إلا الله» فلا يكون موحداً؛ لأنَّ اسم الله مخلوقاً عندهم، فمتى يكون موحداً على زعم الجهمية؟ إذا قال: «لا إله إلا الذي خلق الله»، وإلا فلا يصح توحيده، وكل هذا مبني على قولهم: إنَّ اسم الله مخلوق.

***

**وَلَكِنْ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ، وَلَيْسَ اللَّهُ بِاسْمٍ، إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ كل شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ؛ لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يجوز أن يكون اسم لاسم، ففي هذا بيان كفر الجهمية.**

## الشرح

يعني: يقول على مذهب الجهمية: إنَّ الله هو الله، ولا يقول: إنَّ الله اسم لله؛ لأنَّ الله اسم مخلوق، وليس الله باسم، إنما الأسماء شيء سوى الله؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يجوز أن يكون اسم لاسم مطلقاً؛ لأنَّ الأسماء مخلوقة، فلا يجوز أن يكون اسم لاسم.

قال الإمام: ففي هذا بيان كفر الجهمي؛ لأنه على مذهبه، ما نقول: إنَّ الله اسم لله، بل نقول: إنَّ الله هو الله، ولا نقول: إنَّ الله اسم لله، فليس الله باسم لله، إنما الأسماء شيء سوى الله، ولا يجوز أن يكون اسم لاسم على مذهب الجهمية.



## مناقشة الجهمية في زعمهم أن الله لم يتكلم

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وقلنا لهم: وزعمتم أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَبِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الله الْخَلْقَ؟.
أَمَوْجُودٌ عَنْ اللَّهِ تبارك وتعالى أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقَوْلِهِ وَبِكَلَامِهِ؟ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النّحل: ٤٠].

## الشرح

هذه مناقشة للجهمية قلنا لهم: زعمتم أنَّ الله لم يتكلم - أيها الجهمية -، فبأي شيء خلق الخلق، فالله تعالى يخلق الخلق بالكلام: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يٓس: ٨٢]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: ٨٥]، والحق هو كلامه سبحانه، فإذا كان لا يتكلم فبأي شيء خلق الخلق؟.

○ وقوله: «أَمَوْجُودٌ عَنْ اللَّهِ تبارك وتعالى أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقَوْلِهِ وَبِكَلَامِهِ؟» يعني: أليس موجوداً في القرآن الكريم أنَّ الله خلق الخلق بقوله وكلامه؟ بلى موجود.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النّحل: ٤٠]، فقوله: ﴿كُن﴾ هذا كلام الله، ﴿فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ أي: فيوجد.

**قالوا: إنما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، يكون، فقلنا لهم: فلِمَ أخفيتم ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾؟!**

**قالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، وقال الله مثل قول العرب: قال الحائط، وقالت: النخلة فسقطت، والحائط والنخلة لا يقولان شيئاً؟ فقلنا: فعلى هذا قستم؟! قالوا: نعم.**

## الشرح

أجابوا بأن قالوا: إنَّ معنى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي: إنما قولنا لشيء إذا أردناه يكون، فحذفوا جملة من الآية، وهي ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ فقال لهم الإمام: فلِمَ أخفيتم ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾؟ لماذا حذفتم جزءاً من الآية؟

أجابوا، فقالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن بمعانيه، وما جاء في القرآن «قال الله» يفسر بـ«خلق الله»، والدليل على هذا أنَّ «قال الله» مثل قول العرب قال الحائط، وقالت النخلة، والحائط والنخلة لا يقولان شيئاً، فمعنى «قال الله» ليس معناها تكلم الله، بل معناها مثل قول العرب قال الحائط وقالت النخلة.

○ وقوله: «**وقالت النخلة: فسقطت**» نسب السقوط إليها وهي لا تفعل؛ لأنها جماد ومع ذلك نسب إليها السقوط ونسب إليها الفعل ونسب إليها القول.

يقول الإمام: «**على هذا قستم؟**» يعني: قستم الله على الحائط والنخلة والجماد؟ قالوا: نعم نقيس.

***

**فقلنا: فبأي شيء خلق الله الخلق إن كان الله في مذهبكم لم يتكلم؟ فقالوا: بقدرته، فقلنا: قدرته هي شيء؟ فقالوا: نعم، فقلنا: قدرته مع الأشياء المخلوقة؟ قالوا: نعم، فقلنا: كأنه خلق خلقاً بخلق، وعارضتم القرآن وخالفتموه.**

## الشرح

هنا مناقشة لهم، يقول الإمام: إذا كان الله لا يتكلم - في مذهبكم - فبأي شيء خلق الخلق؟ أنتم تقولون: لا يتكلم مثل قالت النخلة وقال الحائط وقال الله، وهو لا يتكلم، فبأي شيء خلق الخلق إن كان الله - في مذهبكم - لا يتكلم؟ قالوا: خلق الخلق بقدرته، فقلنا: قدرته هل هي شيء؟ قالوا: نعم شيء، فقلنا: هل قدرته مع الأشياء مخلوقة؟ قالوا: نعم خلق الأشياء بقدرته وقدرته مخلوقة.

فقال الإمام: إذن كأنكم قلتم: خلق الخلق بخلق، فالقدرة مخلوقة، والخلق خُلِق بالقدرة، فيكون خُلِق بخلق، وهذا من أبطل الباطل.

***

**فَقُلْنَا فَبِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الله الْخَلْقَ إِنْ كَانَ اللَّهُ فِي مَذْهَبِكُمْ لَم يَتَكَلَّمُ؟ فَقَالُوا: بِقُدْرَتِهِ فَقُلْنَا: قدرته هِيَ شَيْءٌ؟ فقَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْنَا: قُدْرَتُهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.**

**فَقُلْنَا: كَأَنَّهُ خَلَقَ خَلْقًا بِخَلْقٍ، وَعَارَضْتُمْ الْقُرْآنَ وَخَالَفْتُمُوهُ حِينَ قَالَ اللَّهُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، فَأَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ يَخْلُقُ، وَقَالَ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣]، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَخْلُقُ غَيْرُهُ تبارك وتعالى، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ غَيْرُهُ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا**

قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

## الشرح

يعني: يقول الإمام رَحِمَهُ الله: زعمتم أنَّ الله خلق خلقاً بخلق وهي القدرة، وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله - جل ثناؤه -: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢] فعارضتم القرآن؛ لأنَّ الله أخبرنا أنه يخلق وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣].

فإنَّ الآية فيها حصر ونفي، فإنه ليس أحد يخلق غير الله، لكن أنتم زعمتم أنَّ هناك أحد يخلق غير الله، وزعمتم أنَّه خلق الخلق غيره، وهي قدرته التي خلق، فالله تعالى يقول: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣]، والمعنى: لا خالق غير الله.

وأنتم - الجهمية - تقولون: هناك خالق غير الله، وهي القدرة فالله خلق الخلق بالقدرة، والقدرة خلق، إذن خلق خلقاً بخلق، فلزمكم أن يكون هناك خالق غير الله، والله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢] ويقول: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣].

فإذن لزم الجهمية بهذا، لما أنكروا كلام الله أن يقولوا: إنَّ هناك خالقاً غير الله، وهذا كفر صريح، ولزمهم أن يقولوا: الله ليس خالق كل شيء، بل هناك خَلْقٌ هو الذي يخلق، وهي القدرة المخلوقة، وهذا معنى قوله: فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، وهي قدرته التي هي خلق من خلقه، فتعالى الله عما يقول الجهمية علوًّا كبيراً.



## بيان ما ادعت الجهمية أنَّ القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

هذه شبه الجهمية من السنة والأحاديث النبوية، فالشبه التي مضت شبه من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فهذه آيات قالوا: إنها تدل على خلق القرآن، وهنا شبهوا بأحاديث فقالوا: إنَّها تدل على أنَّ القرآن مخلوق.

فقالوا: جاء في الحديث: «أن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟

فيقول له: من أنت؟

فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك.

قال: فيأتي به الله فيقول: يارب ...»[1].

فادّعوا أنَّ القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث.

**الشرح**

هنا يقول الإمام رحمه الله: إنَّ الجهمية ادَّعوا أنَّ القرآن مخلوق،

(١) أخرجه أحمد: رقم (٢٢٩٧٦)، والحاكم: كتاب فضائل القرآن، رقم (٢٠٤٣) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

واستدلوا بالسنة، كالحديث الذي فيه أنَّ القرآن يجيء يوم القيامة في صورة الشاب، فحين ينشق القبر عن صاحبه يأتيه القرآن كالرجل الشاحب، وأنه يجادل عنه، وينتصب خصماً له، أو خصماً عليه، - كما في الحديث -: «**يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَشَرُّ حَامِلٍ تَعَدَّى حُدُودِي، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: فَشَأْنُكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى مَنْخِرِهِ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ، وَحَفِظَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ دُونَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَخَيْرُ حَامِلٍ، حَفِظَ حُدُودِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْخَمْرِ**»[(١)].

فالشاهد في الحديث: أنَّ القرآن يأتي في صورة الشاب، الرجل الشاحب، قال الجهمي: هذا دليل على أنَّ القرآن مخلوق، فالقرآن يأتي في صورة شاب مخلوق، فدل على أنَّ القرآن مخلوق، وأنه يأتي في صورة الشاب الشاحب، ويقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك، قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب، فادّعوا - يعني الجهمية - أنَّ القرآن مخلوق من قِبَل هذه الأحاديث.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب مَنْ قَالَ: يَشْفَعُ الْقُرْآنُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رقم (٣٠٠٤٤)، وقال ابن حجر في المطالب العالية إسناده حسن.

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

**فَقُلْنَا لَهُمْ: "الْقُرْآنُ لَا يَجِيءُ بِمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ: مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] الصمد، فَلَهُ أجر كَذَا وَكَذَا.**

**أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] لَا يَجِيئُهُ إِلَّا ثَوَابِهِ؛ لِأَنَّا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ويجيء ثواب القرآن، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ...؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَجِيءُ وَلَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.**

**وَإِنَّمَا مَعْنَى "أَنَّ الْقُرْآنَ يَجِيءُ": إِنَّمَا يَجِيءُ ثَوَابُ الْقُرْآنِ فيقول: يَا رَبِّ...".**

## الشرح

إذن الجواب عن هذا: أنَّ الذي يجيء ثواب القرآن، وليس القرآن الذي هو كلام الله، لكن ثوابه هو الذي يجيء، فهذا الثواب يصوره الله بصورة الرجل الشاب الشاحب يجادل عنه أو ينتصر، إما ثوابه إذا كان له ثواب، أو عقوبته على ترك القرآن، وترك العمل به، مثلما جاء: من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فله كذا وكذا، فقال: ألا ترون أنَّ من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] لا تجيئه بل يجيئه ثوابها.

ومثلما جاء في الحديث: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا**

**لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا»**(١) المعنى: يجيء ثوابهما، ثواب البقرة وآل عمران، كذلك هنا القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فهذا ثوابه، يقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك، كذلك: من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ فله من الثواب كذا، كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٢)، فهذا هو الثواب، فإذن الذي يجيء هو ثواب القرآن، أما القرآن فهو كلام الله، ولهذا قال الإمام رحمه الله: كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال، وهو صفة من صفاته، وإنما الذي يجيء ثواب القرآن، هذا جواب الشبهة.



(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٠٤).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم (٨١١).

## بيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾

قال المؤلف - رحمه الله -:

فَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الأول قَبْلَ الْخَلْقِ، فَصَدَقُوا وَقَالُوا: يَكُونُ الْآخِرُ بَعْدَ الْخَلْقِ، فَلَا تَبْقَى سماء، وَلَا أَرْضٌ، وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ، وَلَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، وَلَا عَرْشٌ وَلَا كُرْسِيٌّ.

وَزَعَمُوا أَنَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا يَكُونُ، هُوَ الْآخِرُ كَمَا كَانَ، فَأَضَلُّوا بِهَذَا بَشَرًا كَثِيرًا.

## الشرح

هذه الشبهة في تأويل الجهمية قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣] فهذه الأسماء الأربعة متقابلات، اسمان لأزليته وأبديته، واسمان لفوقيته وعلوه وعدم حجب شيء من مخلوقاته له.

فهو الأول الذي ليس قبله شيء؛ وهو الآخر ليس بعده شيء، ولهذا فسرها النبي ﷺ في الحديث: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١) وهو سبحانه الظاهر ليس

(١) سبق تخريجه.

فوقه شيء، وهو الباطن لا يحجبه شيء من خلقه، فاسمان لأزليته وأبديته: الأول والآخر، واسمان لفوقيته وعدم حجب شيء من الخلق له: الظاهر والباطن.

فالجهمية شبهوا بهذا، فقالوا: إنَّ الله هو الأول والآخر، وزعموا أنَّ الله هو الأول قبل الخلق، يقول الإمام: صدقوا، وهذا صحيح.

وأما قولهم: "يكون الآخر بعد الخلق" فقد كذبوا فيه وما صدقوا؛ فإنهم أرادوا به أنَّ الجنة والنار تفنيان، فلا يبقى فيهما أحد، ويفنى أهلها، ويفنى كل شيء، ولا أرض ولا جنة ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي، فكلها تفنى.

وهذا القول، من أبطل الباطل؛ لأنَّ هذه الأشياء - الجنة والنار والثواب والعقاب - باقية بإبقاء الله لها، وبقاء الله من ذاته، فهو سبحانه وجوده بذاته، أما وجود هذه المخلوقات فلأنَّ الله أوجدها؛ ولأنَّ الله أبقاها، وكتب لها البقاء، فالله أخبر أنَّ الجنة والنار لا تفنيان، فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود: ١٠٨] أي: غير منقطع، ولا يزال الله يجدد لأهل الجنة نعيماً بعد نعيم إلى ما لا نهاية، وأهل النار كذلك لا يزال يجدد لهم عذاباً بعد عذاب إلى ما لا نهاية - نسأل الله السلامة والعافية -.

والعرش سقف الجنة، وهو عرش الرحمن، كتب الله له البقاء، والكرسي كذلك موضع قدمي الله ﷻ فهذه باقية بإبقاء الله لها؛ لأنَّ الله أخبرنا أنها باقية، فالجهمية يقولون: كل هذه الأشياء تفنى، فالجنة والنار والعرش والكرسي كلها تفنى، ولا يبقى أحد إلا الله، حتى يكون هو الآخر كما كان هو الأول، فيكون هو الآخر ولا يكون معه أحد،

قال الإمام: فأضلوا بهذا بشراً كثيراً.

وللرد عليهم في قولهم بفناء الجنة والنار والعرش والكرسي نقول: إنَّ الله أخبر بدوام الجنة ودوام النار وأنها باقية لا تفنى، فأتى الإمام بأدلة من القرآن فيها إثبات أنَّ الجنة وأهلها باقين إلى ما لا نهاية.

***

فَقُلْنَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ الْجَنَّةِ وَدَوَامِ أَهْلِهَا فِيهَا فَقَالَ ﷻ: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

فَقَالَ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

وَقَالَ: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥].

فَإِذَا قَالَ اللَّه: ﴿دَائِمٌ﴾ أي: لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

وَقَالَ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩].

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال: ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ٣].

وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وَقَالَ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٣١-٣٢].

وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

## الشرح

كل هذه الأدلة تدل على أنَّ الجنة وأهلها باقين إلى ما لا نهاية،

فالجنة لا تفنى؛ لأنَّ الله أخبر أنها لا تفنى، وهل وجودها من ذاتها أو من إيجاد الله لها؟

الجواب: من إيجاد الله لها، وليس من ذاتها، أما وجود الله من ذاته، فهو واجب الوجود بذاته ﷻ، أما الجنة والنار فهي باقية لإبقاء الله لها.

***

ثم ذكر أهل النار فقال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فَاطِر: ٣٦].

## الشرح

كذلك أهل النار ذكر الله أنهم مستمرون إلى ما لا نهاية.

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل النار ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فَاطِر: ٣٦] أبد الآباد - نعوذ بالله -.

***

وقال: ﴿أُوْلَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ [العَنكبوت: ٢٣].

## الشرح

﴿أُوْلَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ [العَنكبوت: ٢٣] أي: أنَّ الكفار يئسوا من رحمة الله، إذن مستمرين في العذاب، واليأس من رحمة الله مستمرين في العذاب إلى ما لا نهاية - نعوذ بالله -.

***

وَقَالَ: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩].

## الشرح

كذلك والذي لا يناله الله برحمة يستمر في النار، ولو قيل إنَّ النار تفنى فمعناه نالهم الله برحمة، فلو فنيت النار لصار هذا رحمة لهم، وهم ليسوا من أهل الرحمة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف: ١٥٦] لمن؟ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] والكفار غير متقين، فلم تكتب لهم الرحمة - نعوذ بالله -.

***

وَقَالَ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]
وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾ [إبراهيم: ٢١].

## الشرح

كذلك ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني: أبد الآباد.

***

وَقَالَ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

## الشرح

يعني: أهل النار.

***

وَقَالَ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٦].

الشرح

هذا يعني: أنَّ الجلود تجدد إلى ما لا نهاية، أبد الآباد، - نسأل الله العافية -.

***

وَقَالَ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحَجّ: ٢٢].

وَقَالَ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهُمَزة: ٨].

وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

الشرح

يعني: مطبقة مغلقة أبد الآباد - نعوذ بالله -.

إذن هذه النصوص التي ساقها الإمام ﷺ كلها دليل على أنَّ الجنة والنار وأهلهما باقيتان أبد الآباد، إلى ما لا نهاية، لا تفنيان كما يقول الجهم - قبحه الله -.

***

فَأَمَّا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ فَقَدْ زَالَتَا؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا صَارُوا إِلَى الْجَنَّةِ أو إلى النَّارِ.

الشرح

السماء والأرض لا توجدان يوم القيامة وتنتهي، وأهل السماوات والأرض إما في الجنة أو في النار، فالسماء والأرض تزولان؛ لأنَّ

أهل الأرض الآدميين ذهبوا إلى الجنة أو النار، وأهل السماء الملائكة كذلك، فلا يوجد إلا العرش والكرسي والجنة والنار والهواء.

***

وَأَمَّا الْعَرْشُ فَلَا يَبِيدُ وَلَا يَذْهَبُ؛ لِأَنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ، فَلَا يَهْلِكُ وَلَا يَبِيدُ.

## الشرح

العرش لا يبيد ولا يذهب، باق بإبقاء الله له؛ لأنه سقف الجنة، والله مستو عليه استواء يليق بجلاله وعظمته؛ فلا يهلك العرش ولا يبيد.

***

وَأَمَّا قول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨].

## الشرح

هذه شبهة شبه بها الجهمية قالوا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨] يعني: كل شيء هالك إلا الله، فدل على أنَّ العرش والجنة والنار تهلكان وتفنيان، فتشمل العرش، فأجاب الإمام:

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦] قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ فَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مُخبراً عَنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، وَقَالَ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني مِنَ الْحَيَوَانِ ﴿هَالِكٌ﴾ يَعْنِي: مَيِّتٌ ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨] لأَنَّهُ حَيٌّ لَا

يَمُوتُ، فَأَيْقَنُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ.

## الشرح

جواب الشبهة:

قال: هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ يعني على الأرض، فلما أنزل الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦] يعني: على الأرض وهم الآدميون قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأنزل الله يخبر عن أهل السماوات أيضاً أنكم تموتون كما يموت الآدميون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨] أي: كل شيء من الحيوان هالك - يعني ميت - إلا وجهه، فإنه حي لا يموت، فكل شيء من الحيوان، يعني من الحيوانات والآدميين.

وهذا لا يشمل العرش، ولا يشمل الكرسي، بل كل شيء حي، قال الإمام: "كل شيء من الحيوان" - يعني مما فيه الحياة - هالك - يعني ميت - إلا وجهه؛ فإنه حي لا يموت، فعند ذلك أيقن الملائكة بالموت، هذا جواب.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨] إخبار عن فناء الذوات، فالله ﷻ هو الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فهو إخبار عن فناء الذوات إلا ذاته ﷻ.

وقيل معنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ما أريد به وجهه(١)،

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٢٥) وما بعده.

وقيل: إلا ما ابتغي به وجهه، وهو لا ينافي القول الأول[(١)].

ففي تفسير الآية قولان:

**القول الأول:** ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ إخبار بأنَّ الله هو الدائم الباقي، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فهو الحي الباقي سبحانه وتعالى.

**القول الثاني:** ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ إلا ما أريد به وجهه.

وليس هناك منافاة بين القولين؛ لأنَّ القول الأول إخبار بأنَّ الله هو الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق وهو لا يموت، فهو إخبار عن فناء الذوات إلا ذاته عز وجل، والقول الآخر يراد به بطلان العمل إلا العمل المراد به وجهه، وهو ما وافق الشريعة، وكان خالصاً لوجهه، فكل شيء من العمل باطل إلا ما أريد به وجه الله، والأول كل الذوات فانية إلا ذاته عز وجل فلا منافاة.

وقوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦] يراد به الموت، ولا يراد به عدم ذواتهم، فإنَّ الأرواح بعد الموت في نعيم أو عذاب، إذن معنى ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦﴾ فناء الآدميين في الدنيا، هل هو فناء ذواتهم؟

الجواب: لا، بل المراد الموت، وإلا فالروح تبقى، و تُنقل بعد موته إما إلى الجنة أو إلى النار، فأرواح المؤمنين في الجنة، ولها صلة بالجسد، وأرواح الكفار في النار، ولها صلة بالجسد.

فالروح لا تموت، بل باقية إما في عذاب أو في نعيم، لكن الموت مفارقة الروح للجسد، أما الروح فتُنقل، فأرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، والجسم يبلى، وتبدل الصفات والذرات التي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير.

استحالت، ويُخلق الإنسان من عجْب الذنب، وهو العصص، آخر العمود الفقري، يخلق الله منه ابن آدم، ويعيد الله الذرات التي استحالت، فإذا كمل خلقهم أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور، فعادت الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة، بعد أن ينزل الله مطرًا كَمَنِيّ الرجال، تنبت منه أجساد الناس، وينشئهم الله نشأة قوية، فتقوم القيامة، فإذا الناس وقوف بين يدي الله للحساب.



## مناقشة أخرى للجهمية في زعمهم أن الله في كل مكان

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِيَّةِ - حِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ دون مكان.

## الشرح

هذا أيضاً مناقشة للجهمية في قولهم: إنَّ الله في كل مكان، وسبق أنَّ ناقشهم مرات، المناقشة الأولى: حينما قال لهم: «ويقال للجهمي: إذا قال إنَّ الله معنا بعظمة نفسه، فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم، زعم أنَّ الله بائن من خلقه وأنَّ خلقه دونه، وإن قال: لا، كفر» هذا مناقشة لهم في قولهم: "إنه في كل مكان" والمناقشة الثانية: «وقلنا للجهمية حين زعموا أنَّ الله في كل مكان، لا يخلو منه مكان دون مكان».

***

فَقُلْنَا لهم أَخْبِرُونا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لِمَ تجلَّى لِلْجَبَلِ إِنْ كَانَ فِيهِ بزعمكم؟! فَلَوْ كَانَ فِيهِ كَمَا تَزْعُمُونَ لَمْ يَكُنْ يَتَجَلَّى لِشَيْءٍ هُوَ فِيهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَتَجَلَّى لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ.

## الشرح

هذه مناقشة للجهمية في قولهم: "إنَّ الله في كل مكان"، يقول: كيف تقولون في قول الله تعالى في خطاب موسى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ تجلى الله للجبل، لِمَ تجلى للجبل إن كان فيه؟

أنتم تقولون: إنه في كل مكان، في الجبل، وفي كل مكان، فكيف يتجلى لشيء هو فيه؟ لِمَ تجلى للجبل إن كان فيه بزعمكم؟ فلو كان الله - كما تزعمون - في كل مكان لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، فكيف يتجلى للجبل وهو في الجبل؟ ولكن الله جل ثناؤه على العرش ﷻ، وتجلى ولم يكن في الجبل، ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قبل ذلك؛ ولذلك تدكدك، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

***

**وَرَأَى الْجَبَلَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ رَآهُ قط قَبْلَ ذَلِكَ، وَقُلْنَا لِلْجَهْمِية الله نُورٌ؟ فَقَالَوا هُوَ نُورٌ كُلُّهُ.**

## الشرح

هذه مناقشة للجهمية الذين يقولون: الله نور كله، وهو في كل مكان، فالله نور كله، وعلم كله، وقدرة كله؛ لأنهم قالوا: لا يوصف بوصفين مختلفين، فلا يقولون: نثبت لله النور والعلم والقدرة، بل يقولون: هو كله نور، وهو كله قدرة، وهو كله علم، فلا يوصف بوصفين، بل بوصف واحد فقط، هو نور كله، وهو في كل مكان،

فالإمام يناقشهم ويقول: أنتم تقولون الله نور كله، وهو في كل مكان.

***

فَقُلْنَا فإِنَّ الله قَالَ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩]، فَقَدْ أَخْبَرَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - أَنَّ لَهُ نُورًا، وقُلْنَا لهم: أَخْبِرُونَا حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ تعالى فِي كُلِّ مَكَانٍ وَهُوَ نُورٌ، فَلِمَ لَا يُضِيءُ الْبَيْتَ الْمُظْلِمَ مِنْ النُّورِ الَّذِي هُوَ فِيهِ - إِذ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟

وَمَا بَالُ السِّرَاجِ إِذا أُدْخِلَ الْبَيْتَ المظلم يُضِيءُ؟

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ كَذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ.

## الشرح

هذه مناقشة لهم في قولهم: "الله تعالى في كل مكان وهو نور"، يقول: قلنا إنَّ الله تعالى قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩] فقد أخبر الله - جل ثناؤه - أنَّ له نوراً، فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أنَّ الله في كل مكان وهو نور، فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه؟

إذا قلتم: "إن الله تعالى في كل مكان وهو نور" فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور فيه إذ زعمتم أنَّ الله في كل مكان؟ وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء؟ والله لا ينير البيت المظلم وهو فيه - تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً -، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله؛ لأنهم يقولون: "الله تعالى في كل مكان وهو نور".



## الخاتمة

**قال المؤلف - رحمه الله -:**

فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ، وَرَجَعَ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَقَالَ بِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَتَرَكَ دِينَ الشياطين، وَدِينَ جَهْمٍ وَشِيعَتِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا آخر الكتاب تمت والحمد لله على ذلك.

## الشرح

هذا دعاء للإمام رحمه الله للذي يرجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، ويترك دين الشيطان، ودين جهم وشيعته، ويقول بقول العلماء، وهو قول المهاجرين والأنصار.

وهذه الرسالة العظيمة كلها في الرد على الجهمية وإذا استعرضناها من أولها إلى آخرها نجد أنَّ الإمام رحمه الله ابتدأها بالباب الأول، فأتى بآيات من القرآن شبَّه بها الجهمية وقالوا: إنها متعارضة، وقالوا: إنَّ القرآن متعارض يعارض بعضه بعضاً، وينقض بعضه بعضاً.

فأجاب عنها وهي اثنان وعشرون مثالاً من الآيات، ثم بعد ذلك

ناقش الجهم وقال: إنَّ الجهم لا يُثبِت وجوداً لله، ولكنه يتستر، فهو منافق زنديق؛ لأنه يقول: إنَّ الله شيء لا كالأشياء، والشيء الذي لا كالأشياء لا وجود له.

يقول الجهمي: إنَّ الله لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، ولكن لا بد أن يثبت نوعاً من الشبه، وهو الاشتراك في المعنى عند القطع عن الإضافة، فهو اشتراك في المعنى العام، وهو أمر ذهني، عند القطع عن الإضافة والتخصيص، مثل لفظ وجود، ولفظ عين، ولفظ قدرة، ولفظ سمع، فهذا يشمل وجود الخالق ووجود المخلوق.

فالذي يقول إنَّ الخالق لا يشارك المخلوق في هذا معناه لم يثبت وجود الله، فلفظ وجود، تشمل وجود الخالق، ووجود المخلوق، لكن تشمله في الذهن، فالذي يقول: "إنَّ الله لا يشبه المخلوقات بوجه من الوجوه" أنكر وجود الله، ومعناه أنَّه ما أثبت وجوداً لله في الخارج، ولا في الذهن.

ثم بعد ذلك أتى بستة شبه للجهمية شبهوا بها على أنَّ القرآن مخلوق، فهم إذن لا يثبتون كلاماً لله فأورد ست شبه، وأجاب عنها، ثم أيضاً ناقشهم في إنكارهم رؤية الله ﷻ يوم القيامة، وأنكروا الكلام، وأنَّ الله كلم موسى، وأنكروا معية الله مع خلقه، وقالوا: إنَّ الله مختلط بالمخلوقات، ممتزج بهم، وأنكروا العلم.

إذن لم يثبتوا وجوداً لله، فتبين بهذا أنَّ الجهمية يقولون: إنَّ القرآن متعارض، وينقض بعضه بعضاً، وينكرون الكلام، فيقولون: إنَّ الله لا يتكلم، وينكرون العلم، وينكرون رؤية الله، فيقولون: إنَّ الله لا يُرى، ويقولون: إنه مختلط بالمخلوقات وممتزج بها، ثم في النهاية

قالوا: إنَّه شيء لا كالأشياء، فلا يشابه المخلوق في وجه من وجوه الشبه، وهذا إنكار لوجوده، وهو كفر صريح - نسأل الله السلامة والعافية -.

ولهذا قالوا: إنه مختلط بالمخلوقات، لكن غير مباين وغير مماس، إذن ماذا يكون؟ غير مماس لشيء من الأشياء، وغير مباين، لا مباين ولا مماس، هذا معناه القول بنفي النقيضين، ومعناه العدم، فتبين بهذا كفر الجهمية إلا أنهم زنادقة ملاحدة، ما يصرحون بالكفر، وما يقولون: "ننكر وجود الله" صراحة، لكنهم يتسترون باسم الإسلام.

فالخلاصة أنَّ الجهمية كفار زنادقة، لا يؤمنون بوجود الله، وينكرون الأسماء والصفات كلها وهذا ينتج عنه العدم، فكل شيء ينفى عنه الأسماء والصفات لا وجود له، فلا يمكن أن يوجد شيء إلا له أسماء و صفات، فشيء ليس له اسم ولا صفة لا وجود له، فلو قلت: أنا أثبت طاولة ليس لها طول ولا عرض ولا عمق، وليست داخل السماوات ولا خارجها، ولا فوق ولا تحت، ولا مباينة ولا مماسة ولا محايثة، ولا أثبت لها صفة الوجود ماذا تكون؟ بلا شك تكون عدما.

فالجهمية هكذا ينفون عن الله جميع الأسماء والصفات، والذي تنفى عنه الأسماء والصفات لا وجود له.

قاعدة: "كل شيء لا اسم له ولا صفة لا وجود له"، والجهمية يقولون: الخالق لا اسم له ولا صفة، إذن أنكروا وجود الله، لا علم، ولا قدرة، ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا شيء، وقالوا: إنه لا يشبه مخلوقاً بوجه من وجوه الشبه، وقالوا: إنه مختلط بالمخلوقات، لكن

غير مماس لشيء وغير مباين.

ومتأخروا الجهمية المعطلة ينفون النقيضين، فيقولون: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه ماذا يكون؟ العدم، بل أشد من العدم، نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله ﷻ أن يهدي قلوبنا، وأن يوفقنا لسلوك صراطه المستقيم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله ﷻ أن يوفقنا للعمل الصالح الذي يرضيه، وأن يثبت قلوبنا على طاعته، وأن يتوفنا مسلمين غير مغيرين، ولا مبدلين، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



# فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة